



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الكوفة
كلية الفقه

التناسب ودوره في الإعجاز القرآني

رسالة قدمت إلى مجلس كلية الفقه/جامعة الكوفة
وهي جزء من متطلبات درجة الماجستير في الشريعة والعلوم الإسلامية

تقدمت بها الطالبة
إقبال وافي نجم

إشراف

الأستاذ المساعد الدكتور صباح عباس عنوز

م ٢٠٠٩

١٤٣٠ هـ

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿الرَّكَبُ الْأَحْمَسُ آيَاتُهُ تَمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾

صَدَقَ اللّٰهُ الْعَلِیُّ الْعَظِیْمُ

(هود/١)

الإهداء

إلى سيدي ومولاي أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)
إذ ببركته وفقت لاختيار الموضوع وانجاز الرسالة .

شكر و عرفان

لا بد من كلمة شكر وتقدير لكل من :

أستاذي الدكتور محمد حسين الصغير الأستاذ الأول المتمرس ،الذي لقيت منه تشجيعاً واهتماماً بالغين ومنذ سنوات الدراسة الأولية ،فجزاه الله عني خير الجزاء .

عمادة كلية الفقه ،المتتمثلة بعميدها الدكتور صباح عباس عنوز،وساعديه الأستاذ المساعد عبد الزهرة لفته ،والدكتور علي خضير حجي .

أساتذتي الأفاضل ،بتشجيعهم على اختيار الموضوع واستشاراتهم القيمة،ومنهم : د - محمد كاظم البكاء ، د - محمود البستاني ، د - ستار الأعرجي ، د - محمد زوين ، د - ابتسام المدني .

لكل من أعانني على الحصول على مصادر البحث ومراجعته ، أو ببعض من دعائه .

المحتويات

المقدمة :	أ - ث
التمهيد (معرفة التناسب) :	١ - ٢٦
١ - التناسب تعريفاً ونشأة وآراء العلماء فيه :	٢ - ٨
أ - التناسب بين اللغة والاصطلاح :	٢
ب - نشأة علم المناسبة :	٥
ج - آراء العلماء فيه :	٧
٢ - التناسب في جهود السابقين :	٩ - ٢٥
الفصل الأول (علاقات التناسب في القرآن الكريم) :	٢٦ - ٧٨
المبحث الأول : (التناسب والترتيب القرآني) :	٢٧ - ٤٥
١ - ترتيب الآيات :	٢٨
٢ - ترتيب السور :	٣٦
أ - الترتيب التوقيفي :	٣٦
ب - الترتيب الاجتهادي :	٤٠
ج - الترتيب الثالث :	٤٣
٣ - خلاصة ورأي :	٤٥
المبحث الثاني (أنواع العلاقات في التناسب القرآني) :	٤٦ - ٧٨
توطئة :	٤٧
١ - وجوه الترابط الجملي :	٤٨
٢ - أنواع العلاقات :	٥٤
أ - التنظير :	٥٤
ب - بين التضاد والتقابل :	٥٥
ج - المقابلة :	٥٧
د - الاستطراد :	٥٩
هـ - الالتفات :	٦١
و - حسن الابتداء والتخلص :	٦٦
ز - الإجمال والتفصيل :	٦٨
ح - البيان والتفسير :	٧٣
ط - السؤال والجواب :	٧٥

الفصل الثاني (مستويات التناسب في القرآن الكريم) : ٧٩ - ١٥٦

المبحث الأول (التناسب في السورة الواحدة) : ٨١ - ١٣٩

أولاً - التناسب في الآية الواحدة : ٨٢

أ - التناسب في الاستعمال اللفظي : ٨٢

ب - التناسب في استعمال الاسم والفعل : ٨٥

ج - التناسب في التقديم والتأخير : ٨٦

د - التناسب في الحذف والذكر : ٨٩

هـ - التناسب في التوكيد : ٩١

و - التناسب في الفاصلة : ٩٢

ثانياً - التناسب بين آيات السورة الواحدة : ١٠٥ - ١٣٩

أ - التناسب بين آيات ذات موضوعات متعددة والهدف واحد : ١٠٥

ب - التناسب بين آيات ذات موضوعات متعددة وأهداف متعددة : ١٠٩

ج - التناسب بين آيات ذات موضوع واحد وهدف واحد : ١١١

د - التناسب بين آيات ذات موضوع واحد وأهداف متعددة : ١١٢

هـ - التناسب بين آيات بينها فارق زمني في النزول : ١١٣

و - التناسب بين آيات تتخلل آيات ذات موضوع واحد : ١١٧

ثالثاً - التناسب بين مقدمة السورة وخاتمتها : ١٢٤

رابعاً - التناسب بين مقدمة السورة ومقاصدها : ١٣١

خامساً - التناسب بين اسم السورة ومحورها : ١٣٥

المبحث الثاني (التناسب بين السور) : ١٤٠ - ١٥٦

بين يدي المبحث : ١٤١

١ - التناسب العام بين السور : ١٤٤

٢ - التناسب الخاص بين السور : ١٤٨

٣ - التناسب بين السور المكية والمدنية : ١٥١

الفصل الثالث (أثر التناسب في كشف إعجاز القرآن) : ١٥٧ - ١٩٥

بين يدي الفصل : ١٥٨

المبحث الأول - أثر التناسب في وحدة النص القرآني : ١٦١

المبحث الثاني - أثر التناسب في صيغ الترتيب : ١٦٨

المبحث الثالث - أثر التناسب في المتلقي : ١٧٩

خاتمة البحث والنتائج : ١٩٦

فهرس الآيات : ٢١٢

فهرس الأحاديث : ٢٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين .

القرآن الكريم هو كتاب الله المعجز الذي أحكمت آياته ورُتبت بشكل عجيب من إحكام في السرد، ودقة في السبك، ومثانة في الأسلوب، متصل بعضه ببعض كأنه عقد منتظم تلاءمت حروفه وتناسقت كلماته وجمله وآياته وتلاحم بعضها ببعض حتى جاء أوله متناسقاً مع آخره، وآخره متآلف مع أوله في نظام لا يرقى إليه أي كلام أو نظم .

وصفه أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله بأنه : (... نوراً لا تُطفأ مصابيحُه، وسراجاً لا يخبو توقده، وبحراً لا يُدرك قعرُه، ومنهاجاً لا يُضِلُّ نهجُه، وشعاعاً لا يُظلم ضوءُه، وفرقاناً لا يُخمد برهائه، وتبياناً لا تُهدم أركائه، وشفاءً لا تُخشى أسقامُه، وعزراً لا تُهزم أنصاره، وحقاً لا تُخذل أعوانه، ... وعلماً لمن وعى، وحديثاً لمن روى، وحكماً لمن قضى)^(١) .

وبفضل القرآن ظهرت علوم كثيرة أخذت حيزاً كبيراً من الدراسات القرآنية كعلم المحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والمجمل والمفصل ... وغيرها، والتناسب أو (علم المناسبات القرآنية) هو أحدها، إلا أنه لم يحظ بما حظي به غيره من العلوم من التصنيف والتأليف، ولعل مرد ذلك دقة هذا العلم وتشعبه فقد وُصِفَ

(١) - نهج البلاغة : ٤٢٨ خ ١٩٨ .

بأنه علم دقيق المسالك خفي المدارك يحتاج إلى تتبع واستقصاء لدلالات الألفاظ القرآنية ومعرفة بفنون البلاغة والبيان وإحاطة بأسباب النزول التي تسلط الضوء أحياناً على وجوه التناسب .

تأتي أهمية دراسة التناسب في القرآن الكريم كونه يعين المفسر عند دراسة السورة القرآنية على معرفة وجوه التناسب فيها ويلقي الضوء على محورها ويبين الغرض الكلي لها بما يساعد المفسر على تحديد الزاوية التي ينطلق منها في بيان معاني الآيات الكريمة ويفتح له آفاقاً تفسيرية واسعة في تدبر آيات كتاب الله .

كما أنه يكشف وجهاً إعجازياً من وجوه إعجاز القرآن العظيم، إذ يبين الترابط بين أجزائه كلها لفظ بلفظ وجملة بجملة وآية بآية، كما يبين التناسب بين مقدمة السورة وخاتمتها وهكذا في بقية أجزاء القرآن الكريم مما يكشف عن بناء محكم مترابط، على الرغم من نزوله في ما يقارب من ثلاث وعشرين سنة في أزمنة وأمكنة مختلفة وأسباب متعددة بشكل لا يدع مجالاً للشك بأن هذا القرآن منزل من لدن حكيم خبير .

انتظم هذا البحث في تمهيد وثلاثة فصول :

اشتمل التمهيد على تعريف بهذا العلم ونشأته والآراء فيه بين نفي وجوده وإثباته وجهود العلماء السابقين في هذا المجال .

أما الفصل الأول فكان بعنوان (علاقات التناسب في القرآن الكريم) وتضمن مبحثين ، الأول : التناسب والترتيب القرآني ، باعتبار أن علاقات التناسب تعتمد أساساً على الترتيب المصحفي لا على ترتيب النزول ، وتناول المبحث الثاني أنواع العلاقات التي تربط بين أجزاء القرآن الكريم .

أما الفصل الثاني فكان بعنوان (مستويات التناسب في القرآن الكريم) حيث اهتم ببيان مستويات التناسب مبتدئاً بالتناسب في الآية الواحدة ، ثم التناسب في السورة الواحدة وبعده التناسب بين السور .

أما الفصل الثالث فكان بعنوان (أثر التناسب في كشف إعجاز القرآن) واشتمل على ثلاثة مباحث ، ناقش الأول منها أثر التناسب في وحدة النص القرآني ، والثاني أثر التناسب في صيغ الترتيب ، أما المبحث الثالث فقد تناول أثر التناسب في المتلقي .

وبعد ذلك جاءت الخاتمة متضمنة أهم النتائج في هذا الموضوع .

كما ألحق البحث بملحقين : تضمن الأول فهارس للآيات القرآنية مرتبة على حسب ترتيبها المصحفي ،والثاني للأحاديث الشريفة مرتباً بحسب حروف المعجم العربي .

كانت مشكلة الحصول على المصادر المتخصصة بهذا العلم أولى الصعوبات فيه منذ أن وقع الاختيار عليه فاستعنت أولاً بالموسوعات المتخصصة للدراسات القرآنية في محاولة لتتبع كل ما كُتب في هذا الموضوع ثم الاستعانة بالكتب المتخصصة بمناهج المفسرين لمعرفة من اهتم منهم بهذا الموضوع أو تطرق إليه في ثانياً تفسيره وبالتالي متابعة كل تفسير منها والنقاط عبارات المفسرين الدالة على وجود التناسب كما استدعى الأمر متابعة ما كُتب في هذا الموضوع على مواقع شبكة الانترنت والمجلات والدوريات المتخصصة في الدراسات الإسلامية والعربية كما أفادتنى استشارات بعض أساتذتي في هذا المجال .

وقد تناثرت مادة هذا البحث بين كتب التفسير من جهة والكتب المتخصصة بتوجيه المتشابهات (المتماثلات) من الآيات كما حظيت كتب البلاغة والنحو القرآني بالنصيب الأوفر منه لذلك اقتضى الأمر أن يجمع كل هذا الشتات قدر الإمكان والإفادة منه في بيان وجوه التناسب من خلالها دون الخروج بالبحث عن كونه دراسة قرآنية ،كما تم الاعتماد على بعض المصادر أكثر من غيرها نظراً لتناولها بعض المطالب بشكل أكثر تفصيلاً ودقة من غيرها من المصادر ،وجاءت بعض المباحث والفصول أطول من غيرها استدعته ضرورة التفصيل في الموضوعات.

و استدعت بعض المباحث التفصيل فيها بشكل يتطلبه الموضوع وحاولت الاختصار قدر الإمكان إذ أن إعطاء كل مبحث بل كل فقرة فيه حقها الكامل من البحث لا تستوعبه رسالة ماجستير بعدد محدود من الصفحات بشكل جامع شامل ،إلا أن هذا البحث خطوة في هذا المجال لعلها تفتح الباب إلى خطوات أخرى أكثر شمولاً وتفصيلاً .

وبعد ،فهذا زاد المقل وجهد المبتدئ ،فإن أحسنت فبتوفيق من الله تعالى وإلا فبتقصير من عندي .

ولا بد هنا من كلمة شكر للأستاذ المشرف الأستاذ المساعد الدكتور صباح عباس عنوز لما بذله من جهد ووقت لانجاز هذا البحث .

والحمد لله أولاً وآخراً

التمهيد

(معرفة التناسب)

١ - التناسب تعريفاً ونشأة وآراء العلماء فيه .

- أ - التناسب بين اللغة والاصطلاح .
- ب - نشأة علم المناسبة .
- ج - آراء العلماء فيه .

٢ - التناسب في جهود السابقين .

١- التناسب تعريفاً ونشأةً وآراء العلماء فيه

أ - التناسب بين اللغة والاصطلاح

المناسبة في اللغة : تكاد تتفق آراء أصحاب المعاجم اللغوية على أن المناسبة تعني المشاكلة أو المقاربة أو الارتباط بين شيئين ،من خلال تتبع هذه الآراء والاستقراء العام لها .

إذ قال ابن فارس (ت٣٩٥هـ) : (النون والسين والباء ،كلمة واحدة ،مقياسها اتصال شئ بشي)^(١) .

وعند ابن منظور (ت٧١١هـ) : (النسبة والنسبة والنسب : القرابة ،وناسبه ، أي شاركه في نسبه ،والنسيب : المتناسب ،وفلان يناسب فلاناً ،فهو نسيبه أي قريبه،ليس بينهما نسب : أي مشاكلة)^(٢) .

ويبيّن الزركشي (ت٧٩٤هـ) المناسبة بقوله : (المناسبة في اللغة : المقاربة،وفلان يناسب فلاناً ، أي يقرب منه ويشاكله ،ومنه النسيب الذي هو القريب المتصل،كالأخوين وابن العم ونحوه ،وإن كانا متناسبين بمعنى رابط بينهما هو القرابة)^(٣) .

(١) - معجم مقاييس اللغة ،مادة (نسب) .

(٢) - لسان العرب ،مادة (نسب) ١١٨/١٤ .

(٣) - البرهان في علوم القرآن : ٤٨/١ .

ويقال : (بين الشئيين مناسبة وتناسب أي مشاكلة وتشاكل) (٤) .

والتناسب والمناسبة كلاهما بمعنى المشاركة أو المقاربة ، ولا يوجد كثير اختلاف بينهما ، فصيغة (فاعل) يكثر استعمالها في معنيين : أحدهما ؛ التشارك بين اثنين فأكثر ، وهو أن يفعل أحدهما بصاحبه فعلاً فيقابله الآخر بمثله ، للبادي نسبة الفاعلية وللمقابل نسبة المفعولية ، وصيغة (تفاعل) اشتهرت في أربعة معان : أحدها ؛ التشارك بين اثنين فأكثر ، فيكون كل منهما فاعلاً في اللفظ مفعولاً في المعنى. (١)

ومن هنا فـ (ناسبَ مناسبة ، وتناسبَ تناسباً) لا يختلفان كثيراً عن بعضهما في المعنى اللغوي .

ولمّا كان التناسب بمعنى المناسبة فقد عرفه البقاعي (ت ٨٨٥هـ) بأنه : (علم تُعرف منه علل الترتيب ، وموضوعه أجزاء الشئ المطلوب علم مناسبتة من حيث الترتيب ، وثمرته الاطلاع على الرتبة التي يستحقها الجزء ما له بما وراءه وما أمامه من الارتباط والتعلق الذي هو كلحمة النسب) (٢) .

هذا بمعناه العام ، أما علم مناسبات القرآن الكريم فقد عرفه بأنه : (علم تُعرف منه علل ترتيب أجزائه ، وهو سرّ البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه الحال وتتوقف الإجابة فيه على معرفة مقصود السّورة المطلوب ذلك فيها ، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها ، فلذلك كان هذا العلم في غاية النّفاسة ، وكانت نسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو) (٣) .

ويبيّن الزركشي (ت ٧٩٤هـ) فائدة هذا العلم بقوله : (وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض ، فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء) (٤) .

فالمناسبة : هي الرابطة بين شئيين بأي وجه من الوجوه ، وفي كتاب الله تعني ارتباط السّورة بما قبلها وما بعدها ، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها . (٥)

(٤) - الزبيدي ، محمد مرتضى ، تاج العروس من جواهر القاموس : ٤٣٠/٢ .

(١) - أحمد الحملاوي ، شذا العرف في فن الصرف : ٢٢ ، ٢٥ .

(٢) - نظم الدرر : ٥/١ .

(٣) - م . ن : ٥/١ .

(٤) - البرهان : ٤٨/١ .

(٥) - ظ : مصطفى مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي : ٥٨ .

وخلص القول إذن ؛ أن علم التناسب : علم يهتم ببيان وجوه الترابط بين أجزاء الآيات القرآنية ، أو بين مجموعة من الآيات التي تشكل فيما بينها مقطعاً متجانساً ليمثل موضوعاً واحداً ، ويتسع الأمر ليشمل العلاقات والروابط ما بين السور جميعاً ، وهو ما يعطي فهماً أشمل وأدق لآيات القرآن الكريم .

وغاية علم المناسبة البحث في وحدة النص القرآني بوصفه بناء مترابط الأجزاء .^(١)

(١) - ظ : نصر حامد أبو زيد ، مفهوم النص ، دراسة في علوم القرآن : ١٦١ .

ب - نشأة علم المناسبة

لعل سؤالاً يتبادر إلى الذهن : متى بدأ هذا العلم ؟ وهل له جذور في عصر نزول القرآن الكريم ؟ لا نكاد نجد مصدراً يشير إلى بداية حقيقية لهذا العلم ، لكن من خلال تتبع آراء العلماء وأقوالهم فيه تظهر إشارات تدل على بدايته .
ظهر هذا العلم أولاً باسم (ارتباط الآي) و (ترتيب الآي) ^(١) .

يؤكد الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ^(٢) أن أول من أظهر هذا العلم ببغداد هو أبو بكر النيسابوري (ت ٣٢٤هـ) إلا أنه لم يؤلف كتاباً فيه ، بينما يرى آخرون أن أول من ألف فيه هو أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ) الذي وضع كتاباً بعنوان (ترتيب آي القرآن) الذي ذكره في كتابه النسخ والمنسوخ أثناء كلامه عن سورة الأنعام ^(٣) .

أما مصطلح (المناسبة) فلا يُعرف أول من وضعه لهذا الفن ، لكن أول من استعمله هو الرازي (ت ٦٠٦هـ) عند تفسيره لآخر سورة المائدة حينما أشار إلى وجه التناسب بين خاتمة السورة وافتتاحها ^(٤) بقوله : (فما أحسن المناسبة بين ذلك المفتاح والمختتم) ^(٥) .

إن ما ذكر عن بداية نشوء هذا العلم وأول من ألف فيه أرادوا به التأسيس لهذا العلم ، لكن الجذور الأولى له يمكن إرجاعها إلى عهد متقدم عمّا ذكر ، وإن كانت البدايات عبارة عن إشارات بسيطة وليست علماء قائماً بذاته ، حيث كان بعض المسلمين الأوائل يفهمون القرآن ويعرفون دقائقه وأسراره (بما في سليقتهم من

(١) - ظ : عبد الله الخطيب ، ومصطفى مسلم ، المناسبة وأثرها على تفسير القرآن الكريم (بحث) .

(٢) - البرهان : ٤٩/١ .

(٣) - ظ : عبد الله الخطيب ، ومصطفى مسلم : المناسبة وأثرها على تفسير القرآن الكريم (بحث) .

(٤) - م . ن .

(٥) - مفاتيح الغيب : ١١٥/١٢ .

أفانين العربية ومناهج الفكر البشرية، ولطيف التوازن العقلية، ثم تناقص هذا العلم حتى انعجم على الناس، و صار إلى هذه الغربية كغيره من الفنون (١).

فيروي مسلم بن يسار (*) عن أبيه، أنه كان يقول : (إذا حدثت عن الله حديثاً فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده) (١). ويروي عن ابن مسعود، أنه كان يقول : (إذا سألت أحدكم صاحبه كيف يقرأ آية كذا وكذا ، فليسأله عما قبلها) (٢).

وكذلك ما جاء عن الأصمعي (ت ٢١٦هـ) أنه قال : (كنت أقرأ سورة المائدة ومعني أعرابي ، فقرأت هذه الآية : ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٣) فقرأت (والله غفور رحيم) ثم تنبهت فقلت : ﴿ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ فقال الأعرابي : الآن أصبت . فقلت : كيف عرفت ؟ قال : يا هذا عزّ فحكم فأمر بالقطع ، ولو غفر ورحم لما أمر بالقطع) (٤).

وفي رواية أخرى : أن أعرابياً لم يكن قد قرأ القرآن ، فسمع قارئاً يقرأ : ﴿ فَإِن زَلْتُمْ مِّن بَعْدِ مَا جَاءتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٥) فأبدله بأن قال : (غفور رحيم) فقال الأعرابي مصوباً : (إن الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لأنه إغراء عليه) (٦).

ويُفهم من هاتين الروايتين أن العرب يفهمون هذا الأمر بسليقتهم ومن خلال معرفتهم بفنون لغتهم وأساليبها .

(١) - عبد الحميد غانم ، علم المناسبات القرآنية (بحث) ، وظ : البقاعي ، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور : ١٥٣/١ .

(*) - أبو عبد الله ، فقيه ومن رجال الحديث ، أصله من مكة وسكن البصرة وكان مفتيها ، توفي فيها سنة (١٠٨هـ) الزركلي ، الأعلام : ٢٢٣/٧ .

(١) - الصنعاني ، المصنف : ٣٦٥/٣ ح ٥٩٨٨ ، كتاب فضائل القرآن ، باب تعاهد القرآن ونسيانه .

(٢) - م . ن : ٣٦٥/٣ ح ٥٩٨٩ .

(٣) - المائدة : ٣٨ .

(٤) - الرازي ، مفاتيح الغيب : ١٨١/١١ .

(٥) - البقرة : ٢٠٩ .

(٦) - الجاحظ ، البيان والتبيين : ٢٢/٢ ، وظ : عبد الحميد غانم ، علم المناسبات القرآنية : ٣ ، وظ : البقاعي ، مصاعد النظر : ١٥٣ - ١٥٤ .

ج - آراء العلماء فيه

تباينت الآراء والأقوال في وجود التناسب في القرآن الكريم، بين مثبت له وبين من ينفي وجوده ويُعدّ ذلك تكلفاً وتمحلاً، وبين من يقف موقفاً وسطاً ويقبله بشروط .

فمن خلال تتبع ما كتبه السابِقون عن هذا العلم نجد أن منهم من أعطاه اهتماماً كبيراً فأفرد بالتصنيف تفسيراً كاملاً للقرآن الكريم، كالبقاعي (ت ٨٨٥هـ) معتمداً فيه وجوه التناسب والروابط، ومنهم من أشار إليها في المواضع التي تستدعي بيانها في تفسيره كالزمخشري (ت ٥٣٨هـ) والرازي (ت ٦٠٤هـ) وغيرهما .

وكما كان لهذا العلم مؤيدون^(١) ففي الجانب الآخر كان له معارضون نفوا وجود التناسب والترابط في القرآن الكريم، وقد أنحى بعضهم باللائمة بل بالتقريع على المفسرين القائلين بوجود التناسب كالشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) في قوله : (واعلم أن كثيراً من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف وخاضوا في بحر لم يُكلفوا سباحته واستغرقوا أوقاتهم في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية المسرودة على هذا الترتيب في المصحف فجاءوا بتكلفات وتعسفات يتبرأ منها الإنصاف ويتنزه عنها البلغاء فضلاً عن كلام الربّ سبحانه)^(٢) .

ولا بد هنا من القول : أن التفسير القائم بالاعتماد على التناسب لا يُعدّ من التفسير بالرأي المنهي عنه، إذ إنه يقوم على أسس وضوابط التفسير، فهو يعتمد أساساً على ما تعرفه العرب من أسرار لغتها ببيانها وبلاغتها، ويُستعان بأسباب النزول أحياناً على كشف وجه المناسبة بين الآيات، كما أنه من أعمال العقل لتدبر كتاب الله تعالى .

(١) - ظ : جهود السابقين، ص ٩ من هذا البحث .

(٢) - فتح القدير : ٧٢/١ .

وتحفظ بعضهم على القول بقبول التناسب في القرآن الكريم متذرعاً بأنه قد نزل متفرقاً في أكثر من ثلاث وعشرين سنة، وكان نزوله لأسباب مختلفة وحوادث متفرقة، ومن هنا فلا يجد ما يدعو إلى القول بالترابط والتناسب بين آياته وسوره .

وهنا أيضاً لا يمكننا الأخذ بهذا الرأي، لأن القرآن الكريم وإن نزل متفرقاً ولأسباب مختلفة لكنه (على حسب الوقائع تنزيلاً، وعلى حسب الحكمة ترتيباً، فالمصحف كالمصحف الكريمة على وفق ما في الكتاب المكنون مرتبة سوره وآياته بالتوقيف) (١).

إن آيات القرآن الكريم وسوره : (إن كانت بعد تنزيلها قد جُمعت عن تفريق فلقد كانت في تنزيلها مفرقة عن جمع كمثل بيان كان قائماً على قواعده فلما أريد نقله بصورته إلى غير مكان قُدرت أبعاده ورُقمت لبناته ثم فُرق أنقاضاً فلم تلبث كل لبنة منه أن عرفت مكانها المرقوم وإذا البنيان قد عاد مرصوصاً يشدّ بعضه بعضاً) (٢).

واشترط بعضهم لقبوله : أن يكون التناسب في أمر متحد وليس لأسباب مختلفة كعز الدين بن عبد السلام (ت ٦٦٦هـ) بقوله : (المناسبة علم حسن، ولكن يُشترط في حُسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يُشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر، وقال : ومن ربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلا بربط ركيك يُصان به حُسن الحديث فضلاً عن أحسنه، فإن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة؛ وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض، مع اختلاف العلل والأسباب كتصرف الملوك والحكام والمفتين وتصرف الإنسان بأمور متوافقة ومتخالفة ومتضادة وليس لأحد أن يطلب ربط بعض تلك التصرفات مع بعض اختلافها في نفسها واختلاف أوقاتها) (٣).

وفريق ثالث وقف موقفاً وسطاً، فهم يقولون بوجود التناسب في الآيات فقط دون السور، وموقفهم هذا مبني على أن ترتيب السور عندهم ليس أمراً توقيفياً، بل كان اجتهاداً من الصحابة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) لذا لا يرون وجهاً للترابط والتناسب بين السور، ويحصرونها فيما بين الآيات فقط، كالعلامة الطباطبائي وابن عاشور ومحمد هادي معرفة. (٤)

(١) - الزركشي، البرهان : ٥٠/١ .

(٢) - محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم : ١٥٤ .

(٣) - الزركشي، البرهان : ٥٠/١، المبيدي، قواعد التفسير : ٣١٧ .

(٤) - ظ : ابن عاشور، التحرير والتنوير : ٨/١، والطباطبائي، الميزان : ١٩/١٠، ومحمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن : ٢٥٤/٥ .

وعلى الرغم من تفاوت الآراء في وجود التناسب وأهميته إلا أنه موجود بين آيات القرآن الكريم وسوره ، وأن معرفة وجوهه تساهم في تفسير القرآن إذ : (تساعد المفسر على ترجيح رأي على آخر إذا تساوى في القوة وكان أحدهما أليق بارتباط أجزاء الآية أو الآيات فإن العقل يتوجه بداهة لترجيح ما هو أولى بنظم الكلام) ^(٥) .

٢ - التناسب في جهود السابقين

حفلت وجوه التناسب بأهمية خاصة في جهود العلماء والمفسرين لما لها من أهمية في تفسير القرآن الكريم من جانب ، وفي كشف إعجازه من جانب آخر ، فبعض المفسرين أولاهما عناية كبيرة إلى الحدّ الذي جعل تفسيره قائماً عليها ، بينما اكتفى بعضهم الآخر بالإشارة إلى مواضع الترابط بين الآيات عندما يستدعي الأمر توضيح وجه التناسب بينها والتي قد تبدو للقارئ أنها لا صلة لها بما قبلها أو بما بعدها من الآيات .

ومن خلال متابعة ما كتبه السابقون - من علماء ومفسرين - تتضح جهودهم في هذا المجال ، ولا أدعي هنا الإحاطة والشمول لجهود كل من أدلى بدلوه في هذا العلم، ولكن بما تيسر من المصادر في محاولة لبيان تلك الجهود .

^(٥) - سامي عطا ، المناسبات بين الآيات والسور (بحث) .

وأقدم من تعامل مع التناسب فناً قرانياً هو أبو بكر النيسابوري (ت ٣٢٤هـ) فقد أورد له الزركشي (ت ٧٩٤هـ) انه كان يقول : (لِمَ جُعِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ إِلَى جَنْبِ هَذِهِ، وَمَا الْحِكْمَةُ فِي جَعْلِ هَذِهِ السُّورَةِ إِلَى جَنْبِ هَذِهِ السُّورَةِ، وَكَانَ يُزْرِي عَلَى عُلَمَاءِ بَغْدَادِ عَدَمَ عِلْمِهِمُ بِالْمُنَاسِبَةِ) (١) .

وللخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠هـ) اهتمام بهذا الموضوع ، فقد أشار إلى وجوه التناسب بين الآيات في كتابه (درة التنزيل و غرة التأويل) حينما يبيّن المتشابهات (التماثلات) من الآيات .

كما هو الحال في قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا فَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ فإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (١) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾ (٢) فنقول : (فللسائل أن يسأل عن خاتمتي الآيتين (عذاب أليم) و (عذاب مهين) وعمّا أوجب اختصاص كل واحدة منها بما ذكر ؟ فيربط الفاصلة بما ذكر في صدر الآية الأولى من (ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله والحدود التي حدّها ثم سمى من لم يؤمن كافراً باسمه وتوعده بالعذاب الموجه المبالغ فيه ... أما قوله (عذاب مهين) فلأن قبله ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا ﴾ فجعل الكبت جزاء من آثر حزباً غير حزب الله ورسوله وحداً غير حدّهما ... فوصف العذاب الذي ينزل به الإذلال والإهانة ، وان كان كل مؤلم مهيناً وكل مهين مؤلماً (٣) .

وذكر الشيخ الطوسي (ت ٤٦٠هـ) المناسبة بين الآيات في بعض المواضع من تفسيره (التبيان في علوم القرآن) كما في قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ

(١) - البرهان في علوم القرآن : ٤٩/١ .

(١) - المجادلة : ٤ .

(٢) - المجادلة : ٥ .

(٣) - درة التنزيل و غرة التأويل : ٢٧٢ .

مَنْ اتَّقَىٰ ۖ وَاتُّوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤﴾ (فان

قيل أي تعلق لقوله تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ بسؤال القوم من الأهلّة ؟ قلنا : لأنه لما بيّن ما فيه وجوه الحكمة اقتضى لتعلموا على أمور مقدرة ولتجري أموركم على استقامة فان البر أن تُطيعوا أمر الله (١) .

كما بيّن وجه تعلق بعض السور مع بعضها بقوله : (ألم نشرح من الضحى سورة واحدة لتعلق بعضها ببعض) (٢) .

أما الكرمانى (ت٥٠٥هـ) فقد أشار في كتابه (البرهان في توجيه متشابه القرآن) إلى وجوه التناسب ، فحينما يذكر الآيات المتشابهات (المتماثلات) يبيّن سبب الزيادة والنقصان ، والتقديم والتأخير ، أو إبدال حرف مكان حرف ، أو سبب التكرار، ويربط كل ذلك بالآيات السابقة واللاحقة للآية ، ويبيّن الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية الأخرى والفائدة من ذلك ، فيقول : (وهل كان يصح ما في هذه السورة مكان ما في السورة التي تشاكلها أم لا ليجري ذلك مجرى علامات تُزيل إشكالها وتمتاز بها عن أشكالها) (٣) .

وأولى الزمخشري (ت٥٣٨هـ) وجوه التناسب بين الآيات اهتماماً كبيراً في تفسيره (الكشف عن حقائق التنزيل وغوامض التأويل) فلا يكاد يمرّ بمناسبة فيها إلا ويشير إلى ذلك بعبارات دالة عليها ، مثل قوله في سورة الضحى : (فان قلت كيف اتصل قوله : ﴿ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴾ ﴿٤﴾ بما قبله ؟ قلت : لما كان في ضمن نفي التوديع والقلبي : أن الله مواصلك بالوحي إليك وأنت حبيب الله ولا ترى كرامة أعظم من ذلك ... أخبره أن حاله في الآخرة أعظم من ذلك وأجل وهو السبب والتقدم على جميع أنبياء الله ...) (٥) .

وفي قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۚ

وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَىٰ ۖ وَاتُّوا الْبُيُوتَ مِنْ

(٤) - البقرة : ١٨٩ .

(١) - التبيان : ٢ / ١٤٢ .

(٢) - م . ن : ٣١٧ / ١٠ .

(٣) - البرهان في توجيه متشابه القرآن : ٢٠ .

(٤) - الضحى : ٤ .

(٥) - الكشف : ٧٧١ / ٤ .

أَبْوَيْهَا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦﴾ يقول : (فان قلت ما وجه اتصاله بما قبله) (٧) . فيشرح ذلك في عدة وجوه .
 أما التناسب بين السور فيشير إليه في تفسيره لسورة قريش وتعلقها بسورة الفيل، لقوله تعالى : ﴿لَا يَلْفِ قُرَيْشٍ﴾ (١) : (انه متعلق بما قبله أي فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش) (٢) .

ويرى أبو بكر بن العربي (ت ٥٤٣هـ) : (إن ارتباط أي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم لم يتعرض له إلا عالم واحد (٣) عمل فيه سورة البقرة ثم فتح الله عز وجل لنا فيه ، وإنما لما لم نجد له حملة ووجدنا الخلق بأوصاف البطلة (٤) ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه) (٥) .

وأورد الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) من ملامح التناسب أبعاداً متعددة في تفسيره (مجمع البيان في تفسير القرآن) سواء التناسب ما بين الآيات أو ما بين السور ، كما قال بالتناسب بين الجمل أيضا ، يتضح ذلك في بيانه لوجه النظم بعبارات دالة على ذلك، مثلاً في قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ۗ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ (٦) (ففي وجه اتصال ذكر موسى عليه السلام) بما قبله ، أن المراد بالآية كما أتيناك يا محمد القرآن فكذبوك (٧) .

وحيثما يذكر الأقوال المتعددة في تفسير آية ما يبين أقرب الوجوه في النظم، كما في تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ الْيَتَامَىٰ مَثَنَىٰ وَثُلُثَ وَرُبَعٌ ۗ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ

(٦) - البقرة : ١٨٩ .

(٧) - الكشاف : ٢٦١/١ .

(١) - قريش : ١ .

(٢) - الكشاف : ٢٦٠/١ .

(٣) - لم يذكر اسم هذا العالم أو ما يدل عليه كما لم تذكره المصادر الأخرى .

(٤) - أي اللهو والجهالة ، ظ : ابن منظور ، لسان العرب : ٤٣٢/١ .

(٥) - الزركشي ، البرهان : ٤٩/١ .

(٦) - السجدة : ٦ .

(٧) - مجمع البيان : ١١١/٨ .

أَيَّمَنُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٨﴾ فيقول : (القول الأول أولى وأقرب إلى نظم الآية ولفظها) (٩) .

وفي ربطه بين السور ، كسورتي الليل والضحى ، يقول : (ختم الله سبحانه وتعالى السورة [الليل] بأن الأتقى يعطيه من الثواب ما به يرضى وافتتح هذه السورة [الضحى] بأنه يرضى نبيّه بما يؤتيه يوم القيامة من الكرامة والزلقى) (١٠) .

ويُعدّ الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) من أبرز المفسرين عناية بالتناسب بين الآيات في تفسيره (مفاتيح الغيب) فقد نُقل عنه قوله : (أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط) (١١) كما يتضح ذلك في تفسيره لسورة البقرة بقوله : (ومن تأمل في لطائف هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما إنه معجز بفصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو - أيضا - معجز بسبب ترتيب ونظم آياته ، ولعل الذين قالوا : أنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك ، إلا إنني رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأسرار ، وليس الأمر في هذا الباب إلا كما قيل :

والنجم تستصغر الأبصار رؤيته الذنب للطرف لا للنجم في الصغر) (١٢) .

ففي تفسيره لقوله تعالى : ﴿ وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١٣) .

يقول : (اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها من وجهين ...) (١٤) وفي بيانه للعلاقة بين السور يشير إلى أن وجه اتصال سورة الكوثر بسورة الماعون بقوله : (إن هذه السورة كالمقابلة للسورة المتقدمة) (١٥) .

ويرى محي الدين بن عربي (ت ٦٣٨هـ) أنه : (لا بد من مناسبة بين أي القرآن وإن كان بينهما بُعد ظاهر ، ولكن لا بد من وجه جامع بين الآيتين هو الذي أعطى أن تكون هذه الآية مناسبة لما جاورها من الآيات لأنه نظم إلهي ... إن مسمّى

(٨) - النساء : ٣ .

(٩) - مجمع البيان : ١٤/٣ .

(١٠) - مجمع البيان : ٣٧٩/١٠ .

(١١) - الزركشي ، البرهان : ٤٩/١ .

(١٢) - مفاتيح الغيب : ١١٢/١ ، في تفسير الآية (٢٨٥) من سورة البقرة (آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه ...) . والبيت يُنسب للعرجي لكنه غير موجود في ديوانه ، ظ : ديوان العرجي .

(١٣) - البقرة : ١٩٥ .

(١٤) - مفاتيح الغيب : ١١٥/٥ .

(١٥) - م . ن : ١١١/٣٢ .

الآية لزمها أمور من قبل أو بعد يظهر من قوة الكلام أن الآية تطلب تلك اللوازم فلا تكمل الآية إلا بها ... (٧) .

وممن اهتم بهذا العلم أيضا ابن الزمكاني (ت ٦٥١هـ) حيث كان يذكر في بعض دروسه مناسبة استفتاح السور مع بعضها كسورتي الإسراء والكهف (١) ويستدل بوجود الترابط بين السور على وجوده فيما بين الآيات بقوله : (وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى السور ، فما ظنك بالآيات وتعلق بعضها ببعض ؟ بل عند التأمل يظهر أن القرآن كله كالكلمة الواحدة) (٢) .

أما الرازي النيسابوري (ت ٦٦٦هـ) فله إشارات كثيرة في كتابه (مسائل الرازي من غريب آي التنزيل) إلى التناسب بين الآيات تتضح من خلال عباراته التي يبين فيها وجه الارتباط بينها ، ومنها في بيانه لوجه الارتباط بين الآيات يقول :

(كيف طابق قولهم : ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴾ (٣) قوله : ﴿ ... قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ بِالنَّاسِ الْفِتْنَةَ لَا يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٤) هو كلام جرى مجرى التعجب ... كأنه قيل لهم ما أعظم عنادكم وكفركم وما أشد تصميمكم على كفركم) (٥) و (كيف اتصل وارتبط قولهم : ﴿ ... إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ ﴾ (٦) اتصاله به من حيث إنه عتاب الضعفاء للذين استكبروا ... كأنهم قالوا للضعفاء ما هذا الجزع والتوبيخ ، ولا فائدة فيه كما لا فائدة في الصبر فالأمر أعظم من ذلك وأعم) (٧) .

(٧) - مركز الثقافة والعلوم القرآنية ، علوم القرآن عند المفسرين : ٤٥٦ ، وظ : رحمة من

الرحمن في تفسير إشارات القرآن : ١٣/١ .

(١) - ظ : الزركشي ، البرهان : ٥١/١ .

(٢) - م . ن : نفس الجزء والصفحة .

(٣) - يونس : ٢٠ .

(٤) - الرعد : ٢٧ .

(٥) - مسائل الرازي : ١٥٦ .

(٦) - إبراهيم : ٢١ .

(٧) - مسائل الرازي : ١٦٠ .

وفي بيانه لسورة النصر يقول : (أي مناسبة بين الأمر بالاستغفار وبين ما قبله فإن مجيء النصر والفتح يناسب الشكر والحمد لا الاستغفار والتوبة)^(٨) .

ويُعدّ ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) أول من أفرد التناسب القرآني بالتصنيف في كتابه : (البرهان في تناسب سور القرآن) حيث خصصه لبيان التناسب بين السور ، فأشار بقوله : (ولم أرَ في هذا الضرب شيئاً لمن تقدم وغبر وإنما بدر لبعضهم توجيه ارتباط الآيات في مواضع متفرقات ... أما ترتيب السور فلم يقرع أحد هذا الباب ممن تأخر أو تقدم)^(١) .

كما حفل كتابه (ملاك التأويل) ببيان وجه التناسب بين الآيات ، فيشير إليها حينما يُوجّه المتشابهات فيها بعبارات دالة على ذلك ، ففي بيانه لارتباط آيات سورة الانفطار وسورة التكويد مع بعضها يقول : (إنما خُصت سورة الانفطار بلفظ الانفطار ليناسب مطلع السورة وافتتاحها ... وناسب انشقت السماء وانفطارها ، فانفطار السماء ، وانفجار البحار ، وبعثرة القبور ، وانتشار النجوم ، كل ذلك متناسب أوضح تناسب ، وحشر الوحوش ، وتزويج النفوس ، وتسجير البحار ، هذا كله اجتماع وائتلاف يناسب بعضه بعضاً ... فالتحام هذه الجمل في السورتين أبين التحام وأوضحه ملائمة وتناسباً ، فورد كل ذلك من ذلك على ما يجب ويناسب)^(٢) .

وفي قوله تعالى في سورة التكاثر : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾^(٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ

تَعْلَمُونَ ﴿^(٣) يقول : (انه تهديد ووعيد فناسبه التكرير تحقيقاً وتشبيهاً)^(٤) .

كما أشار في مقدمة الكتاب إلى تناسب بعض السور مع أسمائها وكذلك الحروف المقطعة وتناسبها عددياً مع كلمات السورة المفتتح بها .^(٥)

وأعطى النيسابوري (ت ٧٢٨هـ) التناسب بين الآيات والسور اهتماماً في تفسيره (غرائب القرآن ورغائب الفرقان) فبيّن ما بين الآيات من تناسب ، وكذلك ما بين السور ، ويتضح من خلال ما ذكره في خاتمة تفسيره بقوله : (... وكذا الكلام في بيان الرباطات والمناسبات بين السور والآيات وفي أنواع التكريرات وإضافة

(٨) - مسائل الرازي : ٣٨٧ .

(١) - سامي عطا ، المناسبات بين السور والآيات (بحث) ، وظ : الغرناطي ، البرهان في ترتيب

سور القرآن : ١٨١ .

(٢) - ملاك التأويل : ٥٠٣ .

(٣) - التكاثر : ٣ - ٤ .

(٤) - ملاك التأويل : ٥١٠ .

(٥) - ملاك التأويل : ٢٣ .

المشتبهات فإن للخواطر والظنون منها مجالاً وللناس الأكياس في استنباط الوجوه والنسب هناك مقالاً) (٦) .

ففي بيانه لوجوه التناسب بين سورتي العاديات والقارعة يقول : (لَمَّا خَتَمَ اللَّهُ السُّورَةَ الْمَتَّقِمَةَ بِأَحْوَالِ الْمَعَادِ ذَكَرَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ بَعْضَ أَحْوَالِ الْآخِرَةِ) (١) .

وما بين سورتي النجم والقمر يقول : (أول هذه السورة مناسب لآخر السورة المتقدمة : ﴿ أَزِفَتِ الْأَازِفَةُ ﴾ (٢) إلا أنه ذكر ههنا دليلاً على الاقتراب وهو قوله : ﴿ أَقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴾ (٣) (....) (٤) .

وكذلك ما بين سورتي القمر والرحمن ، فيقول : (... وما بين السورتين مناسبة أخرى من جهة أنه ذكر هناك ما يدل على الانتقام والغضب كقوله : ﴿ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي ﴾ (٥) ذكر في هذه السورة بعد تعداد كل نعمة ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ مرة بعد مرة وتذكير النعمة على النعمة لأنها مما توقظ الوسنان وتنبه أهل الغفلة والنسيان) (٦) .

وفي إشارة إلى تناسب أول السورة مع خاتمتها في تفسير سورة الواقعة في قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (٧) يقول : (وفيه رجوع إلى أول السورة) (٨) .

أما أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) صاحب تفسير (البحر المحيط) فقد اعتنى بالتناسب في الآيات وفي السور ، متأثراً بشيخه ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ)

(١) - غرائب الفرقان : ٧٠٦/٦ .

(٢) - غرائب الفرقان : ٥٥٢/٦ .

(٣) - النجم : ٥٧ .

(٤) - القمر : ١ .

(٥) - غرائب الفرقان : ٢١٦/٦ .

(٦) - القمر : ٣٩ .

(٧) - غرائب الفرقان : ٢٢٧/٦ .

(٨) - الواقعة : ٤٩ - ٥٠ .

(٩) - غرائب الفرقان : ٢٤٢/٦ .

الذي سبقه في هذا المجال ،وقد نقل في تفسيره عنه الشيء الكثير ،كما أشار إلى ذلك في مقدمته بقوله : (... وأشرع في تفسير الآية ذاكراً سبب نزولها إن كان لها سبب ونسخها ومناسبتها وارتباطها بما قبلها) (٩) .

ففي بيانه لارتباط الآيات مع بعضها في قصة مريم ،قوله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ فِي

الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١١﴾ فَأَخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا

فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٢﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ

كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٤﴾ قَالَتْ أَنَّى

يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿١٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلِيُّ

هَيْنٌ ۗ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿١٦﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَدَتْ

بِهِ ۗ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿١٧﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ

هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّوَسِيًّا ﴿١٨﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ

سَرِيًّا ﴿١٩﴾ وَهَزِيءَ إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٠﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي

وَقَرِّي عَيْنًا ۚ فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ

الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢١﴾ يقول : (ومناسبة هذه الآيات لما قبلها : أنه تعالى لما ذكر قصة

زكريا وطلبه الولد وإجابة الله إياه فولد له من شيخ فان وعجوز عاقر ،وكان ذلك مما يُتَعَجَّب منه أردفه بما هو أعظم في الغرابة والعجب وهو وجود ولد من غير ذكر ،فدل ذلك على عظم قدرة الله وحكمته) (٢) .

وهو من القائلين بالتناسب بين السور أيضا ،ففي بيانه لتناسب السور يذكر وجه ارتباط سورة الجن بسورة نوح بقوله : (هذه السورة مكيّة ووجه مناسبتها لما قبلها : أنه لما حكى تمادي قوم نوح في الكفر وعكوفهم على عبادة الأصنام وكان عليه السلام أول رسول إلى الأرض كما أن محمد(صلى الله عليه وآله) آخر رسول إلى الأرض ،والعرب الذي هو منهم عليه الصلاة والسلام كانوا عبّاد أصنام كقوم

(٩) - البحر المحيط : ١٠٣/١ .

(١) - مريم : ١٦ - ٢٦ .

(٢) - البحر المحيط : ١٦٩/٦ .

نوح ... وتوقف عن الإيمان به أكثرهم ،أنزل الله سورة الجن إثر سورة نوح تذكيراً لقريش والعرب في كونهم تباطؤوا عن الإيمان ،إذ كانت الجن خيراً منهم وأقبل للإيمان ،هذا وهم من جنس غير جنس الرسول ... (٣) .

وأكد ولي الدين الملوي (ت٧٧٤هـ) (*) على أهمية التناسب بقوله : (قد وهم من لا يطلب للآية الكريمة مناسبة لأنها على حسب الوقائع المتفرقة ،وفصل الخطاب؛إنها على حسب الوقائع تنزيلاً وعلى حسب الحكمة ترتيباً وتأصيلاً ... والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أول شئ عن كونها مكتملة لما قبلها أو مستقلة،والمستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك علم جمّ ،وهكذا في السور يطلب وجه اتصالها بما قبلها وما سيقف له) (١) .

وبيّن الزركشي (ت٧٩٤هـ) أهمية علم التناسب بقوله : (واعلم أن المناسبة علم شريف تُحرز به العقول ويُعرف به قدر القائل فيما يقول ... وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بعضها بأعناق بعض ،فيقوى بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء ... وقد قلّ اعتناء المفسرين بهذا النوع لدقته) (٢) .

وقد أفرد في كتابه (البرهان في علوم القرآن) فصلاً أسماه (في تعريف المناسبات بين الآيات) ذكر فيه أهمية هذا العلم ،كما ذكر أنواع الارتباط بين الآي وكذلك القول بالتناسب في ما بين السور . (٣)

واهتم الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) في كتابه (بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز) ببيان وجوه التناسب فيما بين المفردات و فيما بين المقاطع ،ففي تعليقه للمقطع المتكرر في السورة الواحدة يرى أنه ليس بتكرار بل أنه متصل بالمقطع الذي تعلق به .

ففي بيانه لتكرار قوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾

وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾ (ليس بتكرار لأن كل

(٣) - م . ن : ٣٣٩/٨ .

(*) - محمد بن أحمد بن عثمان العثماني الديباجي الملوي ،نسبة لقريية بصعيد مصر ،ولي الدين أبو عبد الله ،فقيه صوفي مفسر نحوي ،سافر إلى دمشق والروم ورجع إلى مصر ،وتوفي بها ،من آثاره : (شرح كلمتي الشهادة) و (الفكر فيما ينثر لمن شرح الله به صدره من النور والعبادة) و (إرشاد الطائف إلى علم اللطائف) و (إلهام الأفهام في معاني عقيدة شيخ الإسلام) و (حل الحبا لارتفاع الوباء) و (الشريد من طوال القصيد) . كحالة ،معجم المؤلفين : ٢٨٩/٨ .

(١) - السيوطي ،الإتقان : ٤٧١ .

(٢) - البرهان : ٤٨/١ .

(٣) - ظ . م . ن : ٥٠/١ وما بعدها .

واحد منهما متعلق بغير ما تعلق به الآخر ، فالأول متعلق بترك الطاعة إلى المعصية، والثاني متعلق بالشرك بالله تعالى (٥) .

وفي تقديم لفظ على آخر في قوله تعالى : ﴿ وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ ءِالِهَةً لَا تَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴾ (١) (قدم الضر موافقة لما قبله وما بعده ، فما قبله نفي وإثبات وما بعده موت وحياة ، وقد سبق قوله : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ﴾ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴾ (٢) قدم النفع موافقة لقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴾ (٣) (...) (٤) .

أما البقاعي (ت ٨٨٥هـ) فهو أكثر المفسرين اهتماماً وعناية بوجوه التناسب، سواء في الآيات أو ما بين السور ، فقد وضع تفسيره (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) على أساسها وبين فيه أهمية علم المناسبة ، كما جاء في مقدمته بقوله : (... وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب ، ذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقتين ؛ أحدهما : نظم كل جملة على حياها بحسب التركيب، والثاني : نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب) (٥) .

وللسيوطي (ت ٩١١هـ) في هذا المجال مؤلفات عدّة ، فقد أفرد في كتابه (الإتيان في علوم القرآن) نوعاً أسماه (في مناسبة الآيات والسور) ذكر فيه هذا العلم وقواعده وأنواع التناسب ووجوهه ، كما ذكرها كذلك في كتابه (معترك الأقران في إعجاز القرآن) (٦) .

(٤) - الذاريات : ٥٠ - ٥١ .

(٥) - بصائر ذوي التمييز : ٤٤٠/١ .

(١) - الفرقان : ٣ .

(٢) - الفرقان : ٥٥ .

(٣) - الفرقان : ٥٣ .

(٤) - بصائر ذوي التمييز : ٣٤٢/١ .

(٥) - نظم الدرر : ٥/١ .

(٦) - ظ : الإتيان : ٤٧٩ ، وما بعدها ، النوع الثاني والستون (في تناسب الآيات والسور) ، و : معترك الأقران : ٤٤/١ ، وما بعدها .

وكذلك أفرد للتناسب بين السور كتاباً مستقلاً أسماه (تناسق الدرر في تناسب السور) وخصص للتناسب مطالع السور وخواتيمها كتابه (مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع) وكذلك ذكرها في كتابيه (أسرار التنزيل) و (قطف الأزهار في كشف الأسرار).

وعرض الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) في تفسيره (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) للتناسب بين الآيات، وكذلك ما بين السور.

ففي إشارته إلى التناسب بين سورتي المائدة والنساء يقول: (... إن هاتين السورتين في التلازم والاتحاد نظير البقرة وآل عمران، فتأكد اتحاداً في تقرير الأصول من الوجدانية والنبوة ونحوهما، وهاتان في تقرير الفروع الحكيمية) (١).

وفي ارتباط أول سورة الأعراف بآخر سورة الأنعام يقول: (وأما وجه ارتباط أول هذه السورة بآخر الأولى فهو) أو (ووجه مناسبتها لما قبلها ..) (٢).

وللحائري (ت ١٣٥٣هـ) اهتمام كبير في وجوه التناسب في القرآن الكريم، يتضح في تفسيره (مقتنيات الدرر وملقطات الثمر في تفسير القرآن الكريم) (٣).

ففي بيانه لاتصال الآية: ﴿ إِن تَجْتَبُوا كِبَايِرَ مَا تُهَوِّنَ عَنْهُ نُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلِكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ (٤) بما قبلها وهي قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِلَبِّطٍ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجْرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ (٥) يقول: (لما قدم ذكر السيئات عقبه بالتغيب في اجتنابها) (٦).

كما أشار إلى وجود المناسبة بين مفتاح السورة وختامها في سورة الأنعام المفتحة بقوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ

(١) - روح المعاني: ٢٢٢/٣ .

(٢) - م . ن : ٣١٥/٤ .

(٣) ظ : فاضل مدب متعب، منهج الحائري في مقتنيات الدرر وملقطات الثمر (رسالة ماجستير) : ١٩٢، وما بعدها .

(٤) - النساء : ٣٠ .

(٥) - النساء : ٢٩ .

(٦) - مقتنيات الدرر : ٨٩/٣ .

وَالنُّورَ ۗ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿٧﴾ بقوله : (انه تعالى افتتح السّورة بالحمد على نعمه تعليماً وختمها بالمغفرة والرحمة ليُحمد على ذلك) (١) أي قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّن مَّاءٍ لَّيْبُلُوكُمْ فِي مَاءٍ آتَنكُمُ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٢) .

أما ربطه بين السّور فيقول : (لما ختم الله سورة يونس بذكر الوحي وأمر النبيّ بإتباع الوحي افتتح هذه السّورة [هود] ببيان الوحي) (٣) .

واهتم محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤ هـ - ١٩٥٣ م) ببيان التناسب في تفسيره (تفسير القرآن الحكيم) المشهور بتفسير (المنار) واعتناؤه به ، وتوظيفها في بيان الوحدة الموضوعية للسورة ، في الوقت الذي ركز أستاذه محمد عبده على السّياق أكثر ، فيقول : (ولا يزال شيخنا يجعل السّياق واحداً غير ملتفت في التناسب بين السّور) (٤) .

ويُشير إلى التناسب بما يدل عليه مثل : (ووجه التشابه بين هذه الآية وما قبلها ظاهر) أو (تأمل دقة بلاغة التناسب بين آيات القرآن فإنها نوع خاص من أنواع إعجازه) (٥) .

وكان الأستاذ محمد عبد الله دراز (ت ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م) قد عرض في كتابه (النبا العظيم) لأهمية التناسب بقوله : (... أن هذه المعاني تنتسق في السّورة كما تنتسق الحجرات في البنيان لا بل إنها تلتحم فيها كما تلتحم الأعضاء في جسم الإنسان ، فبين كل قطعة وجارتها رباط موضعي من أنفسها ، كما يلتقي العظامان عند المفصل ومن فوقها تمتد شبكة من الوشائج تحيط بها عن كثب كما يشترك العضوان بالشرابين والعروق وبالأعصاب ، ومن وراء ذلك كله يسري في جملة السّورة اتجاه معيّن ، وتؤدي بمجموعها فرضاً خاصاً كما يأخذ الجسم قواماً واحداً ، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية) (٦) .

(٧) - الأنعام : ١ .

(١) - مقتنيات الدرر : ٣٠١/٤ .

(٢) - الأنعام : ١٦٥ .

(٣) - مقتنيات الدرر : ٢٩٣/٥ .

(٤) - تفسير المنار : ١٣٥٧ ، في تفسير الآيات (١١٨ - ١٢٠) من سورة البقرة .

(٥) - م . ن : ٢٨٨/٨ ، في تفسير سورة الأعراف .

(٦) - النبا العظيم : ١٥٥ .

وألف عبد الله محمد الصديق الغماري كتاباً أسماه (جواهر البيان في تناسب سور القرآن) ذكر فيه وجوه التناسب بين السور فقط، فيذكر كل سورة وارتباطها مع ما قبلها وما بعدها .

فبيّن وجه التناسب بين سورتي التوبة والأنفال بقوله: (مناسبتها للأنفال أن موضوعهما الحز على قتال الكفار، وترك مهادنتهم، وحكم المغنم وما إلى ذلك)^(١).

كذلك ما بين سورتي مريم والكهف فيقول : (ومناسبتها لما قبلها : أن السورة السابقة اشتملت على قصص عجيبة تدل على كمال قدرة الله تعالى وبديع حكمته كقصة أصحاب الكهف وقصة موسى والخضر عليه السلام وقصة ذي القرنين، فجاءت هذه السورة مشتملة على قصص لا تقل عجباً وحكمة من القصص السابقة كأعطاء يحيى لذكرياً بعد كبره وعقم امرأته وحمل مريم بعيسى وهي بكر لم تنزوج وكلام عيسى وهو في المهدي)^(٢).

وكذلك محمود شلتوت (ت ١٣٨٣ هـ - ١٩٦١ م) في تفسيره (القرآن الكريم) فقد وظف المناسبة في بيان الوحدة الموضوعية لسور القرآن الكريم.^(٣)

ولسيد قطب (ت ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٦ م) في تفسيره (في ظلال القرآن) حديث عن الآيات المترابطة ببعضها، أبان فيه الهدف الكلي للسورة التي يقسمها على مقاطع تجمعها وحدة السياق، ويُعدّ السورة كاملة ذات وحدة موضوعية لها هدف مقصود .

ففي بيانه لاتصال بعض المقاطع في سورة آل عمران يقول : (هذه المقاطع الأربعة المتلاحمة في السياق تكمل ما سبق عرضه من السورة ... وتسير مع خطوطها الرئيسية العريضة التي فصلنا الحديث عنها ...)^(٤).

وأشار إلى وحدة سور الجزء الثلاثين من القرآن الكريم بقوله : (هذا الجزء كله ... ذو طابع غالب سورته مكية ما عدا سورتي (البينة) و(النصر) وكلها من قصار السور ... والأهم من هذا هو طابعها الخاص الذي يجعلها وحدة - على وجه التقريب - في موضوعها واتجاهها وإيقاعها وصورها وظلالها وأسلوبها العام)^(٥).

وأولى ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م) التناسب في القرآن الكريم أهمية كبيرة خاصة ما بين الآيات في تفسيره (التحرير والتنوير) بيّنه في مقدمة تفسيره، بقوله : (وقد اهتمت في تفسيرتي هذا ببيان وجوه الإعجاز ... واهتمت

(١) - جواهر البيان في تناسب سور القرآن : ٣٣ .

(٢) - م . ن : ٥٩ .

(٣) - ظ : محمود شلتوت ، تفسير القرآن الكريم ، الأجزاء العشرة الأولى .

(٤) - في ظلال القرآن : ٤٣٠/١ .

(٥) - م . ن : ٣٨٠/٦ .

أيضا ببيان اتصال الآي بعضها مع بعض وهو منزع جليل قد عني به فخر الدين الرازي، وألف فيه برهان الدين البقاعي... إلا أنهما لم يأتيا على كثير من الآي بما فيه مقنع... أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها أثر بعض فلا أراه حقاً على المفسر (١).

كما يُشير إلى المقصد الكلي للسورة الواحدة بقوله: (... ولم أغادر سورة إلا بيّنت ما أحيط من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصوراً على بيان مفرداته ومعاني جملة كأنها فُقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع جماله) (٢).

وقد حفل تفسيره بإشارات للتناسب ما بين الآيات كما في قوله تعالى: ﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَخُنُّ لَهُ عَبْدُونَ ﴾ (٣) فيقول: (هذا متصل بالقول المأمور في: ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ ... ﴾ (٤) وما بينهما اعتراض (...) (٥).

وفي تكرار قوله تعالى: ﴿ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٦) يقول: تكرير للوعيد والتهديد وهو متصل بما قبله ...) (٧).

أما العلامة الطباطبائي (ت ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م) فقد عرض لبيان التناسب والروابط بين الآيات في السورة الواحدة، حيث قسم السور على مقاطع تجمعها وحدة موضوعية، ثم بيّن أوجه الترابط بينها، كما يُشير إلى ذلك بقوله: (... وهذا من عجيب أمر القرآن، فإن الآية من آياته لا تكاد تصمت عن الدلالة ولا تعقم من الإنتاج إذا ضُمت إلى آية مناسبة أنتجت حقيقة من أبقار الحقائق، ثم الآية الثالثة تصدقها وتشهد بها، هذا شأنه وخاصته... على أن الطريق متروك غير مسلوک، ولو أن المفسرين ساروا هذا المسير لظهر لنا إلى اليوم ينابيع من بحاره العذبة وخزائن من أثقاله النفيسة) (٨).

ويرى أن السورة الواحدة موضوعية مترابطة بنفسها بقوله: (إن لكل سورة نوعاً من وحدة الترابط لا توجد بين أبعاض من سورته، ولا بين سورة وسورة، وعليه

(١) - التحرير والتنوير: ٨/١ .

(٢) - م . ن : ٨/١ .

(٣) - البقرة : ١٣٨ .

(٤) - البقرة : ١٣٦ .

(٥) - التحرير والتنوير : ٧٢١/١ .

(٦) - المرسلات : ٤٠ .

(٧) - التحرير والتنوير : ٤٠٨/٢٩ .

(٨) - الميزان : ٧٥/١ .

فالأغراض والمقاصد المتحصلة من السّورة مختلفة، وإن كل واحدة مسوقة لبيان معنى خاص وغرض محصل لا تتم السّورة إلا به (١).

فهو يرى التناسب قائماً بين آيات السّورة الواحدة بينما ينفي وجود ترابط وتناسب بين السّور (٢) لكنه من جانب آخر يشير إلى تناسب جزئي بين بعض السّور كالحواميم والطواسين بقوله : (وإذا تدبرت في السّور التي تشترك في الحروف المفتوح بها مثل الميمات والراءات والطواسين والحواميم وجدت في السّور المشتركة في الحروف من تشابه المضامين وتناسب السّياقات ما ليس بينها وبين غيرها من السّور) (٣).

وقد حفل تفسيره بعبارات تشير إلى التناسب بين الآيات ، منها : (وللاية اتصال بما قبلها) ، أو حينما يُبين ارتباط مقدمة السورة بخاتمتها ليقول : (ومختتم السّورة فيه إرجاع إلى ما في مفتحتها) أو (خُتمت السّورة بما بدأت به) وغيرها .

وأورد محمد عزة دروزة (ت ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) نسبة الروابط بين آيات ومضمون السّورة ، وعطف الجمل على بعضها سياقاً أو موضوعاً لبيان النظم القرآني والترابط الموضوعي ، فيقول : (لأن هناك من يتوهم أن آيات السّور وفصولها مجموعة إلى بعضها بدون ارتباط وانسجام في حين أن إمعاننا النظر فيها جعلنا على يقين تام بأن أكثرها مترابط ومنسجم) (٤) إلا أنه جعل ترتيب السّور في تفسيره وفقاً لنزولها وليس بحسب الترتيب المعروف .

واعتمد سعيد حوى (ت ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م) في تفسيره (الأساس في التفسير) على الروابط بين الآيات بعضها مع بعض وبين السّور ، كما اهتم بفواتح السّور ، وحاول إبراز وحدة النصّ القرآني من خلال تلك الروابط بين آياته وسوره ، فقسّم السّورة إلى مقدمة وأقسام أو مقاطع وخاتمة ، ويرى أن محاور سورة البقرة تُفصّل في سور القرآن ، وأن هذا نوع من أنواع الإعجاز في القرآن . (٥)

وألف عبد الله محمود شحادة (ت ٢٠٠٢م) كتاباً بعنوان (أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم) بيّن فيه الغرض العام لكل سورة مستفيداً من الترابط بين أجزاء السّورة الواحدة .

(١) - الميزان : ١٩/١ .

(٢) - ظ : الميزان : ٧٨/٣ ، و ١٢٤/١٢ ، تفاصيل رأيه فيها في موضوع الترتيب القرآني في الفصل الأول .

(٣) - م . ن : ٨/١٨ .

(٤) - التفسير الحديث : ٧/١ .

(٥) - ظ : الأساس في التفسير : ٢٨/١ ، ٦٧٤ .

وأما محمد هادي معرفة فيقول بالتناسب بين الآيات بعضها مع بعض، ويرى أن التناسب القائم في كل سورة على حدة يشكل وحدة موضوعية قائمة بذاتها، كذلك يقول بالتناسب في الفواصل وفواتح السور وخواتيمها^(١) إلا أنه ينفي وجود التناسب بين السور بعضها مع بعض بقوله : (أما التناسب بين السور بعضها مع بعض حسب ترتيبها الراهن في المصحف الشريف فلا ضرورة تدعو إليه وإن تكلفه أناس، إذ أن هذا النظم السورّي القائم شئ صنعه أصحاب الجمع بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) وليس مستنداً إلى وحي السماء... فمن التكلف الباهت اختلاق التناسب بين خواتيم السور ومفتحات السور التالية لها لأنه التزام بما لا يلزم فضلاً عن كونه تعسفاً في الرأي والاختيار)^(٢) .

وللدكتور محمود البستاني بحوث متعددة في تناسب آيات القرآن الكريم، إذ يقوم تفسيره (التفسير البنائي) على أساس الترابط بين الآيات في السورة الواحدة بعضها مع بعض، فهو : (يتناول السور من حيث عمارتها وفق أسلوبين : أحدهما؛ الوقوف عند السمات الفكرية والموضوعية التي تربط الآيات مع الأخرى، والثاني؛ الوقوف عند السمات الفنيّة أيضاً، أي ملاحظة مجموع السورة من حيث بدايتها ووسطها ونهايتها من جانب، ثم علاقة كل آية بما سبقها ولحقها من جانب ثان)^(٣) .

وهو بذلك يهدف إلى إبراز الوحدة العامة التي تحكم السورة بالنظر إليها من زوايا متعددة .

هذا الكمّ الهائل من الآراء المجمع على أهمية التناسب بين الآيات من جهة، أو القائلة بوجود التناسب بين السور من جهة أخرى، أعطى فرصة ذهبية لبحث هذا الموضوع في هذه الرسالة .

(١) - التمهيد في علوم القرآن : ١٨٧/٥ ، وما بعدها حيث أفرد له فصلاً بعنوان تلاؤم فرائده وتآلف خرائده .

(٢) - التمهيد في علوم القرآن : ٢٥٤/٥ .

(٣) - محمود البستاني، التفسير البنائي للقرآن الكريم : ٨/١ - ٩ .

الفصل الأول

(علاقات التناسب في القرآن الكريم)

- المبحث الأول - التناسب والترتيب القرآني .
- المبحث الثاني أنواع العلاقات في التناسب القرآني .

(التناسب والترتيب القرآني)

- ١ - ترتيب الآيات .
- ٢ - ترتيب السور .

- أ - الترتيب التوقيفي .
- ب - الترتيب الاجتهادي .
- ج - الترتيب الثالث .

- ٣ - خلاصة ورأي .

التناسب والترتيب القرآني

لا بد قبل الدخول في علاقات التناسب من أن نتناول الترتيب القرآني بالبحث؛ لأن علاقاته تتكى أساساً على الترتيب القرآني الذي رُتب عليه المصحف الشريف الذي بين أيدي المسلمين وليس على أساس ترتيب النزول، فيتضمن المبحث ترتيب آياته ثم ترتيب سورته .

١ - ترتيب الآيات

تتفق الآراء على أن ترتيب آيات القرآن كان بأمر النبي (صلى الله عليه وآله) وتوقيفه، فقد جاء في الروايات عنه (صلى الله عليه وآله) : (أتاني جبرئيل فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع من السورة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾ (١) ...) (٢) .

وروي عن الإمام الصادق (عليه السلام) : (كان انقضاء السورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم ابتداءً للأخرى) (٣) .

وروى مسلم (ت ٢٦١هـ) عن عمر، قال : (ما سألت النبي (صلى الله عليه وآله) عن شيء أكثر مما سألته عن الكلاله حتى طعن في صدري وقال : تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء) (٤) .

(١) - النحل : ٩٠ .

(٢) - مسند أحمد : ٢١٨/٤ .

(٣) - العياشي، تفسير العياشي : ٣٤/١ ح ٥ .

(٤) - صحيح مسلم : ٦٢٧ ح ١٦١٦، كتاب الفرائض، والآية هي : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ

يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرُؤًا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أختٌ ... ﴾ (النساء/١٧٦)

سُميت هذه الآية بآية الصيف لأنها نزلت في الصيف، السيوطي، الدر المنثور : ٧٠٢/٢، وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث : ٦٨/٣ .

كما روي أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يقرأ سوراً عديدة في صلاته، وذكرها منها الأعراف والرحمن والنجم والجمعة والمنافقون وغيرها .^(١)

أي أنه كان يقرأ سوراً مرتبة كاملة، وهذا يدل على أنه (صلى الله عليه وآله) قد رتبها بنفسه ووضع آياتها في مواضعها التي أمره الله بها .

وروى البخاري (ت ٢٥٦هـ) عن ابن الزبير : (قال : قلت لعثمان بن عفان : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ... ﴾^(٢) نسختها الآية الأخرى^(٣) ، فلم تكتبها أو تدعها ؟ قال : يا بن أخي لا أُغَيِّرُ شيئاً من مكانه)^(٤) .

وكما دلت الروايات على أن ترتيب الآيات توقيفي فقد جاءت آراء العلماء مؤيدة لذلك ، ومنهم :

القاضي أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) حيث يقول : (ترتيب الآيات واجب ، وحكم لازم ، فقد كان جبرئيل يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا)^(٥) .

ويرى ابن الحصار (ت ٦١١هـ)^(*) : (إن ترتيب السور ووضع الآيات في مواضعها إنما كان بالوحي ، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : ضعوا آية كذا في موضع كذا ، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومما أجمع عليه الصحابة على وضعه هكذا في المصحف)^(٦) .

(١) - ظ : السيوطي ، الإتيان : ٩٥ .

(٢) - البقرة : ٢٤٠ .

(٣) - أي قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرْتَبِنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ

أَشْهُرٍ وَعَشْرًا... ﴾ (البقرة / ٢٣٤) .

(٤) - صحيح البخاري : ٨١٦ ح ٤٥٣٠ ، كتاب تفسير القرآن ، تفسير سورة البقرة .

(٥) - الزركشي ، البرهان : ١٨١/١ .

(*) - علي بن محمد بن إبراهيم ، فقيه اشبيلي الأصل ، نشأ بفاس ، جاور مكة وتوفي بالمدينة سنة (٦١١هـ) له كتب في (أصول الفقه) و (الناسخ والمنسوخ) و (البيان في تنقيح الأذهان) الزركلي ، الأعلام : ٣٣٠/٤ .

(٦) - السيوطي ، الإتيان : ٩٦ .

وأكد ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) ذلك بقوله : (ترتيب الآيات في سورها واقع بترتيبه (صلى الله عليه وآله) وأمره من غير خلاف بين المسلمين)^(١) .

وأيده في ذلك الزركشي (ت ٧٩٤هـ) بقوله : (وأما ما يتعلق بترتيبه ، فأما الآيات في كل سورة ووضع البسمة أوائلها فترتيبها توقيفي بلا شك ولا خلاف، ولهذا لا يجوز تعكيسها)^(٢) .

ولا شك أن ترتيب الآيات بهذا الشكل لا بد أن يكون لسبب ما اقتضى أن توضع هذه الآية إلى جنب هذه الآية دون أن يكون لسبب النزول أو زمانه أو مكانه دور في ذلك بل هو أمر توقيفي اقتضته الحكمة الإلهية .

ويضيف بعضهم : (هناك عامل آخر عمل في نظم قسم من الآيات على خلاف ترتيب نزولها ، وذلك بنص من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وتعيينه الخاص ؛ كان يأمر - أحياناً - بثبت آية في موضع خاص من سورة سابقة قد خُتمت من قبل ، ولا شك أنه (صلى الله عليه وآله) كان يرى المناسبة القريبة بين هذه الآية النازلة والآيات التي تسبق نزولها فيأمر بثبتها معها بأذن الله تعالى ... وهذا جانب استثنائي للخروج عن ترتيب النزول كان بحاجة إلى تصريح خاص)^(٣) .

فقد تأتي آية تختلف - ظاهراً - في موضوعها بين آيات قد تشترك في موضوع ما ، ويُستدل على ذلك بأن آيات كثيرة وُضعت في مواضع من سور بأمر النبي (صلى الله عليه وآله) اقتضتها حكمة الترابط والتناسب بينها ، منها قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾^(٤) فجعلت في سورة النحل بين

آيات الاستشهاد وهي قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ

لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾^(٥) وآيات العهد ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا

(١) - السيوطي ، الإتيان : ٩٤ .

(٢) - البرهان : ١٨١/١ .

(٣) - محمد هادي معرفة ، التمهيد في علوم القرآن : ٢٨١/١ .

(٤) - النحل : ٩٠ .

(٥) - النحل : ٨٤ .

بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١﴾ .

وكذلك الآية : ﴿ وَأَتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ (٢) فأشار جبرئيل أن توضع بين آيات الربا ، وهي قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَاتْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٣) وآية الدين ، وهي قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنُتُمْ بَدَيْنِ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلِيَّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ فَإِنْ لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْب الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ

(١) - النحل : ٩١ .

(٢) - البقرة : ٢٨١ .

(٣) - البقرة : ٢٧٥ .

وَأَنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾ ... وعن ابن عباس أنه قال : (إنها آخر ما نزل من القرآن ، فقال جبرئيل :
ضعها على رأس الثمانين والمائتين) (٢) .

وقد تأتي آيات من سورة أخرى سابقة بعد أن تكون قد نزلت سورة أخرى
واكتملت قبل أن تكتمل السورة الأولى ، وكان (صلى الله عليه وآله) يشير إلى وضع
تلك الآية أو الآيات في السورة الأولى في موضعها الذي يشير إليه ، كما في الآية :
﴿ إِنَّ الصَّافَا وَالْمَرَّوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ
يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

فهي من سورة البقرة التي كانت أول سورة ابتدأ نزولها في المدينة ، لكن
نزولها استمر سنوات إلى ما بعد السنة السادسة للهجرة . (٤)

هذه الآية نزلت عندما تخرج المسلمون من السعي بين الصفا والمرّوة بسبب
وجود الصنمين - إساف ونائلة (٥) - عليهما ، وكان المشركون وضعوهما ويطوفون
بينهما ويلمسونهما ، فنزلت الآية دفعاً لتوهم الحظر : (وكان نزولها بعد صلح
الحديبية في عمرة القضاء في العام السادس من الهجرة ، وبأمر من النبي (صلى الله
عليه وآله) وضعت هذه الآية في هذا الموضع من السورة ... وهكذا نزلت آيات الحج
العام نفسه وثبتت في هذه السورة) (٥) فلا بد من وجود سبب استدعى وضعها في
هذا الموضع .

وهناك آيات رُتبت في مواضع من السور لا تلتئم مع تاريخ نزولها ، لكنها
كانت بأمره (صلى الله عليه وآله) كما في سورة الممتحنة : تبتدئ هذه السورة من

(١) - البقرة : ٢٨٢ .

(٢) - الطبرسي ، مجمع البيان : ٢١٤/٢ .

(٣) - البقرة : ١٥٨ .

(٤) - ظ : محمد هادي معرفة ، التمهيد : ٢٨١/١ .

(٥) - صنمان كانا يعبدان في الجاهلية ، ظ : جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام :
٢٠٩/٦ .

(٥) - محمد هادي معرفة ، التمهيد : ٢٨٢/١ .

الآيات (١ - ٩) نزلت في العام الثامن من الهجرة بشأن حاطب بن أبي بلتعة (*) وكان قد كاتب قريشاً يُخبرهم بتأهب النبي (صلى الله عليه وآله) لغزو مكة، وكان النبي (صلى الله عليه وآله) يحاول الإخفاء، وتتعقب هذه الآيات آيتان نزلتا بشأن سبيعة الأسلمية (**).

وكانت قد أتت النبي (صلى الله عليه وآله) مهاجرة تاركة زوجها الكافر، فجاء في طلبها فاستعصمت بالنبي (صلى الله عليه وآله) وصادف مجيؤها صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة، أي بعد أن عاهد النبي (صلى الله عليه وآله) قريشاً على ردّ كل من يأتيه من مكة مسلماً، فأخذ الزوج بمحاجة النبي (صلى الله عليه وآله) قائلاً: أردد عليّ امرأتي على ما شرطت لنا، وهذه طينة الكتاب لم تجف، فتحرّج النبي (صلى الله عليه وآله) في أمرها فنزلت الآيتان (١):

وهما قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ۗ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِنَّ ۗ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُنَّ مَّا أَنفَقُوا ۗ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ ۗ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ ۗ وَسَأَلُوا مَّا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُمْ مَّا أَنفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ تَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقِبْتُمْ فَاتُوا الَّذِينَ ۗ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَّا أَنفَقُوا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِءِءُ مُؤْمِنُونَ ۗ﴾ (٢).

(*) - ويكنى أبا محمد، وهو من لخم أحد بني راشد، شهد بدرًا والحديبية، بعثه النبي الى المقوقس صاحب الإسكندرية، وهو من الرماة المذكورين من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) مات بالمدينة سنة (٣٠ هـ) وهو ابن خمس وستين، ابن سعد، الطبقات: ٨٤/٣، وابن عبد البر، الاستيعاب: ٣٧٤/١.

(**) - سبيعة بنت الحارث، صحابية روت عن النبي (صلى الله عليه وآله) حديثاً، وهي أول امرأة أسلمت اثر العقد وطى الكتاب ولم تخف، فنزلت آية الامتحان، فامتحنها النبي (صلى الله عليه وآله) وآله) وردّ على زوجها مهر مثلها وتزوجها عمر، وقيل سبيعة بنت الحارث هي غير سبيعة الأسلمية التي روى عنها ابن عمر، ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٢٢٤/٨، وابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ٤١٤/٤، ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة: ١٣٨/٧، ابن حجر، الإصابة في معرفة الصحابة: ١٧٣/٨.

(١) - ظ: الواحدي، أسباب النزول: ٢٣٦.

(٢) - الممتحنة: ١٠ - ١١.

وبعد هاتين الآيتين آيات نزلت بشأن مبايعة النساء عام الفتح، أي في السنة التاسعة من الهجرة، وأما الآية الأخيرة من السورة، وهي قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾^(١) فإنها ترتبط مع آيات الصدر تماماً فبعدها: (افتتح سبحانه هذه السورة بالنهي عن اتخاذ الكفار أولياء، ختمها بمثل ذلك تأكيداً لترك موالاتهم وتنفير المسلمين عن توليهم وإلقاء المودة إليهم)^(٢).

فهذه السورة مثال واضح على أن الترتيب لا يقوم على أساس العامل الزمني، فلا بدّ من وجود تناسب بين الآيات جعل ترتيبها بالشكل الحالي على الرغم من أن هذا الترتيب قد يوحي بالخروج عن النظم الطبيعي ظاهرياً، إلا أنه عند دراسة السورة ككل يتضح أن هناك وحدة موضوعية تجمع آياتها، وهي العلاقات بين المسلمين وأعدائهم على كافة المستويات السياسية والاجتماعية، سواء أكانت على مستوى العلاقات الفردية أو الاجتماعية^(٣).

وقد تأتي آية - في ترتيبها النزولي - ناسخة لآية قبلها، بينما في ترتيبها في المصحف تأتي الآية النّاسخة قبل الآية المنسوخة، كما في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَّعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٤) نُسخت بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا^ط فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^(٥).

(١) - الممتحنة : ١٣ .

(٢) - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط : ٢٥٦/٨ .

(٣) - ط : البستاني، التفسير البنائي : ٥٣١/٤ .

(٤) - البقرة : ٢٤٠ .

(٥) - البقرة : ٢٣٤ .

فقد تقدمت هذه الآية الناسخة على سابقتها المنسوخة في ترتيبها في المصحف (وطبيعة النسخ تستدعي تأخر الناسخ على المنسوخ في حين تقدم عليه بست آيات).^(١)

وقد تأتي آية متأخرة - زمانياً - تتقدم آيات نزلت قبلها بسنوات كما في قوله تعالى : ﴿... أَلْيَوْمَ يَيْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ...﴾^(٢).

ففي الرواية أنه لم ينزل بعدها شئ ،وقد نزلت في غدير خم ،بعد رجوع النبي (صلى الله عليه وآله) من حجة الوداع ،بعدما نصّب عليّاً (عليه السلام) بالولاية،فنزل جبرئيل (عليه السلام) .

وروي عن الإمامين الصادق والباقر (عليهما السلام) ذلك ،وقالا : (هو آخر فريضة أنزلها الله تعالى ثم لم ينزل بعدها فريضة) .^(٣)

وفي رواية عن السدي : (... لم ينزل بعدها حلال ولا حرام)^(٤).

لكنها جاءت في سورة المائدة برقم (٣) وآيات الأحكام بعدها كثيرة ،كآية تحليل الطيبات برقم (٤) وآية طعام أهل الكتاب برقم (٥) وآية الوضوء برقم (٦) وآية السارق برقم (٣٨) وآية الأيمان برقم (٨٩) وآية الخمر برقم (٩٠) وآية تحريم الصيد برقم (٩٥) وآية تحريم ما حلله المشركون برقم (١٠٣) وآية الاستشهاد على الوصيّة برقم (١٠٧) كل ذلك أحكام تشريعية سُجلت بعد آية إكمال الدين ،في حين أنها نزلت قبلها قطعاً ،فلا بدّ هناك من مناسبة لإقحام مثل هذه الآية بين آيات تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير .^(٥)

فلا بدّ أن هذا الترتيب تكشفه طبيعة الروابط بين أجزاء سورة المائدة .

ومن هنا نجد أن ترتيب الآيات في سورها لم يخضع لترتيب نزولها ولا لأسبابه ولم ترتبط كذلك الآيات الناسخة بالمنسوخة وهكذا إذن لا بدّ من وجود روابط أخرى استدعتها طبيعة الترتيب المصحفي بهذا الشكل الذي رتبّه النبي (صلى الله عليه وآله).

(١) - محمد هادي معرفة ،التمهيد : ٢٨٣/١ .

(٢) - المائدة : ٣ .

(٣) - الطبرسي ، مجمع البيان : ٢٧٤/٣ .

(٤) - السيوطي ، الدر المنثور : ٢١/٣ .

(٥) - ظ - محمد هادي معرفة ،التمهيد : ٢٨٤/١ .

٢ - ترتيب السور

أما ترتيب السور على صورتها التي في المصحف، فقد اختلفت الآراء في كون هذا الترتيب توقيفياً من رسول الله (صلى الله عليه وآله) أم أنه اجتهاد من الصحابة حينما جمعوا القرآن بعد وفاته، ففي هذا الموضوع ثلاثة آراء، سنتعرض لها، وبعد استعراض الآراء سيتضح الرأي الراجح في هذه المسألة :

أ - الترتيب التوقيفي

ويُمثل الرأي الأول القائل بأن هذا الترتيب توقيفي سنّه الرسول (صلى الله عليه وآله) ويستدلون بروايات تبين أنه قد جمعه ورثبه قبل وفاته، منها :

ما أخرجه ابن أخته (ت ٣٦١هـ) (*) في (المصاحف) عن سليمان بن بلال ، قال : (سمعت ربيعة يسأل : لِمَ قُدمت البقرة وآل عمران وقد أنزل قبلهما بضع وثمانون سورة بمكة ، وإنما أنزلتا بالمدينة ؟ فقال : قُدمتا وألف القرآن على علم ممن ألفه به ... إلى أن قال : فهذا مما يُنتهى إليه ولا يُسأل) (١) .

وفي رواية أخرى ، عن أوس الثقفي ، قال : (كنت في وفد تقيف ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : طراً عليّ حزب من القرآن ، فأردت ألا أخرج حتى أقضيه . قال أوس : فسألنا أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كيف تحزبون القرآن ؟ قالوا : نحزبه ثلاث سور ، وخمس سور ، وسبع سور ، وتسع سور ، وإحدى عشرة سورة ، وثلاث عشرة سورة ، وحزب المفصل من ق حتى نختم) (٢) .

(*) - محمد بن عبد الله بن أخته ، أبو بكر ، عالم بالعربية والقراءات ، سكن مصر وتوفي فيها سنة (٣٦١هـ) من كتبه (المحبر) و (المفيد) في شواذ القراءات ، الزركلي ، الأعلام : ٢٢٤/٦ .

(١) - القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن : ٥٢/١ ، وعلوم القرآن عند المفسرين : ٤٥٩/١ .

(٢) - سنن أبي داود : ٢٨٨ ح ١٣٨٨ ، كتاب شهر رمضان ، باب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيبه .

هذه الرواية تدل على أنه (صلى الله عليه وآله) قد رتب كل سور القرآن الكريم وأعطى هذه التسميات لمجاميع هذه السور من أول القرآن الكريم إلى آخره، إذن ترتيبها توقيفي بأمره (صلى الله عليه وآله) .

وكذلك ما روي عن ابن مسعود، أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: (إنهن من العتاق وهنّ من تلادي^(*)، فذكرها نسقاً كما استقرّ ترتيبها)^(١) .

كما يُروى عنه (صلى الله عليه وآله) قوله: (أعطيت مكان التوراة السبع الطوال، وأعطيت مكان الزبور المثني، وأعطيت مكان الإنجيل المثاني، وفُضلت بالمفصل)^(٢) .

وقد استدل أبو جعفر النّحاس (ت ٣٣٨هـ) بهذه الرواية على أن تأليف السور من النبي (صلى الله عليه وآله) :

(والمختار أن هذا الترتيب من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهذا الحديث يدلّ على أن تأليف القرآن مأخوذ عن النبي (صلى الله عليه وآله) وأنه مؤلف من ذلك الوقت، وإنما جُمع في المصحف على شيء واحد، لأنه قد جاء هذا الحديث بلفظ رسول الله (صلى الله عليه وآله) على تأليف القرآن، وفيه أيضاً دليل على أن سورة الأنفال على حدة وليست من براءة)^(٣) .

ويؤيد هذا الرأي عدد كبير من العلماء، فممن مال إلى هذا الرأي ابن الأنباري (ت ٣٢٨هـ) بقوله: (أنزل الله القرآن كله إلى سماء الدنيا ثم فرقّه في بضع وعشرين سنة، وكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جواباً لمستخبر، ويوقف جبرئيل النبي (صلى الله عليه وآله) على موضع الآية والسورة، فاتساق السور كاتساق الآيات والحروف كلها عن النبي (صلى الله عليه وآله) فمن قدّم سورة وأخرها فقد أفسد نظم القرآن)^(٤) .

ويؤكد البيهقي (ت ٤٥٨هـ) توقيفية ترتيب السور بقوله: (القرآن كان على عهد النبي (صلى الله عليه وآله) مرتباً سورته وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبراءة)^(٥) .

(*) - العتاق: الأول من السور التي نزلت أولاً بمكة، وأنها أول ما تعلمه من القرآن، وتلادي: أي من أول ما أخذته وتعلمته، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ١٧٩/١٩٤، ٣/١ .

(١) - الزركشي، البرهان: ١٨٤/١ .

(٢) - مسند أحمد: ١٠٧/٤، الطبري، تفسير الطبري: ٧٠/١ .

(٣) - الزركشي، البرهان: ١٨٣/١، السيوطي، الإتقان: ٩٧ .

(٤) - الزركشي، البرهان: ١٨٣/١ .

(٥) - السيوطي، الإتقان: ٩٨ .

وتابعهما الكرمانى (ت ٥٠٥هـ) على ذلك بقوله : (ترتيب السور هكذا هو عند الله فى اللوح المحفوظ على هذا الترتيب ، وعليه كان (صلى الله عليه وآله) يعرض جبرئيل ما كان يجتمع عنده منه ، وعرضه عليه فى السنة التى توفى فيها مرتين)^(١) .

وأيد الطيبي (ت ٧٤٣هـ) ^(*) هذا الرأى بقوله : (أنزل القرآن إلى السماء الدنيا ثم نزل مُفرقاً على حسب المصالح ، ثم أثبت فى المصاحف على التأليف والنظم المثبت فى اللوح المحفوظ)^(٢) .

وكذلك ما نُقل عن ابن الحصار (ت ٦١١هـ) أن : (ترتيب السور ، ووضع الآيات ، إنما كان بالوحي ، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول : (ضعوا هذه الآية فى موضع كذا) وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومما أجمع عليه الصحابة على وضعه هكذا فى المصحف)^(٣) .

ونقل السيوطي ^(٤) عن ابن حجر (ت ٨٥٢هـ) قوله : (ترتيب معظم السور توقيفي لحديث أحمد وأبي داود عن أوس الثقفي ، قال : كنت فى وفد ثقيف ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : (طراً على حزب من القرآن فأردت ألا أخرج حتى أقضيه) قال أوس : فسألت أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) كيف تُحزبون القرآن ؟ قالوا : نحزبه ثلاث سور ، وخمس سور ، وسبع سور ، وإحدى عشرة سورة ، وثلاث عشرة سورة ، وحزب المفصل من ق حتى نختم)^(٥) .

استدل السيوطي (ت ٩١١هـ) على توقيفية الترتيب بترتيب الحواميم والطواسين فهو يرى أن هذه السور رُتبت متتابعة ، بينما لم تُرتب المسبحات بهذا الشكل من التتابع ، بل فصل بين سورها بسور أخرى وهى المجادلة والممتحنة والمنافقين ، كما فصل بين سورة الشعراء والقصاص بسورة النمل مع أنها أقصر منها ، ولو كان الترتيب اجتهادياً لرُتبت المسبحات متتابعة وأخرت سورة النمل عن القصص .^(٦)

(١) - البرهان فى توجيه متشابه القرآن : ٢٤ ، عبد القادر عطا : ٢٤ ، والسيوطي ، التحبير فى علم التفسير : ١٧٣ .

(*) - الحسين بن محمد بن عبد الله ، شرف الدين الطيبي ، من علماء التفسير والبيان والحديث ، من عراق العجم ، كان ملازماً لتعليم الطلبة والإنفاق عليهم ، متواضعاً ، ضعيف البصر ، آية فى استخراج الدقائق من الكتاب والسنة ، له مؤلفات منها : (التبيان فى المعانى والبيان) و (الخلاصة فى معرفة الحديث) و (شرح الكفاية) توفى سنة (٧٤٣هـ) . الزركلى ، الأعلام : ٢٥٦/٢ .

(٢) - السيوطي ، الإتيقان : ٩٧ .

(٣) - م . ن : ٩٧ .

(٤) - م . ن : ٩٦ .

(٥) - سنن أبي داود : ٢٨٨ ح ١٣٨٨ ، كتاب شهر رمضان ، باب قراءة القرآن وتحزيبه وترتيبه .

(٦) - ظ : السيوطي ، الإتيقان : ٩٧ .

ويُبيّن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ) : (أن القرآن كان على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن ، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يُدرس ويُحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له ، وإنه كان يُعرض على النبي (صلى الله عليه وآله) ويُتلى عليه ، وإن جماعة من الصحابة مثل عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي (صلى الله عليه وآله) عدّة ختمات ، كل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبدوث ، وذكر أن من خالف في ذلك من الإمامية والحشوية لا يُعتدّ بخلافهم ، فإن الخلاف في ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث ، نقلوا أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها ، ولا يرجع بمثلها عن العموم المقطوع على صحته) ^(١) .

(١) - الطبرسي ، مجمع البيان : ٤٣/١ .

ب - الترتيب الاجتهادي

وهو القائل بأن ترتيب القرآن في سورة اجتهادي من الصحابة عند جمعهم القرآن بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله)، وتقوم أدلة هذا الفريق على أساسين :

١ - اختلاف مصاحف الصحابة في ترتيب السور قبل أن يوحد القرآن في عهد عثمان، وادّعوا بأنه لو كان هذا الترتيب توقيفياً عن النبي (صلى الله عليه وآله) لما اختلفت مصاحفهم .^(١)

٢ - ما جاء في الروايات عن ابن عباس، قال : (قلت لعثمان : ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضعتموها في السبع الطوال ؟ فقال عثمان : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) تنزل عليه السور نوات العدد، فكان إذا نزل شيء دعا بعض من يكتب فيقول : ضعوا هذه الآية في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل في المدينة، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يُبين لنا منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضعتهما في السبع الطوال)^(٢).

وممن مال إلى هذا الرأي مالك (ت ١٧٩هـ) والقاضي أبو بكر الطيب (ت ٤٠٣هـ) وكذلك ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) بقوله : (جَمَعُ الْقُرْآنَ عَلَى ضَرْبَيْنِ؛ أَحَدَهُمَا، تَأْلِيفَ السُّورِ كَتَقْدِيمِ السَّبْعِ الطَّوَالِ وَتَعْقِيبِهَا بِالْمِئِينَ، فَهَذَا الضَّرْبُ هُوَ الَّذِي تَوَلَّاهُ الصَّحَابَةُ، وَأَمَّا الْجَمْعُ الْآخِرُ وَهُوَ جَمْعُ الْآيَاتِ فِي السُّورِ فَهُوَ تَوْقِيفِي تَوَلَّاهُ النَّبِيُّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ..)^(٣).

(١) - ظ : الزنجاني، تاريخ القرآن، فقد وصف مصاحف الصحابة في كتابه ووضع جداول مقارنة بينها : ٧٧، وما بعدها، وظ : محمد حسين الجليلي، دراسة حول القرآن الكريم : ٨٧ .

(٢) - سنن الترمذي : ٧١٣ ح ٣٠٨٦، في تفسير سورة التوبة .

(٣) - الزركشي، البرهان : ١٨١/١ .

كما وافقهم الرأي ابن جُزي (ت ٧٤١هـ) (*) : (فترتيب السور على ما هو عليه الآن من فعل عثمان وزيد بن ثابت والذين كتبوا معه المصحف) (١) .

وبهذا الرأي أيضا يقول العلامة الطباطبائي : (إن ترتيب السور إنما هو من الصحابة في الجمع الأول والثاني ومن الدليل عليه من الروايات ،وضع عثمان الأنفال وبراءة بين الأعراف ويونس ،وقد كانتا في الجمع الأول متأخرتين) (٢) .

ويؤكد ذلك في رده على القائلين بتواتر النقل بهذا الترتيب بعد أن يُفند آراءهم بقوله : (أما قولهم : أنه قد حصل اليقين بالنقل المتواتر من رسول الله (صلى الله عليه وآله) بهذا الترتيب الموجود في المصاحف فقد عرفت أنه دعوى خالية عن الدليل وان هذا التواتر لا خبر عنه بالنسبة إلى كل آية آية ،كيف وقد تكاثرت الروايات أن ابن مسعود لم يكتب في مصحفه المعوذتين ،وكان يقول : أنهما ليستا من القرآن ،وإنما نزل بهما جبرئيل تعويذاً للحسنين ... ولم يُنقل عنه أنه رجع عن قوله،فكيف خفي عليه هذا التواتر طوال حياته بعد الجمع الأول) (٣) .

وخالفه الدكتور الصغير ،فهو يرى أن القرآن جُمع في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) حيث بيّن ذلك بقوله : (لو سلمنا بأن جمع القرآن قد تم بعهد الصحابة وإنهم قد استشهدوا على إثباته شاهدين ،وان آيات لم يجدها إلا مع معينين بالذات،فعن زيد،قال : كتبت المصاحف وفقدت آية كنت أسمعها من رسول الله فوجدتها عند خزيمة بن ثابت الأنصاري : ﴿ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا

عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ... ﴾ (٤) وكذلك آية : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ

﴿... ﴾ (٥) وغيرها،فلا يصحّ عدّ آيات القرآن في أماكنها من السور ،ولا السور من المصحف توقيفياً ،وإنما هو باجتهاد الصحابة ،كما تدل عليه روايات الجمع في

(*) - محمد بن أحمد بن محمد ،أبو القاسم ،فقيه من العلماء بالأصول واللغة ،من أهل غرناطة ،من كتبه (القوانين الفقهية في تلخيص مذهب المالكية) والتسهيل لعلوم التنزيل) وهو تفسير للقرآن و (تقريب الأصول إلى علم الأصول) و(الفوائد الهامة في لحن العامة) . الزركلي ،الأعلام: ٣٢٥/٥ .

(١) - التسهيل لعلوم التنزيل : ٤/١ .

(٢) - الميزان : ١٢٤/١٢ .

(٣) - م . ن : ١٣٠/١٢ .

(٤) - الأحزاب : ٢٣ .

(٥) - التوبة : ١٢٨ .

ذلك، وإذا قلنا بتوقيف الآيات في السور من المصحف فلا بدّ أن نقول أن القرآن قد جُمع على عهد الرسول (صلى الله عليه وآله) ... (١) .

ويمكن الرد على أدلة هذا الفريق بالقول :

إن استدلال أصحاب هذا الرأي باختلاف مصاحف الصحابة يمكن ردهً بأنها كانت مصاحف خاصة بهم، جمعها وكتبها كل واحد منهم على حسب ما حفظه من سور أو حسب ما تنهاهى إلى سمعه منها وليست دليلاً على أن الترتيب القرآني الحالي ليس بتوقيفي .

كما لا يمكننا القبول برواية ابن عباس، فهي لا تدل على أكثر من اجتهاد الصحابة في سورتى الأنفال وبراءة، ولا تشمل القرآن كله، ولا اجتهاد مقابل النص .

والأمر الآخر؛ لا يمكن القول بأن النبي (صلى الله عليه وآله) تركها من بعده دون ترتيب، فحسب مضمون الرواية، أن الأنفال من أوائل ما نزل بالمدينة، وأن براءة من آخر القرآن نزولاً، فكيف يتركها (صلى الله عليه وآله) طيلة تلك المدّة دون أن يشير عليهم بوضعها في موضعها، أو أن يبيّن لهم أن براءة من الأنفال أو ليست منها؟! كما أن هناك رواية عن زيد، تدل على أنه رُتب على عهده (صلى الله عليه وآله) منها : (كُنّا عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) نُؤلف القرآن من الرقاع) .

(فقلوه : كنا مع جماعة نُؤلف القرآن من الرقاع، يعني أنهم كانوا قد رتبوا سوره بعد أن جمعه، وإلا ليس هناك من معنىٍ للتأليف إذا لم يكن دالاً على أن القرآن قد جُمع ورُتب في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ...) (٢) .

أما مسألة انتظارهم لانتهاى الوحي وانقطاعه فالروايات تدل على أن جبرئيل (عليه السلام) كان يعرض القرآن الكريم على النبي (صلى الله عليه وآله) في كل سنة مرّة، وفي السنة الأخيرة عرضه عليه مرتين، وهذا يعني أن السور كانت مكتملة ومرتبّة .

إن ترتيب السور بشكلها الحالي في المصحف لا يمكن أن يكون أمراً اجتهادياً، إذ أن هناك ترابطاً بين السور بعضها مع بعض، يتضح ذلك من خلال دراسة الروابط والعلاقات فيما بينها، قد يكون في اتحاد موضوعهما أو بروابط لفظية أو علاقات أخرى، تكشف أن هذا الترتيب والتنظيم لا يمكن أن يكون من قبل البشر مهما أوتي من قوّة وقدرة على الجمع بين أجزائه التي نزلت في أوقات مختلفة وظروف متباينة .

(١) - تاريخ القرآن : ٨٤ .

(٢) - محمود البستاني، دراسات في علوم القرآن : ٥٢ .

ج - الترتيب الثالث

وهو الرأي الثالث الوسط القائل : أن ترتيب بعض السور كان بتوقيف من النبي (صلى الله عليه وآله) وبعضها الآخر كان باجتهاد الصحابة ،جمعاً بين الروايات التي تؤكد ترتيبه (صلى الله عليه وآله) لبعض السور وبين روايات أخرى تقول بأن الصحابة اجتهدوا في ترتيب بعضها الآخر.

فمن القائلين بهذا الرأي :

القاضي ابن عطية (ت ٥٤١هـ) (*) بقوله : (وظاهر الآثار أن السبع الطوال، والحواميم والمفصل كان مرتباً في زمن النبي (صلى الله عليه وآله) وكان في السور ما لم يُرتب فذلك هو الذي رُتب وقت الكتب)^(١).

ويؤكد ابن الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) أكثر من ذلك ،بقوله : (والآثار تشهد بأكثر مما نصّ عليه ابن عطية ،ويبقى قليل يمكن أن يجري فيه الخلاف كقوله (صلى الله عليه وآله) : اقرأوا الزهراوين، أي البقرة وآل عمران^(٢) ...)^(٣).

ومال السيوطي (ت ٩١١هـ) إلى هذا الرأي تأكيداً لما ذهب إليه البيهقي من أن (القرآن كان على عهد النبي (صلى الله عليه وآله) مرتباً سورة وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبراءة ، بقوله : (والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي، وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا الأنفال وبراءة)^(٤).

(*) - عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ،أبو محمد الغرناطي ،مفسر ،فقيه أندلسي من غرناطة ،ولي قضاء المرية ،وكان يغزو مع جيوش المرابطين ،له تفسير (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) و(الفهرست) . الزركلي ،الأعلام : ٢٨٢/٣ .

(١) - المحرر الوجيز : ٥٠/١ ، وظ : الزركشي ،البرهان : ١٨٢/١ .

(٢) - صحيح مسلم : ٢٥٢ ح ٢٩٠ ،باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة .

(٣) - السيوطي : الإتيان : ٩٧ .

(٤) - م . ن : ٩٨ .

ومن خلال ما مرّ من الروايات يتضح أن السور التي ذكر اجتهاد الصحابة في ترتيبها هما الأنفال وبراءة اللتان كان ترتيبهما في القرآن الكريم بأمر من عثمان بن عفان ،مستنديين في ذلك إلى الرواية السابقة وهي سؤال ابن عباس له عن سبب وضعهما معاً دون الفصل بينهما بالبسمة ، وموقعهما في الترتيب ضمن السبع الطوال ،فيأتي ردّ عثمان عليه بـ : (فُبِضَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يبين لنا إنها منها (أي من السبع الطوال) فمن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب سطر (بسم الله الرحمن الرحيم) ووضعتهما في السبع الطوال) (١) وقد سبق مناقشتها والردّ عليها .

وقد حاول الزركشي إرجاع الخلاف بين القول بترتيب الآيات التوقيفي والترتيب الاجتهادي بأنه خلاف لفظي ،لأن القائل بالثاني يقول : (انه - أي النبي (صلى الله عليه وآله) - رمز إليهم بذلك لعلمهم بأسباب نزوله ،ومواقع كلماته ،لهذا قال الإمام مالك : إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعون من النبي (صلى الله عليه وآله) مع قوله بأنه ترتيب السور اجتهاد منهم فال خلاف إلى أنه هل ذلك بتوقيف قولي أم بمجرد استناد فعلي ، وبحيث بقي لهم فيه مجال للنظر ، فان قيل :إذا كانوا قد سمعوه منه ،كما استقر عليه ترتيبه ... ففي ماذا عملوا الأفكار وأي مجال بقي لهم بعد هذا الاعتبار ؟) (٢) .

إن الخلاف في قضية جمع القرآن كونه جُمع في عهد النبي (صلى الله عليه وآله) أم أنه تركه من بعده فتصدى الصحابة لجمعه - على حسب ما تذكره الروايات - انعكس بدوره على قضية ترتيب سورته ، وقد ناقش السيد الخوئي (٣) الروايات القائلة بالجمع بعد النبي (صلى الله عليه وآله) رواية رواية ،وفصل القول فيها وأثبت تعارضها مع ما دلّ من الروايات على أن القرآن جُمع على عهده (صلى الله عليه وآله) وأثبت تناقض تلك الروايات في نفسها ،وأنها لا يمكن الاعتماد عليها ،كما أثبت تعارضها مع الكتاب في تحدّيه للمشركين بالإتيان بعشر سور ،فأي سور تحدّى بها إن لم تكن مجموعة ومرتبة على عهده (صلى الله عليه وآله) ؟ وأي كتاب أمر النبي المسلمين بالتمسك به في حديث الثقلين ؟ إن لم يكن قد جَمَعَ لهم الكتاب ورتبه ؟ .

كما أن الروايات تتناقض مع حكم العقل ومخالفة للإجماع ،وان الأخذ بها يؤدّي بنا إلى القول بتحريف القرآن إما زيادة فيه أو بالنقصان والتقديم والتأخير في ترتيبه ،وهذا ما لا يمكن القبول به .

(١) - سنن الترمذي : ٧١٣ ح ٣٠٨٦ ، في تفسير سورة التوبة .

(٢) - البرهان : ١٨٢/١ .

(٣) - ظ : البيان في تفسير القرآن : ٢٣٩ - ٢٥٩ ، تناول فيه الموضوع مفصلاً تحت عنوان (فكرة عن جمع القرآن) .

٣ - خلاصة ورأي

في ظلال ما تقدم من إشارات علمية، يمكننا القول : أن ترتيب سور القرآن لا يمكن أن يكون اجتهاداً من الصحابة، لأنه لا يُعقل أن النبي (صلى الله عليه وآله) وهو الذي أفنى عمره في تحمّل أعباء الرسالة وإقامة دولة الإسلام يترك دستور المسلمين ونظام حياتهم عرضة لاجتهادات الصحابة وآرائهم، خاصة وأن تاريخهم معه يشهد بالخلاف عليه في حياته، فكيف بهم بعد مماته، مع أن الله تعالى أمرهم بأن يأخذوا ما آتاهم ويتركوا ما نهاهم عنه .

فالقول بالترتيب التوقيفي للآيات والسور معاً هو الرأي الذي تسانده الأدلة، ويؤيده العقل، والذي عليه يُعول .

وبناءً على القول بتوقيفية ترتيب السور والآيات يمكننا القول أن وجود التناسب بين آيات القرآن الكريم من جهة وبين سوره من جهة أخرى يتكئ أساساً على ذلك، لأن نظم القرآن وترتيبه أمر إلهي، إذ استدل الزركشي (ت ٧٩٤هـ) على أن : (لترتيب وضع السور في المصحف أسباباً تُطلع على أنه توقيفي صادر عن حكيم :

أحدها : بحسب الحروف، كما في الحواميم
ثانيها : لموافقة أول السورة لآخر ما قبلها، كآخر الحمد وأول البقرة
ثالثها : للوزن في اللفظ، كآخر (تبت) وأول الإخلاص
رابعها : لمشابهة جملة السورة لجملة الأخرى ، مثل (الضحى) و (ألم
نشرح)... (١) .

وليس هذا كل شيء في أسباب التناسب، فقد يُضاف إلى ذلك دقة الاختيار في الترتيب، وقد يوحي القرآن بأكثر من هذا التناسب كما سيتجلى في البحث، وقد تكشف الأجيال القادمة للقرآن الكريم لمحات مضيئة تفرضها طبيعة التقدم المعرفي .

(١) - البرهان في علوم القرآن : ١٨٤/١ .

٢ - أنواع العلاقات في التناسب القرآني

توطئة

- ١ - وجوه الترابط الجملي في العلاقات
- ٢ - أنواع العلاقات

أ - التنظير

ب - بين التضاد والتقابل

ج - المقابلة

د - الاستطراد

هـ - الالتفات

و - حسن الابتداء والتخلص

ز - الإجمال والتفصيل

ح - البيان والتفسير

ط - السؤال والجواب

توطئة

يحاول البحث هنا أن يُسلط الضوء على أنواع العلاقات التي تربط أجزاء القرآن الكريم بعضها مع بعض، لفظة بلفظة، وآية بآية، وسورة بسورة .

ولا بدّ من الإشارة إلى أن هذه العلاقات تأخذ طابعاً لغوياً حيناً ونحوياً حيناً آخر وبلاغياً أحياناً وهذا أمر طبيعي، فقد نزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين، ولا بدّ أن يكون للغة والبلاغة أثر في فهم آيات القرآن الكريم والكشف من خلال ذلك على وجوه التناسب والترابط بين كلمات جمل الآيات من جهة والسور من جهة أخرى .

وقد أوجزت الحديث عن أنواع العلاقات، لأنها غير مقصودة كلياً، بل المعول عليها جزئي، إذ هي وسائل تُعين على كشف التناسب القرآني، أما التناسب بالذات فهو صلب الموضوع الذي نحدب عليه، ففيه وفي سواه من دلائل القرآن الكريم يكشف وجه الإعجاز القرآني، وبه يتجلى أن القرآن الكريم كلّ لا يتجزأ وذو ترابط موضوعي .

ومن هنا فلا بدّ من الحديث عن أنواع هذه العلاقات، فاستعنت على ذلك بوضع مخطط يوضح تفصيلاتها^(*)، لأن التشابك في موضوعها يستدعي ذلك، وقد اتضح في أثناء البحث أن السابقين حصروا العلاقات بين الآيات التي لا يتضح فيها وجه التناسب بشكل جلي - وخاصة حينما لا تكون الجمل أو الآيات معطوفة على بعضها بشكل يكشف ذلك الارتباط - بما يلي : (التنظير ، التضاد ، المقابلة ، الاستطراد ، الالتفات ، حُسن الابتداء ، حُسن التخلص)^(١) .

إلا أنه من خلال البحث والتتبع اتضح أن العلاقات أوسع من ذلك وخاصة ما يُلاحظ من خلال كلمات وإشارات المفسرين إلى وجوه الارتباط بين الآيات من جهة والسور من جهة أخرى بما يدل أن هناك علاقات أخرى ك (السؤال والجواب ، والإجمال والتفصيل ، والبيان والتفسير) ولعل هناك علاقات أخرى ستتضح كلما أمعنا التدقيق والبحث العميق في المناسبات والروابط .

(*) - ظ : المخطط في نهاية هذا الفصل .

(١) - ظ : الزركشي، البرهان : ٥٦/١، وظ : السيوطي، الإتيقان : ٤٧٢ .

١ - وجوه الترابط الجملي

وتتخذ العلاقات - سواء أكانت بين الآيات المتجاورة مع بعضها أم المتباعدة - وجوهاً مختلفة ترجع في ذلك إلى الأسباب التي تربط بينها، فأحياناً تكون واضحة المعالم ظاهرة لا تحتاج إلى كثير جهدٍ لمعرفتها، وأحياناً أخرى نجدها تتجاوز مسألة الارتباط الشكلي بحروف العطف أو غيرها . فتخفى المناسبة - ظاهرياً - على القارئ، وهنا يُبحث عن وجه الترابط، ولا بدّ من التعمق في دراسة ما قبلها وما بعدها من آيات، ومن خلال القرائن المعنوية التي تكشف عن ارتباط كل جزء بما قبله أو بما بعده، وهذا ما أشار إليه الزركشي (ت ٧٩٤هـ) بقوله : (وأما أن يظهر الارتباط [بين الآيات] لتعلق الكلام بعبءه ببعض وعدم تمامه بالأولى فواضح إذا كانت الثانية على وجه التأكيد أو التفسير أو الإعراض أو التشديد وهذا القسم لا كلام فيه)^(١) .

ومن الوجوه التي يظهر فيها الارتباط واضحاً بين الآيات ما يلي :

أ - أن تكون الآية الثانية سبباً للأولى، كقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّوْا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن نَّمَسِّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَعَظَّمْنَا فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧﴾ (فلما قال تعالى في الآية الأولى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ

(١) - البرهان : ٥١/١ .

(٢) - آل عمران : ٢٣ - ٢٤ .

بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ . قال في الآية الثانية : ﴿ ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ ﴿١﴾ أي أن ذلك التولي والإعراض إنما حصل بسبب أنهم قالوا : لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات (١) .

ب - أن تكون الآية الثانية تأكيداً للأولى ، كقوله تعالى : ﴿ وَيَقَوْمٍ مَا لِي بِأَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّيرِ ﴿٢﴾ فـقوله تعالى : ﴿ وَيَقَوْمٍ مَا لِي بِأَدْعُوكُمْ ... ﴾ تأكيداً لما قبله : ﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقَوْمٍ أَتَّبِعُونَ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَنْقَوْمٍ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعُ وَإِنَّ الْأَخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣﴾ (فقد كرر نداءهم إيقاظاً لهم عن سنة الغفلة ، واهتماماً بالمنادى ، ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به دعوته (٤) .

ج - أن تكون الآية الثانية معترضة : فيأتي الاعتراض ليؤكد مفهوم الكلام الذي وقع فيه ومقررأ له في نفوس السامعين ، كما يأتي لتعظيم المقسم به وتفخيمه ، كقوله تعالى : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٥٥﴾ ففي هذا الكلام اعتراضان ، أحدهما قوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّو تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ لأنه اعتراض بين القسم : ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ وبين جوابه : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ .

(١) - الرازي ، مفاتيح الغيب : ١٩٠/٧ .

(٢) - غافر : ٤١ - ٤٢ .

(٣) - غافر : ٣٨ - ٣٩ .

(٤) - الألوسي ، روح المعاني : ٣٢٤/١٢ .

(٥) - الواقعة : ٧٥ - ٧٧ .

والثاني، قوله تعالى : ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ وهو اعتراض بين الموصوف الذي هو قسم (قَسَمٌ) وبين صفته الذي هو (عظيم) (فالاعتراض إذا وقع في موقعه المناسب كان من مقتضيات النظم ولو أسقط من السياق سقط جزء أصيل من المعنى فهو يحمل معاني فرعية تلتحم في تكوين معنى كلي) (١) .

د - أن تأتي الآية الثانية مفسرة للآية الأولى ،كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقَوْمٍ اتَّبِعُونِ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ يَنْقَوْمٍ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٢﴾ فجاءت هذه الآية تفسيراً لما قبلها ، وإن (ترك العطف في النداء الثاني ،وهو : ﴿ يَنْقَوْمٍ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴾ لأنه تفسير لما أجمل في النداء قبله من الهداية إلى سبيل الرشاد ،فإنها للتحذير من الإخلاق إلى الدنيا ،والترغيب في الآخرة على الأولى ،وقد أدى ذلك فيه على أتم وجه وأحسنه) (٣) .

هـ - أن تكون الآية بدلاً ،كقوله تعالى : ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٤﴾ وقوله تعال : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ ۖ مَنْ نَّشَاءُ ۚ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٥﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥﴾ .

(١) - سامي عطا ،المناسبات بين الآيات والسور (بحث) .

(٢) - غافر : ٣٨ - ٣٩ .

(٣) - الألوسي ،روح المعاني : ٣٢٤/١٢ .

(٤) - الفاتحة : ٦ - ٧ .

(٥) - الشورى : ٥٣ .

ويتضح الارتباط بين الآيتين إن جاءت الآية الثانية بدلاً من الآية التي قبلها لتؤكد المعنى بشكل واضح .

وقوله تعالى : ﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمٍ وَبَنِينَ ﴿ وَجَنَّتِ وَعُيُونٍ ﴾ (٢) . فقد جاءت الآية الثانية : (باعتبار ما تعلق به من قوله : ﴿ بِأَنْعَمٍ وَبَنِينَ ﴾ ... الذي هو بعض مما تعملون) (٣) .

فقد فصلت الآيتان الأخيرتان ما أشارت إليه الآية الأولى ، فالتناسب بينهما واضح .

أما الآيات التي لا يظهر فيها الارتباط فتبدو كل واحدة مستقلة عن الأخرى، وهنا لا بدّ من وجود وجه ما يربط بينهما ، وتنقسم إلى :

١ - أن تكون معطوفة على ما قبلها بحرف عطف ، وتشترك معها بالحكم ، ولا بدّ من جهة جامعة بينهما ، كالنظير أو التضاد ، كقوله تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۗ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٤) وقوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۗ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٥) للتضاد بين القبض والبسط والولوج والعروج والنزول والعروج .

(ومما يفيد التضاد ، ذكر الرحمة بعد العذاب والرغبة بعد الرهبة ، وقد جرت عادة القرآن الكريم إذا ذكر أحكاماً ذكر بعدها وعداً ووعداً ليكون باعثاً على العمل بما سبقه ، ثم يذكر آيات توحيد وتنزيهه ليعلم عظم الأمر والنهي) (٦) .

(١) - الشعراء : ١٣٢ - ١٣٤ .

(٢) - ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ١٧٧/١٩ .

(٣) - الحديد : ٤ .

(٤) - البقرة : ٢٤٥ .

(٥) - ظ : السيوطي ، معترك الأقران : ٤٥/١ .

(٦) - السيوطي ، الإتيان : ٤٧٢ .

وفائدة العطف جعلها كالنظيرين والشريكين^(١) ومن هنا تتبين فائدة الارتباط بين الجملتين أو الآيتين اللتين جمع بينهما حرف العطف .

وقد تأتي الجملة معطوفة على ما قبلها ، ولكن يشكّل وجه الارتباط فتحتاج إلى بيان ، كقوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾^(٢) .

فلعل سائلاً يسأل : ما وجه الارتباط بين السؤال عن الأهلة التي هي مواقيت للناس والحج وبين إتيان البيوت من ظهورها ، وما الحكمة في الجمع بين الأمرين ، وما الذي استدعى تجاوز هذين المقطعين في آية واحدة !؟

يمكن القول : أن علاقات التناسب بينهما تأخذ عدة وجوه ، فبالعودة إلى النصوص المفسرة للآية وللروايات التاريخية الواردة بشأنها ، والتي بدورها تسلط الضوء على وجه التناسب والارتباط ، وهي :

أ - كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الحكمة في تمام الأهلة ونقصانها معلوم أن كل ما يفعله الله فيه حكمة ظاهرة ومصلحة للعباد ، فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها انتم - وهي دخول البيوت من ظهورها - مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها براً .

ب - إن الله سبحانه ذكرها لهم من باب الاستطراد ، لما ذكر إنها مواقيت للحج ، وكان من أفعالهم بالحج أنهم إذا أحرموا - لم يدخل منهم أحد حائطاً ولا داراً ولا فسطاطاً من بابيه - فإن كان من أهل المدر نقب نقباً في ظهر البيت ، أو يتخذ سلماً يصعد به ، وإن كان من أهل الوبر فيدخل ويخرج من ظهر الخباء .^(٣)

فجاء الرد : ليس البر بتحرجكم من دخول الباب ، ولكن البر من آمن واتقى ما حرم الله ، وكان من حقهم السؤال عن هذا ، وترك السؤال عن الأهلة .

(١) - ظ : الزركشي ، البرهان : ٥١/١ .

(٢) - البقرة : ١٨٩ .

(٣) - ظ : الواحدي ، أسباب النزول : ٢٩٠ ، السيوطي ، لباب النقول في أسباب النزول : ٣٠ ، وظ : جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ٣٧١/٦ .

ج - إنها من قبيل التمثيل لما هم عليه من تعكيس السؤال ،فمثلهم كمثل من يترك باب البيت ويدخل من ظهره ،فقيل لهم : ليس البر ما انتم عليه من تعكيس الأسئلة ،ولكن البر من اتقى ذلك ،ثم قال : ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ أي باشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تُباشر عليها ولا تعكسوا . فالمراد منكم التسليم بأن كل فعل من أفعال الله حكمة منه ،وأنه تعالى : ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ (١) إذ أن في سؤالهم اتهاماً . (٢)

٢ - أن لا تكون الجملة أو الآية معطوفة على سابقتها ، ولا بدّ هنا من قرينة معنوية تدل على الارتباط بينهما بشكل يجعل الجملة الثانية تبدو بمنزلة الجزء من الجملة الأولى ، لهذا الترابط أسباب تبيّنه العلاقات بين الآيات أو المقاطع كما سيأتي ذلك في أنواعها .

(١) - الأنبياء : ٢٣ .
(٢) - ظ : الزمخشري ،الكشاف : ٢٦١/١ - ٢٦٢ ، في تفسير الآية (١٨٩) من سورة البقرة ، وظ : الزركشي ،البرهان : ٥٢/١ ، ٥٣ .

٢ - أنواع العلاقات

أ - التنظير

أي إلحاق النظر بالنظير، وهو : (أن يجمع بين أمر وما يناسبه على جهة التضاد)^(١) أو : (أن ينظر الإنسان بين كلامين أما متفقي المعاني أو مختلفي المعاني ليظهر الأفضل منهما)^(٢) .

هذا النوع كثر استعماله في القرآن الكريم لتحقيق هدف معين وهو إفهام المتلقي المعنى المراد من خلال إلحاق النظر بنظيره، فمن خلال تلك العلاقة يُكشف وجه التناسب بين الآية أو الجملة المُلحقة بغيرها، كما في قوله تعالى : ﴿ كَمَا

أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴾^(٣) .

فهنا قد لا يبدو وجه الارتباط واضحاً بين الآيتين، لكنه يتضح حينما نجد أن الله تعالى قد ربط بين حكم النبي (صلى الله عليه وآله) في الأنفال، وبين خروجه للقتال في بدر مع كراهة فريق من المؤمنين، لذلك ألحق النظر بنظيره لبيان أن كراهتهم هذه كتلك مع عدم علمهم بوجه المصلحة في دينهم ودنياهم .

فهذا الحال كذاك الحال و : (ذلك أنهم اختلفوا في القتال ... وحاجوا النبي وجادلوه، فكره كثير منهم ما فعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأنزل الله هذه

(١) - ابن قرقماس، ناصر الدين، زهر الربيع في شواهد البديع : ١٣٥ .

(٢) - أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٤٢٧ .

(٣) - الأنفال : ٥ .

الآية وأنفذ أمره ،وأمرهم أن يتقوا الله ويُطيعوه ولا يعترضوا عليه فيما فعل في شيء بعد أن كانوا مؤمنين ...) (١) ووصفهم بقوله : ﴿ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴾ يريد أن كراحتهم لما فعله في الغنائم ككراحتهم للخروج معك ،وقد تبين ما في الخروج من النصر والظفر والغنيمة وعز الإسلام ،فكذا يكون فعله القسمة فليطيعوا ما أمروا به ويتركوا هوى أنفسهم) (٢) .

وهنا جاءت هذه العلاقة مبيّنة وجه الارتباط بين الأمرين على الرغم من عدم وجود أداة ربط لفظية تجمع بين الاثنين ،فجاءت القرينة المعنوية دالة على هذا الارتباط (فالملاحظ أن علاقة النظير هي التي جعلت تجاور هاتين الآيتين مبرراً وذلك لتناظر الحدثين ورد فعل المسلمين وهو كره ذلك ومحاججة الرسول) (٣) .

ب - بين التضاد والتقابل

التضاد : (وهو أن يجمع بين المتضادين مع مراعاة التقابل) (٤) ويسمى أيضا التطبيق أو التكافؤ والطباق والمطابقة والمقاسمة (٥) وقد فصل البلاغيون القول في أنواعه وأقسامه بشكل وافٍ (٦) .

إلا أن ما يهمننا في هذا الأمر هو توظيف هذه العلاقة في بيان وكشف التناسب في القرآن الكريم حين لا يتضح الأمر إلا بذكر ضده .
وحيثما يجمع القرآن الكريم بين أمرين متضادين فلضرورة اقتضت ذلك يُراد منها كشف معنى مقصود من خلال ذكر ضده لتثبيت حقيقته .

(١) - الرازي ،مفاتيح الغيب : ١٠١/١٥ ، و ظ : ابن عاشور ،التحرير والتنوير : ٢٣/٩ ، و ظ : الطباطبائي ،الميزان في تفسير القرآن : ١٣/٩ .

(٢) - الزركشي ،البرهان : ٥٦/١ ،السيوطي ،معتزك الأقران : ٤٦/١ .

(٣) - خطابي ،محمد ،لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٩٣ .

(٤) - الجرجاني ،التعريفات : ٥٣ .

(٥) - ظ : أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٣٦٧ .

(٦) - ظ : القزويني ،الإيضاح : ٢٨٧ ، ابن المعتز ،البيدع : ٣٦ ، السيوطي ، الإتيان : ٤٥١ .

وكثيرة هي الأمثلة، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ
 وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ ^ط فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ
 اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ ^(١) فقد جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ
 ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ^(٢)
 ذلك: (لأن الإذن بأكل الطيبات يثير سؤال من يسأل ما هي الطيبات؟ فجاء هذا
 الاستئناف مبيّناً المحرمات، وهي أصداد الطيبات لتعرف الطيبات بطريقة المضادة
 المستفادة من صيغة الحصر) ^(٣).

فقد اكتفى تعالى بحصر المحرمات بناءً على أن المحرمات محددة بينما
 الطيبات غير محدودة، وكذلك تتبين هذه العلاقة في قوله تعالى: ﴿ إِنْ الَّذِينَ
 كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٤).

فقد وردت هذه الآية ضمن الحديث عن القرآن الكريم، وأن من شأنه الهداية
 للقوم الموصوفين بالإيمان، فلما أكمل وصف المؤمنين عقب بحديث الكافرين، هنا
 يأتي التساؤل: لم ألحق هؤلاء بأولئك وما وجه الربط بين الفريقين؟

يبين الزمخشري وجه عدم الربط بين هذه الآية وسابقتها: ﴿ أَوْلَيْكَ عَلِيٌّ
 هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ^ط وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٥). بأداة ربط، بقوله: (لأن
 الأولى مسوقة لذكر الكتاب وأنه هدى للمتقين، وسيقت الثانية لأن الكفار من صفتهم
 كيت وكيت، فبين الجملتين تباين في الغرض والأسلوب وهما على حدٍ لا مجال فيه
 للعاطف) ^(٦).

(١) - البقرة: ١٧٣ .

(٢) - البقرة: ١٧٢ .

(٣) - ابن عاشور، التحرير والتنوير: ١١٤/٢ .

(٤) - البقرة: ٦ .

(٥) - البقرة: ٥ .

(٦) - الكشاف: ٨٦/١ .

فهذه الآيات تُوهم بعدم الترابط رغم التجاور بينهما، أو أن الجامع بينهما أمر بعيد، لأن الحديث في الأولى عن أمر والحديث في الثانية عن أمر آخر، هذا ما أشار إليه الزركشي (ت ٧٩٤هـ) بقوله: (... فبينهما جامع وهمي بالتضاد من هذا الوجه، وحكمته التشويق والثبوت، فإن قيل: هذا جامع بعيد لأن كونه حديثاً عن المؤمنين بالعرض لا بالذات، والمقصود بالذات الذي هو مساق الكلام إنما الحديث عن الكتاب لأنه مفتتح القول، قلنا: لا يُشترط في الجمع ذلك، بل يكفي التعلق بأي وجه كان... لأن القصد تأكيد أمر القرآن والعمل به والحث على الإيمان به ولهذا لما فرغ من ذلك قال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ لَمَّا وَاَدْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١) (فرجع إلى الأول)^(٢).

ج - المقابلة

(هو أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم بما يقابل ذلك على الترتيب)^(٣) أصل المقابلة: (ترتيب الكلام على ما يجب، وأن يؤتى من الموافق وما يوافقه، وفي المخالف وما يخالفه، وأكثر ما تكون المقابلة في الأضداد، فإذا جاوزت المطابقة ضدين كانت مقابلة)^(٤).

ويستفاد من هذه العلاقة كآلية لفهم الترابط بين الأجزاء أو المقاطع سواء في الآيات أم في السور، فمن خلالها يفهم المراد... الأمر حينما يُذكر الشيء بما يُقابله، سواء أكان يوافقه أم يخالفه.

فقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۖ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ فَسَنِيسِرُّهُ ۖ لِلَّيْسَىٰ ۖ وَأَمَّا مَنْ نَحَلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۖ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۖ فَسَنِيسِرُّهُ ۖ لِلْعُسْرَىٰ ۖ﴾^(٥) جاء التقابل بين الإعطاء والبخل، والاتقاء والاستغناء، والتصديق

(١) - البقرة: ٢٣ .

(٢) - البرهان في علوم القرآن: ٥٨/١ .

(٣) - القزويني، الإيضاح: ٢٩١، والتلخيص: ٣٥٢ .

(٤) - أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ٦٣٧ .

(٥) - الليل: ٥ - ١٠ .

والتكذيب، والعسرى واليسرى بالجمع بين الشئ وضده في عدّة مواضع كشفت العلاقة بين هذه الأضداد وجه المناسبة بين أجزاء الآيات المتتابعة في هذه السّورة، هذا ما أشار إليه السيوطي (ت ٩١١هـ) بقوله: (ولما جعل التيسير بالأولى مشتركاً بين الإعطاء والتصديق جعل ضده - وهو التعسير - مشتركاً بين أضدادها)^(١).

كذلك قوله تعالى : ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِيهِ الصَّدَقَتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾^(٢) مرتبط بقوله تعالى : ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

فعلى الرغم من تباعد موضع الآيتين في السّورة عن بعضهما إلا أن هناك جامع رابط يقوم على علاقة التضاد والمقابلة : (فان الربا أخذ بلا عوض كما أن الصدقة إعطاء بلا عوض ، والآثار السيئة المترتبة على الربا تقابل الآثار الحسنة المترتبة على الصدقة تحاذيها من غير تخلف واستثناء - فكل مفسدة منه يحاذيها خلافة من المصلحة منها لنشر المحبة والرحمة وإقامة أصلاب المساكين المحتاجين ونماء المال وانتظام الأمر واستقرار النظام والأمن في الصدقة وخلاف ذلك في الربا)^(٤).

ولا يقتصر الأمر على ما بين الآيات فقط بل يتعداه ليمثل ما بين السّور خاصة السّور القصيرة ، كما في سورتي (الماعون) و (الكوثر) ففي سورة الماعون جاء ذكر صفات أربعة قابلها في سورة الكوثر صفات أربعة أخرى بضدها ، ففي السّورة الأولى (وصف الله فيها المنافق بأمور أربعة : البخل ، ترك الصلاة ، والرياء ، ومنع الزكاة ... وذكر في مقابلة البخل : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَكَ الْكَوْثَرَ﴾^(٥) وفي مقابلة ترك

(١) الإلتقان : ٤٥١ .

(٢) - البقرة : ٢٧٦ .

(٣) - البقرة : ٢٦٤ .

(٤) - الطباطبائي ، الميزان : ٤١٢/٢ ، وظ : البستاني ، التفسير البنائي : ١٣١/١ .

(٥) - الكوثر : ١ .

الصلاة (فصل) وفي مقابلة الرياء (لربك) أي لرضاه لا لرضا الناس، وفي مقابلة منع الماعون (وانحر) وأراد به التصدق بلحم الأضاحي (١).

كذلك ما بين سورتي (الضحى) و(الشرح) حيث أن السورة الأولى جاءت تنفي ما أشاعه المشركون من هجر الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) ولم تُعد له المواقف التي أيده الله فيها وسانده، وجاءت السورة الثانية وكأنها استمرار للسورة الأولى فقد عدت نعم الله على نبيه (صلى الله عليه وآله) في مقابل ما ذكره المشركون، والمتأمل في السورتين يجد بينهما من الروابط ما لا يخفى حتى لقد عدّها بعضهم سورة واحدة (٢) واشترطوا أن يُقرن بينهما في القراءة للصلاة (٣).

ويرى بعض الباحثين أن : (التشابه الأسلوبي المعتمد على الاستفهام المنفي (ألم ...) المتكرر في السورتين معاً مع ما يلي ذلك في السورتين من العطف بصيغة الماضي وانتهاء كل سورة منها بصيغ تتضمن التأكيد التي تتمثل في أسلوب الاختصاص المعتمد على التقديم في السورة الأولى وتتمثل في أسلوب التكرار وتقديم المفعول في السورة الثانية) (٤) هو أحد وجوه الارتباط بين السورتين مضافاً إلى الترابط الموضوعي بينهما .

د - الاستطراد

(هو أن يأخذ المتكلم في معنىً فبينما يمر فيه يأخذ في معنى آخر، وقد جعل الأول سبباً إليه) (٥).

- (١) - الرازي، مفاتيح الغيب : ١١٠/٣٢، والزرکشي، البرهان : ٥١/١ .
(٢) - ظ : الرازي، مفاتيح الغيب : ٣/٣٢، وظ : ابن عاشور، التحرير والتنوير : ٣٥٩/٣ .
(٣) - ذكر الطبرسي : (إن الضحى وألم نشرح سورة واحدة لتعلق أحدهما بالآخرى ... وجمعوا بينهما في الركعة الواحدة في الفريضة ... والسياق يدل على ذلك، انه قال : (ألم يجدك يتيماً فأوى) إلى آخرها، ثم قال : (ألم نشرح لك صدرك) . مجمع البيان : ٣٨٧/١٠، وظ : الفيض الكاشاني، تفسير الصافي : ٥٥٧/٣ .
(٤) - أبو زيد، نصر حامد، مفهوم النص، دراسة في علوم القرآن : ١٦٧ .
(٥) - أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ٧٩، ظ : العسكري، الصناعتين : ٣٨٩ .

حصر بعضهم (١) وظيفة الاستطراد في رفع الملل والسأم عند القارئ أو السامع إلا أن وظيفته في القرآن الكريم تأخذ بُعداً آخرأ باعتباره يكشف عن وجه من وجوه الترابط بين الآيات حينما ينتقل الكلام من موضوع إلى آخر يكون سبباً له، فهو يؤدي وظيفة أخرى يُراد من خلالها أن يدرك المتلقي المعنى الجامع بين الأمرين ليصل إلى فهم المراد من كلامه تعالى .

وقد حفلت سور القرآن الكريم باستطرادات كثيرة استدعتها طبيعة النص القرآني لبيان المعاني المطلوبة، منها قوله تعالى : ﴿ يَبْنِيْ ءَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا ۗ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۗ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝ ﴾ (٢) فقد جاءت هذه الآية بعد ذكر آدم (عليه السلام) وزوجه عندما ﴿ فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ ۖ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا مَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ ۗ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۗ ﴾ (٣) انتقل بالحديث بعدها عن لباس التقوى (إظهاراً للمنة فيما خلق الله لهما من اللباس ولما في العري من المهانة والفضيحة، وإشعاراً بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى) (٤) .

فلم يكن الاستطراد في الحديث بالانتقال به من موضوع إلى آخر رفعاً للملل والسأم، بل جاء وسيلة لكشف الترابط بين الموضوعين ليؤدي بالنهاية إلى بيان نعمة الله على العبد .

ومن الاستطراد أيضا قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ۝ ٤٨ ﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ ﴾ (٥) فالحديث في

(١) - كالجاحظ مثلاً الذي يرى الانتقال من موضوع إلى آخر لكي لا يمل القارئ أو السامع، وهذا واضح في معظم مؤلفاته، ظ : احمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية : ٧٩ .

(٢) - الأعراف : ٢٦ .

(٣) - الأعراف : ٢٢ ، وما بعدها .

(٤) - الزمخشري، الكشاف : ٩٣/٢ .

(٥) - النحل : ٤٨ - ٤٩ .

بداية الآية عن أمر خاص أريد منه الإخبار عن أمر آخر يجري مجراه ،فذكر في أول الكلام أمراً وأراد من خلال الاستطراد إلى أمر آخر أن يقول أن كل شيء يسجد لله عزّ وجلّ ،وهذا ما عبر عنه الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) في قوله : (وكأن المراد أن يجري بالقول الأول إلى الإخبار من أن كل شيء يسجد لله عزّ وجلّ ،وإن كان ابتداء الكلام في أمر خاص)^(١) .

ومنه قوله تعالى : ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾^(٢) (فان أول الكلام ذكر للردّ على النصارى الزاعمين بنوّة المسيح^(٣) ثم استطراد للردّ على العرب الزاعمين بنوّة الملائكة)^(٤) .

ومن خلال ذلك نرى أن الاستطراد هو أحد الوسائل أو الأدوات التي تُعين على فهم النصّ القرآني ببيان وجه الترابط بين ما ابتدأ به الكلام وبين ما انتقل إليه الحديث استطراداً لبيان أمر فيه جهة جامعة بينهما كشفه استطراد الحديث عنها ، ولم تكن وظيفته فنيّة لغرض منع الملل والسأم .

هـ - الالتفات

يُعدّ الالتفات أحد الأساليب المعروفة في لغة العرب ،وقد فصلّ البلاغيون القول في تعريفه وفي أنواعه ،فهذا ابن الأثير الذي يرى أن : (حقيقته مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله ،فهو يُقبل بوجهه تارة كذا وتارة كذا ، وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة لأنه يُنتقل فيه من صيغة إلى صيغة ،كالانتقال من خطاب

(١) - الباقلاني ،إعجاز القرآن : ١٠٦ .

(٢) - النساء : ١٧٢ .

(٣) - أي في النساء ، وهي : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ

إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ

وَرُوحٌ مِّنْهُ ...﴾ (النساء : ١٧١) .

(٤) - السيوطي ، الإتيان : ٤٧٢ .

حاضر إلى غائب ومن خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماض إلى مستقبل أو من مستقبل إلى ماض، وسمّاه شجاعة العربية (١).

وفائدة هذا النوع من الكلام كما يرى الزمخشري (ت ٥٣٧هـ) : (تطرية لنشاط السّامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد) (٢).

إلا أن ابن الأثير يرى أن لكل موضع منه فائدة تختص به بقوله : (وتلك الفائدة أمر وراء الانتقال من أسلوب إلى أسلوب ، غير إنها لا تُحدّ بحدّ ولا تُضبط بضابط ولكن يُشار إلى مواضع منها ليقاس عليها غيرها) (٣).

إذن يمكن اعتبار ما أشار إليه الزمخشري هو الفائدة العامة من الالتفات وليست هي كل فوائده ، وان هناك فوائد خاصة تظهر في كل موضع بحسب ما أريد له ، إن الالتفات - خاصة في القرآن الكريم - لا يأتي لتنشيط ذهن المتلقي وإيقاظه للإصغاء فقط بل لأن هناك أمراً استدعى أن ينتقل الخطاب من أسلوب إلى آخر اقتضته مناسبة خاصة بين الآيات .

فمثلاً حينما ينتقل من خطاب الغائب إلى الحاضر في قوله تعالى : ﴿ اَلْحَمْدُ

لِلّٰهِ رَبِّ الْعٰلَمِيْنَ ﴿١﴾ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ ﴿٢﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّيْنِ ... ﴿٤﴾

ويستمر في ذلك إلى قوله تعالى : ﴿ اِيَّاكَ نَعْبُدُ وَاِيَّاكَ نَسْتَعِيْنُ ﴿٥﴾ فالانتقال

هنا من أسلوب إلى آخر اقتضته طبيعة الحال التي يتحدث عنها ، فقد اختار لفظ الغيبة للحمد، وللعبادة الخطاب في إشارة إلى أن الحمد دون العبادة في الرتبة ، لأن غير الله يُحمد ولكن لا يُعبد ، فاستعمل لفظ (الحمد) مع الغيبة ، ولفظ (العبادة) مع الخطاب لينسب إلى العظيم حال المخاطبة والمواجهة ما هو أعلى مرتبة ، وذلك على سبيل التأدب ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ صِرَاطَ الَّذِيْنَ اَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوْبِ عَلَيْهِمْ

وَلَا الضَّالِّيْنَ ﴿٦﴾ فقد صرّح بذكر المنعم وأسند الإنعام إليه لفظاً ولم يقل : صراط

المنعم عليهم ، ولكن لما أراد الحديث عن الغضب انتقل إلى أسلوب آخر ولم ينسبه

(١) - احمد مطلوب ،معجم المصطلحات البلاغية : ١٧٥ ، و ظ : ابن الأثير ،المثل السائر : ٤/٢ .

(٢) - الزمخشري ، الكشاف : ٥٦/١ .

(٣) - احمد مطلوب ،معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ١٧٦ .

(٤) - الفاتحة : ١ - ٤ .

(٥) - الفاتحة : ٥ .

(٦) - الفاتحة : ٧ .

إلى الله تعالى فلم يقل : غير الذين غضبت عليهم بل قال : (غير المغضوب عليهم)
تأدياً عن نسبة الغضب إليه في اللفظ حال المواجهة .^(١)

وقيل : (لأنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه الصفات العظيمة - من كونه
رباً للعالمين ورحماناً ورحيماً ومالكاً ليوم الدين - تعلق بمعلوم عظيم الشأن حقيق أن
يكون معبوداً دون غيره مستعاناً به فخطوب لتميّزه بالصفات المذكورة تعظيماً
لشأنه، حتى كأنه قيل : إياك يا من هذه صفاته نعبد)^(٢) ، وهنا أدى الالتفات وظيفته
في بيان المعنى المراد إظهاره .

وقد ينتقل بالخطاب من الغائب إلى المتكلم كقوله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ
الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقِنَتْهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۗ كَذَٰلِكَ
النُّشُورُ ﴾^(٣) أو قوله : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ۗ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِّنَ آيَاتِنَا ۗ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْبَصِيرُ ﴾^(٤) فانقل من صيغة الغائب إلى المتكلم ثم التفت ثانية في قوله تعالى : (انه
هو السميع البصير) إلى صيغة الغائب تعظيماً ، وبياناً لقدرة الله ، ففائدته في هذه
الآيات لم تكن لتنشيط ذهن السامع ولفت انتباهه فقط بل أراد أن ينبه على قدرة الله
تعالى وأن مثل هذه الأفعال لا تدخل تحت قدرة أحد .^(٥)

كما يأتي الانتقال من المتكلم إلى الغائب كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا
مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ
صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾^(٦) .

(١) - ظ : السيوطي ، الإتيان : ٤٣٥ .

(٢) - السيوطي ، معترك الأقران : ٢٨٩/١ .

(٣) - فاطر : ٩ .

(٤) - الإسراء : ١ .

(٥) - ظ : السيوطي ، معترك الأقران : ٢٨٩/١ .

(٦) - الفتح : ١-٢ .

فالانتقال بالخطاب هنا أريد منه إفهام السّامع أن المتكلم قصده واحد ، وأن كلامه ليس ممن يتغير أو يتلون مهما تغير الخطاب ، فلا يُبدي في الغيبة خلاف ما يبديه في الحضور .^(١)

كما أن الانتقال بالإخبار عن الفتح بلفظ الماضي وإن لم يكن قد وقع الفتح بعد - لأن المراد به فتح مكة - والسورة نزلت في صلح الحديبية^(٢) أي قبل ذلك بزمن لكنها تحدثت عنه بصيغة الماضي وذلك : (لأنها كانت محققة نزلت منزلة الكائنة الموجودة وفي ذلك من الفخامة والدلالة على علو شأن المُخبر ما لا يخفى)^(٣) فهذا جاء الانتقال ليؤدي غرضاً مقصوداً أراد الله تعالى من خلاله أن يؤكد أمر الفتح وكأنه حقيقة حدثت بالفعل .

ومن الالتفات أيضا الانتقال من المتكلم إلى الخطاب كقوله تعالى : ﴿ وَمَا لِي لَا

أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(٤) .

فالالتفات هنا أدى وظيفته في الانتقال بين التكلم والخطاب ليلفت نظر المخاطبين وبعثهم على الاستماع حينما أقبل المتكلم عليهم وأشار إليهم بقوله : (إليه ترجعون) فغير خطابه ليتناسب مع المعنى المراد إيصاله لهم .

وكذلك الأمر في الانتقال من الخطاب للغيبة ، كقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي

يُسِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَكُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَخْرَجْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾^(٥) أراد هنا أن

يشير إلى التعجب من كفرهم وفضلهم بصيغة أخرى فخاطبهم مُغبراً الحكاية إلى حال غيرهم (بهم) ولم يقل (بكم) لأنه لو استمر على خطابهم لفاتت الفائدة ولشمل الأمر المؤمنين والكافرين على حدّ سواء^(٦) وهذا هو المعنى الذي أريد به بهذا الانتقال لكي يتناسب مع المقصود والهدف الذي يريد إلقاءه في نفس المتلقي .

(١) - ظ : السيوطي ، معترك الأقران : ٢٨٩/١ .

(٢) - ظ : الواحدي ، أسباب النزول : ٢١٢ .

(٣) - الزمخشري ، الكشاف : ٣٣٤/٤ .

(٤) - يس : ٢٢ .

(٥) - يونس : ٢٢ .

(٦) - ظ : السيوطي ، معترك الأقران : ٢٨٩/١ .

ومن الالتفات أيضا الانتقال من الخطاب إلى المتكلم وهذا النوع وإن نفي بعضهم وقوعه في القرآن كالسيوطي (ت ٩١١هـ) الذي ردّ على القائلين بوقوع الالتفات في قوله تعالى : ﴿ قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ [٧٢] إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۗ (١)

لا يصلح هذا المثال لأن شرط الالتفات عنده (أن يكون المراد به واحداً) (٢) بمعنى أن الضمير المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى المنتقل عنه وهو ما لم يتحقق في الآيتين السابقتين .

إلا أنه لا يمكننا التسليم بهذا الرأي ،ولكن يمكن القول أن وقوع هذا النوع من الالتفات قليل في القرآن الكريم وليس معدوماً ،كما أن التجاوز عن شرط كون الضمير واحداً يوسع آفاق الوظيفة الفنية لأسلوب الالتفات (٣) ومن أمثله في القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِن بَعْدِ ضِرَاءٍ مَسَّهِمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرُفٍ ءَايَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴾ (٤)

ولا يقتصر الالتفات على هذه الصيغ فقط بل يتجاوزها إلى الانتقال من الفعل المستقبل إلى فعل الأمر ،أو الرجوع عن الفعل الماضي إلى فعل الأمر ،أو الإخبار عن المستقبل بالماضي ،أو عن الماضي بفعل المستقبل وغيرها كثير،فصل فيه المتخصصون في البلاغة (٥) إلا أن ما يهمننا من هذا الأمر هو الاستفادة من هذا الأسلوب في بيان وجه الارتباط والتناسب في الانتقال بالخطاب من شكل إلى آخر ومن صيغة إلى أخرى بحسب ما اقتضاه الحال عند التعبير عنه ،إذ أن مناسبة المقال لمقتضى الحال هو ما تكشفه المناسبة عند الانتقال من كلام إلى آخر ليؤدي وظيفة تفسيرية تكشف عن أن كل آية وكل صيغة وكل انتقال لها ما يبررها ولم تأت عبثاً أو

(١) - طه : ٧٢ - ٧٣ .

(٢) - السيوطي ، معترك الأقران : ٢٨٧/١ .

(٣) - ظ : طالب محمد الزوبعي ، ،من أساليب التعبير القرآني ،دراسة لغوية أسلوبية في ضوء النص القرآني : ١١٢

(٤) - يونس : ٢١ .

(٥) - ظ - احمد مطلوب ،معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ١٧٣ - ١٧٩ ، فقد تتبع آراء البلاغيين بكل تفاصيلها ابتداءً من تعريفه وأنواعه ووقوعه في القرآن الكريم وفي لغة العرب .

لمجرد تنشيط ذهن السّامع أو المتلقي - وإن كانت تؤدي هذه الوظيفة - إلا أنها بالإضافة إلى كل ذلك لها هدف آخر ودلالات أخرى ترمي إلى تحقيقها .

فالالتفات وسيلة من وسائل الكشف عن وجوه الترابط والتناسب بين أمرين أو قضيتين مهما اختلف أسلوب الخطاب بها ، أو زمن وقوعها ، أو الزمن الذي تحدّث به القرآن الكريم عنها .

و - حسن الابتداء والتخلص

ويُسمّى أيضا براعة الاستهلال ، وحسن المطلب البراعة (أو البلاغة) و براعة التخلص .

وهي وإن اختلفت تسمياتها عند البلاغيين إلا أن مسمياتها واحدة ، فبراعة الاستهلال (أو حُسن الابتداء) : (وهو أن يذكر الإنسان في أول خطبته أو قصيدته أو رسالته كلاماً دالاً على الغرض الذي يقصده ليكون ابتداء كلامه دالاً على انتهائه)^(١) .

أما البراعة (حُسن المطلب) : (فهي الحذق بطريقة الكلام وتجويده ، وقد يُوصف بذلك كل متقدم في قول أو صناعة)^(٢) ، وإذا وصف الكلام بالبراعة فمعناه أنه حُدِّقت طريقته وأجيد نظمه ، وقد يُوصف بذلك كل مجيد قول أو صناعة فيجوز أن يُوصف القرآن الكريم بالبراعة على هذا المعنى ، والمراد أنه نظم يخرج عن إمكان الناطقين لا على معنى أنه تجويد كلام هو على معنى كلام العرب)^(٣) .

وعرفه الزرنجاني (ت ٦٥٦هـ) والطبيبي (ت ٧٤٣هـ) : (هو أن يخرج إلى الغرض بعد تقدم الوسيلة كقوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ..)^(٤) .

(١) - أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية : ٢٢٨ ، وظ : ابن قيم الجوزية ، الفوائد : ١٣٩ .

(٢) - الباقلاني : إعجاز القرآن : ١٩٤ .

(٣) - أحمد مطلوب ، معجم المصطلحات البلاغية : ٢٢٦ ، وظ : الباقلاني ، نكت الانتصار لنقل القرآن : ٢٦٠ .

(٤) - السيوطي ، الإتقان : ٤٧٣ .

وأما حُسن التلخيص فهو : (أن ينتقل مما ابتدئ به الكلام المقصود على وجه سهل يختلسه اختلاصاً دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الأول إلا وقد وضع عليه الثاني لشدة الالتئام بينهما)^(١) .

ويمكن القول أن هذه الأجزاء الثلاثة بترابطها وتناسبها مع بعضها تشكل الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية فعادة ما تُستهل السورة بمقدمة تطرح الموضوع أو الموضوعات بشكل موجز لكنه يقدم للمتلقي فكرة أولى تطرحها بين يديه بصورة من البراعة والبلاغة تشكل مدخلاً قوياً للنفوذ إلى ما ستتناوله فيما بعد مما يُعدّ صلب الموضوع أو المحاور التي تتناولها والتي تمثل المطلب الذي تطرحه حتى إذا انتهت من عرض تلك المطالب وحققت الهدف المراد يأتي التلخيص إلى موضوع آخر بأحسن وجه ، وإن كان بعضهم قد ذكر وقوع حسن التلخيص في القرآن الكريم كأبي العلاء محمد بن غانم^(*) بقوله :

(ليس في القرآن الكريم شئ منه لما فيه من التكلف ، وإن القرآن إنما ورد على الاقتضاب الذي هو طريقة العرب من الانتقال إلى غير ملائم)^(٢) .

إلا أن السيوطي (ت ٩١١هـ) ردّ على ذلك بقوله : (ليس الأمر كما قال ففيه من التخلصات العجيبة ما يُحير العقول)^(٣) .

ففي قوله تعالى في سورة الإسراء ، وبعد أن ذكر حادثة الإسراء وقصة موسى (عليه السلام) مع قومه : ﴿ إِن أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴾^(٤) ولم ينقطع بذلك الكلام إلى أن خرج إلى قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾^(٥) يعني إن عدتم إلى الطاعة عدنا إلى العفو ، ثم خرج خروجاً آخر إلى حكمة القرآن

(١) - السيوطي ، معترك الإقران : ٤٧/١ .

(*) - لا توجد له ترجمة في معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ، أو في الأعلام للزركلي ، أو في وفيات الأعيان لأبن خلكان ، أو في إتمام الأعلام لنزار أباطة ومحمد رياض المالح .

(٢) - السيوطي ، الإتقان : ٤٧٢ .

(٣) - م . ن : ٤٧٢ .

(٤) - الإسراء : ٧ .

(٥) - الإسراء : ٨ .

الكريم بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (١) لأنه الآية الكبرى ، وهكذا يجري الانتقال من مكان إلى آخر حتى ينقطع الكلام . (٢)

وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣) .

فهذه الآية أحسن أمثلة التخلُّص إذ : (جاء بصفة النور وتمثيله ، ثم تخلص منه إلى ذكر الزجاجاة وصفاتها ثم رجع إلى ذكر النور والزيت يستمد منه ثم تخلص منه إلى ذكر الشجرة ثم تخلص من ذكرها إلى صفة الزيت ثم تخلص من صفة الزيت إلى صفة النور وتضاعفه ثم تخلص منه إلى نِعَم الله بالهدى على من يشاء) (٤) .

والأمثلة كثيرة في القرآن الكريم ... وهكذا نجد أن تجاور الآيات بعضها مع بعض وتلاحقها مترابطة واحدة بعد الأخرى برابطة يحسن فيها القرآن الكريم الانتقال من حديث إلى آخر بشكل لا يشعر فيه المتلقي أو السامع بأنه انفصل عن الحديث في الموضوع الأول حتى يجد نفسه قد دخل في الحديث عن الموضوع الذي يليه دون أن يشعر بانقطاع بين الموضوعين ، وهكذا حتى لو تعددت الموضوعات وتلاحقت .

ز - الإجمال والتفصيل

ليس المراد من الإجمال والتفصيل هنا ما يتعلق بالأحكام الشرعية التي جاءت مجملة في آيات وفُصلت في آخر بل يشمل كل الموضوعات التي تتناولها السورة

(١) - الإسراء : ٩ .

(٢) - ظ : الزركشي ، البرهان : ٥٣/١ .

(٣) - النور : ٣٥ .

(٤) - الزركشي ، البرهان : ٥٤/١ .

الواحدة أو مجموعة من الآيات قد تكون متجاورة وقد تتباعد عن بعضها لكن تربطها علاقة تفصيل لما أجمل، فقد تتقدم الآية المجملة وتأتي بعدها عدة آيات تفصل مضمونها .

وأحياناً يقتصر التفصيل بين الآيات بزيادة لبعض الألفاظ التي تفصل ما أجملته في آية أخرى، كقوله تعالى في سورة التغابن : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(١) وقال في سورة الحديد : ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾^(٢) .

فقد فصل في قوله : (في الأرض وفي أنفسكم) ما لم يفصل في الآية الأخرى موافقة لما قبلها ، فإنه فصل في أحوال الدنيا والآخرة بقوله : ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ۗ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهَيِّجُ فَتْرَتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ۗ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۗ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾^(٣) .

ولم يرد مثل هذا في سورة التغابن^(٤) فقد سبقها قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَسَاءَ الْمَصِيرُ ﴿٦١﴾ مَا

(١) - التغابن : ١١ .

(٢) - الحديد : ٢٢ .

(٣) - الحديد : ٢٠ - ٢١ .

(٤) - ظ : الكرمانى ، البرهان في توجيه متشابه القرآن : ١٨٢ ، و ظ : السامرائى ، التعبير القرآنى : ١١٣ .

أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾^(١)
فجاء الإجمال هنا مناسباً لما سبق هذه الآية من إجمال بينما فصل في الثانية بما
ينتناسب مع التفصيل الذي سبقها .

وقد لا تكون آية بل جملة مجملة في آية واحدة تتبعها جمل مفصلة لها
وموضحة في الآية ذاتها ، فمثلاً قوله تعالى عند سؤال الملائكة : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ
لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ
الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾^(٢) أجابهم
الله تعالى على سبيل الإجمال : ﴿ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ وحينما أراد أن يفصل
لهم ويزيدهم بياناً لذلك المجمل بين لهم من فضل آدم (عليه السلام) ما لم يكن ذلك
معلوماً لهم وذلك بأن علم آدم الأسماء كلها ثم عرضها عليهم ليظهر كمال فضله
ويتأكد ذلك الجواب الإجمالي بهذا الجواب التفصيلي .^(٣)

وقد لا تكون الآيات المفصلة قريبة أو مجاورة للآية المجملة فتأتي بعدها عدّة
آيات ، كقوله تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَمْضَعًا
كَثِيرًا وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(٤) .

يبين الرازي أن تفصيل هذه الآية المجملة جاء في الآية : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ
يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ
وَاللَّهُ يُضْعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾^(٥) .

(١) - التغابن : ١٠ - ١١ .

(٢) - البقرة : ٣٠ .

(٣) - ظ : الرازي ، مفاتيح الغيب : ١٦١/٢ .

(٤) - البقرة : ٢٤٥ .

(٥) - البقرة : ٢٦١ .

فيقول : (في كيفية النظم وجوه : الأول ؛ قال القاضي رحمه الله : أنه تعالى لما أجمل في قوله : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ ... ﴾ (١) فصل بعد ذلك في هذه الآية تلك الأضعاف) (٢) .

وعلى الرغم من أن بين الآيتين عدد من الآيات (*) التي تفصل بينهما إلا أن هذه الفاصلة لم تؤثر على العلاقة التي تربط الآيتين ، كون إحداها مفصلة للأخرى .

وقد تتقدم الآية المفصلة على الآية المجملة ، كما في قوله تعالى : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٣) فيرى ابن عاشور أن هذه الآية : (أعقت تفاصيل صفاتهم (**)) بتصوير مجموعها في صورة واحدة بتشبيه حالهم بهيئة محسوسة وهذه طريقة تشبيه التمثيل إلحاقاً لتلك الأحوال المعقولة بالأشياء المحسوسة لأن النفس إلى المحسوس أميل ، وإتماماً للبيان بجمع المتفرقات في السمع المطالة في اللفظ في صورة واحدة ، لأن للإجمال بعد التفصيل وقعاً من نفوس السامعين (٤) .

فالإجمال هنا جميع ما بينته الآيات التي وصفت المنافقين في الآية الأخيرة : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ... ﴾ .

(أي أن التمثيل إجمال للتفاصيل ، ومن ثم فإن العلاقة كما هي متجلية في الخطاب لا تسلك دوماً نفس الاتجاه من المجمال إلى المفصل وإنما قد تسلك سبيلاً مخالفاً من المفصل إلى المجمال) (٥) لتحقيق الغرض المطلوب وهو الوقوع الذي تتركه في نفوس السامعين .

وكما تتضح علاقة الإجمال والتفصيل بين الآيات نراها أيضاً بين مقاطع السورة الواحدة ، فيأتي في مقدمة السورة إجمال للموضوع أو الموضوعات التي ستفصلها المقاطع الأخرى من السورة ذاتها ، فتعطي المقدمة فكرة موجزة عنها ثم

(١) - البقرة : ٢٤٥ .

(٢) - مفاتيح الغيب : ٣٩/٧ .

(*) - بينهما ست عشرة آية .

(٣) - البقرة : ١٧ .

(**) - أي صفات المنافقين التي وردت في سورة البقرة الآيات (٨ - ١٦) .

(٤) - التحرير والتنوير : ٢٩٧/١ .

(٥) - خطابي ، لسانيات النص : ١٨٩ .

تأتي المقاطع الأخرى مبيّنة ما أجملته المقدمة ، كما في سورة (نوح) التي أجملت الإنذار في بدايتها بقوله تعالى : ﴿ قَالَ يَتَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (١) ثم فصلت مستوياته : ﴿ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا اللَّهَ ﴾ و ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْوَابَهُمْ فِيءَ آذَانِهِمْ وَأَسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴾ و ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴾ و ﴿ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ (٢).

وكذلك في سورة الواقعة ، فقد أجملت مقدمتها الأصناف الثلاثة؛ السابقين، أصحاب اليمين ، وأصحاب الشمال ، ثم فصلت الحديث عنهم واحداً بعد الآخر . (٣)

وتوسّع السيوطي (ت ٩١١هـ) في بيان علاقة الإجمال والتفصيل حتى شملت عنده سور القرآن الكريم جميعاً . فقد بيّن أن السورة اللاحقة هي تفصيل لما أجمل أو لبعض ما أجمل في السورة السابقة لها ، فمثلاً يرى أن : (سورة الفاتحة بُنيت على إجمال ما يحويه القرآن مفصلاً ، فقد جمعت مقاصد القرآن فهي أم القرآن ، وأم الكتاب ، فصارت كالعنوان وبراعة الاستهلال) (٤) .

ويشير إلى ذلك مستشهداً بقول الزمخشري (ت ٥٣٧هـ) : (وبيان اشتمالها على المعاني التي توفرت في القرآن باشتمالها على الثناء على الله بما هو أهله وعلى التعبد والأمر والنهي وعلى الوعد والوعيد) (٥) .

وهكذا يستمر في بيان أن سورة البقرة تُفصّل ما أجمل في الفاتحة لأنها تضمنت قواعد الدين ، وآل عمران مكملة لمقصودها ، فالبقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم ، وآل عمران بمنزلة الجواب على شبهات الخصوم ، ولهذا ورد فيها كثير من المتشابه لما تمسك به النصارى) (٦) .

والأمر كذلك بالنسبة لبقية السور عنده (*) .

(١) - نوح : ٢ .

(٢) - نوح : ٢ - ٩ .

(٣) - ظ : البستاني محمود ، المنهج البنائي في تفسير القرآن الكريم (بحث) .

(٤) - تناسق الدرر في تناسب السور : ٦١ .

(٥) - الزمخشري ، الكشاف : ٤٥/١ ، في تفسير سورة الفاتحة .

(٦) - تناسق الدرر في تناسب السور : ٦٣ .

(*) - فصل القول في ذلك في كتابه (تناسق الدرر في تناسب السور) الذي خصه لبيان أوجه الترابط بين السور .

ح - البيان والتفسير

تأخذ هذه العلاقة شكلاً يتضح من خلال الآيات، تارة بالألفاظ وأخرى بالجمل، وقد يكون ذلك في آية واحدة أو في آيات متعددة، فيسير الجزء المبين في نفس اتجاه الجزء السابق له ليرفع الإبهام أو الالتباس الذي قد يقع فيه السامع أو المتلقي .

فما جاء مبيناً بالألفاظ في الآية الواحدة قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ

فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ

بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾^(١) فجاء التوضيح والبيان في الآية نفسها بقوله :

(يذبحون أبناءكم ،ويستحيون نساءكم ،ففي هذه الحالة يكون الفعلان يذبحون ويستحيون فعلين مبينين لفعل سابق هو يسومونكم ، لأن هذا الفعل الأخير يفتقر إلى ما يبيّنه فجاء الفعلان محددتين لنوع العذاب)^(٢) .

ومنه قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ

قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى

نَصَرَ اللَّهُ الْآلَةَ إِنَّا نَصَرَ اللَّهَ قَرِيبٌ ﴾^(٣) فقد جاء البيان في الآية ذاتها في قوله تعالى :

﴿ ... مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ ... ﴾ .

قال الزمخشري : (بيان للمثل وهو استئناف ،كأن قائلًا قال : كيف ذلك المثل ؟ فقيل : مستهم البأساء ...)^(٤) .

(١) - البقرة : ٤٩ .

(٢) - خطابي ، محمد ،لسانيات النص ،مدخل إلى انسجام الخطاب : ١٨٧ .

(٣) - البقرة : ٢١٤ .

(٤) - الكشاف : ٢٨٤/١ .

وقد يأتي التفسير في جمل متوالية في الآية ذاتها ، كما في قوله تعالى في آية الكرسي : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ (١) .

يبين ذلك الزمخشري (ت ٥٣٧هـ) بقوله : (فان قلت كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف ؟ قلت : ما منها جملة إلا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتب عليه ، والبيان متحد بالمبين ، ... فالأولى ؛ بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمناً عليه غير ساه عنه ، والثانية ؛ لكونه مالكا لما يدبره ، والثالثة ؛ الكبرياء شأنه ، والرابعة ؛ لإحاطته بأحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى ، والخامسة ؛ لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها ، أو لجلالة وعظم قدره) (٢) .

كما يأتي البيان في آيتين أو أكثر ، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣) جاءت مبيّنة للآية السابقة عليها : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ (٤) .

(استئناف بياني ؛ ذلك لأن الإذن بأكل الطيبات يثير سؤال من يسأل ما هي الطيبات ؟ ف جاء هذا الاستئناف مبيناً للمحرمات وهي أضداد الطيبات لتعرف الطيبات بطريقة المضادة المستفادة من صيغة الحصر) (٥) .

(فقد جاء بيان الطيبات على عكس ما هو منتظر إذ اكتفى تعالى بحصر المحرمات (الميتة والدم ...) بناءً على أن المحرم محدود بينما الطيبات غير محدودة

(١) - البقرة : ٢٥٥ .

(٢) - الكشاف : ٣٢٩/١ .

(٣) - البقرة : ١٧٣ .

(٤) - البقرة : ١٧٢ .

(٥) - ابن عاشور ، التحرير والتنوير : ١١٤/٢ .

... ونلاحظ أن علاقة البيان سواء أكانت بين عنصرين داخل نفس الآية أم بين آيتين غالباً ما تكون استجابة لاستفهام مقدر بما يعني أن العلاقة بين المبيّن والمبين وطيدة في غير ما حاجة إلى رابط (١) .

ط - السؤال والجواب

تتخذ هذه العلاقة شكلاً قد يكون واضحاً في آيات القرآن الكريم بصيغة سؤال مباشر بألفاظ وأدوات دالة على ذلك، كقوله تعالى :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ۗ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى ۗ وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۗ ﴾ (٢) .

﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۗ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ۗ ﴾ (٣) .

﴿ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۗ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَاحْوَئِكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ۗ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۗ ﴾ (٤) .

(١) - خطابي، لسانيات النص : ١٨٨ .

(٢) - البقرة : ١٨٩ .

(٣) - البقرة : ٢١٥ .

(٤) - البقرة : ٢٢٠ .

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ
مُكَلَّبِينَ تَعْمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ۖ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ
وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۝﴾ (١) .

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقَّتِهَا
إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْتَةً ۖ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا
قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝﴾ (٢) .

فيأتي الجواب بعدها مباشرة ،ولا يحتاج الأمر إلى كثير جهد لمعرفة المناسبة
بين السؤال وما بعده .

وقد يكون السؤال والجواب في سورة واحدة ؛ فيأتي الجواب بعد السؤال بعدة
آيات تفصل بينهما دون أن تؤثر هذه الفاصلة على علاقة الترابط بين الآيتين ،كما في
قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ
لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ۝﴾ (٣) .

فيأتي الجواب بعد عدة آيات تفصله عن السؤال ،بقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ
مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنْهُمْ لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَيَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا
بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۝﴾ (٤) .

(١) - المائدة : ٤ .

(٢) - الأعراف : ٤ .

(٣) - الفرقان : ٧ .

(٤) - الفرقان : ٢٠ .

وقد يأتي بصيغة سؤال مباشر أو بأحد أدوات الاستفهام فيسمى ابتداءً ويُسمى جوابه انتهاءً .^(١)

وقد يأتي السؤال أو الابتداء في سورة والجواب في سورة أخرى ،كقوله تعالى في سورة الفرقان : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾^(٢) وجوابه : ﴿ الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾^(٣) في سورة الرحمن .

أو كقوله تعالى في سورة الأنفال : ﴿ وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ ﴾^(٤) فجاء جوابه في سورة الإسراء : ﴿ قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾^(٥) .

وقد يرد للسؤال الواحد جوابان ،كقوله تعالى في سورة الزخرف : ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبِينَ عَظِيمٍ ﴾^(٦) (فله جوابان : أحدهما : ﴿ أَهْمَ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا

(١) - ظ : الفيروزآبادي ،بصائر ذوي التمييز : ١١٠/١ .

(٢) - الفرقان : ٦٠ .

(٣) - الرحمن : ١ - ٢ .

(٤) - الأنفال : ٣١ .

(٥) - الإسراء : ٨٨ .

(٦) - الزخرف : ٣١ .

تَجْمَعُونَ ﴿١﴾ والثاني في سورة القصص : ﴿وَرَبُّكَ خَلَقَ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْحَيْرَةُ ۗ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢﴾ (...) (٣).

ومنه أيضا قوله تعالى : ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿٤﴾ وجوابه : ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٥﴾ و : ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٦﴾ .

وأما الجواب الذي يكون ضمن كلام (٧) كقوله تعالى : ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ... ﴿٨﴾ جوابه في ضمن هذه الآية : ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ ؕ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسْتَعْمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩﴾ .

ومما مرّ يتضح الترابط الوثيق بين السؤال وجوابه أو الابتداء والانتهاى ، على الرغم من التفاوت في مواقع الآيات التي تسأل ، وبين التي تُجيب ، وسواء أكانت في سورة واحدة أم في سور متعددة ، أو بوجود فارق زمني في النزول أو اختلاف في سبب نزولها .

ومهما تعددت وجوه الترابط والتناسب لكن تبقى وحدة الموضوع التي تربط بين تلك الآيات والهدف الكلي المراد منها هو الذي يفرض نفسه حين نبحث عن وجه الترابط والتناسب بين تلك الآيات وهو الذي يتجه بالسامع أو القارئ نحو بيان وتفسير قوله تعالى من أجل فهم أدق وأشمل لآياته دون الاكتفاء بالوقوف على معرفة اللفظ وموقعه من الآية أو موقع نزولها وسببه بل الاستفادة من كل تلك المعطيات وتوظيفها للتفسير ، فتكون عاملاً مساعداً يُعززه فهم التناسب بين آيات القرآن الكريم .

(١) - الزخرف - ٣٢ .

(٢) - القصص : ٦٨ .

(٣) - الدخان : ١٤ .

(٤) - ظ : الفيروزآبادي : بصائر ذوي التمييز : ١١٢/١ .

(٥) - التكويد : ٢٢ .

(٦) - القلم : ٢ .

(٧) - ظ : الفيروزآبادي ، بصائر ذوي التمييز : ١١٤/١ .

(٨) - الملك : ٢١ .

(٩) - الملك : ٢٩ .

الفصل الثاني

(مستويات التناسب في القرآن الكريم)

المبحث الأول - التناسب في السورة الواحدة
المبحث الثاني - التناسب بين السور

التناسب في السورة الواحدة

أولاً - التناسب في الآية الواحدة

- أ - التناسب في الاستعمال اللفظي
- ب - التناسب في استعمال الاسم والفعل
- ج - التناسب في التقديم والتأخير
- د - التناسب في الحذف والذكر
- هـ - التناسب في التوكيد
- و - التناسب في الفاصلة

ثانياً - التناسب بين آيات السورة الواحدة

- أ - التناسب بين آيات ذات موضوعات متعددة والهدف واحد
- ب - التناسب بين آيات ذات موضوعات متعددة وأهداف متعددة
- ج - التناسب بين آيات ذات موضوع واحد وهدف واحد
- د - التناسب بين آيات ذات موضوع واحد وأهداف متعددة
- هـ - التناسب بين فارق زمني في النزول
- و - التناسب بين آيات تتخلل آيات ذات موضوع واحد

ثالثاً - التناسب بين مقدمة السورة وخاتمتها

رابعاً - التناسب بين مقدمة السورة ومقاصدها

خامساً - التناسب بين اسم السورة ومحورها

التناسب في السورة الواحدة

تُمثل السورة القرآنية وحدة موضوعية متكاملة مرتبة وفق نظام دقيق يبتدىء بالمقدمة، ثم تتناول الموضوع أو الموضوعات المتعددة، وتنتهي بالخاتمة، وما بين تلك الأجزاء الثلاث شبكة من العلاقات والروابط، تشدّ بعضها إلى بعض، وتصل بين أجزائها سواء أكانت بين الآية الواحدة من السورة أو بين آياتها التي قد تكون مختلفة في سبب نزولها، أو بينها فارق زمني كبير في النزول .

فالسورة الواحدة مهما تعدد القضايا التي تتناولها فإنها تبقى كلاً متكاملًا متعلقاً أوله بآخره، مرتبطاً ختامه بمقدمه في تلاحم بين الأجزاء والمقاطع بشكل يبيّن دقة النسيج وإحكامه .

وتتخذ هذه الروابط أشكالاً متعددة، فتارة تجمعها وحدة الموضوع ووحدة الهدف أو بالعكس، وتارة يكون الموضوع واحداً وأهدافه متعددة، أو تتعدد الموضوعات والهدف واحد، وقد تتخلل الموضوع الواحد آيات تبدو - ظاهراً - لا علاقة لها بما سبقها، إلا أن وجه الترابط قد يخفى وقد يظهر، وستتضح كل تلك الوجوه من خلال الفقر اللاحقة .

١ - التناسب في الآية الواحدة

يأخذ التناسب في الآية الواحدة ظواهر متعددة، فمن خلال دراسة الآية تتضح وجوه التناسب بين مفرداتها، بل وحروفها، فكل حرف إنما وُضع لقصد، وكل مفردة وُضعت في موضعها المناسب .

وإذا كان لكل آية مناسبة مع ما قبلها وبعدها، فإن التناسب بين مفردات الآية الواحدة أولى، لأنها لبنة أساسية في إعجاز القرآن الكريم، وإن أي تقديم أو تأخير، ذكر أو حذف، أو إبدال فهو أمر مقصود وله دلالاته التي يهدف إليها النص القرآني، فوضع الألفاظ في القرآن الكريم جاء بحساب، بل هي موضوعة وضعاً دقيقاً جداً .

ومن خلال دراسة ظواهر التناسب في الآية الواحدة يتضح أن استعمال لفظ ما فإنه يؤدي معنى لا يؤديه آخر غيره، وأن القرآن الكريم لم يترك وجهاً يقتضيه المقام إلا راعاه بدقة، ومن تلك الاستعمالات :

أ - التناسب في الاستعمال اللفظي

للقرآن الكريم خصوصيات في استعمال الألفاظ، إذ تأتي اللفظة بوصفها بنية سياقية ذات قيمة دلالية داخل نسيج النص القرآني، ويكون وجودها ضرورياً في ذلك الموضع ولا يتحقق التناسب اللفظي إلا بها، ومن هنا فأول ما يتلقفه القارئ هو وجود اللفظ في النص القرآني كونه ركناً من أركان التعبير، لذلك جاء اختيار اللفظ ضرورة سياقية، فاخُتِصت بعضها باستعمالات خاصة تدل على قصد واضح في التعبير بها عن المراد، فلفظ (الريح) مثلاً ورد في القرآن الكريم، فهو يحمل العقوبة والشر :

﴿ مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ

ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾^(١) و : ﴿ وَأَمَّا

عَادٌ فَأَهْلِكُوا بَرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾^(٢) .

(١) - آل عمران : ١١٧ .

(٢) - الحاقة : ٦ .

أما استعمال لفظ (رِيح) فغالباً ما يأتي تعبيراً عن البُشرى والرحمة والخير :
﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا
سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ۗ كَذَٰلِكَ يَخْرِجُ
الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) و : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ
وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلَعَلَّكُمْ
تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

ولم يأت استعمال (رِيح) في الخير إلا في موضع واحد أعقبها بذكر الشر في
قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۗ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ
بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا
أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۗ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ لَئِن أَخَذْتُمَا مِنْ هَذِهِ لَنُكُونَنَّ مِنَ
الشَّاكِرِينَ ﴾ (٣) .

وفي كلا الموضعين تأتي اللفظة مناسبة لما يقتضيه الحال ،متناسقة مع السياق
الذي جاءت فيه ،لفظة (رِيح) الأولى جاءت بلفظ المفرد ولم تأت جمعاً (رِيح)
لأن السفينة لا تسير بريح واحدة ومن وجه واحد ،فإذا اختلفت عليها الرياح
وتصادمت وتقابلت فهو سبب الهلاك ... وأكد هذا المعنى بوصفها طيبة دفعا لتوهم
أن تكون ريحاً عاصفة بل هي مما يُفرح بها لطيبها . (٤)

وفي كلا الموضعين تأتي اللفظة مناسبة لما يقتضيه الحال ،متناسقة مع السياق
الذي جاءت فيه .

(١) - الأعراف : ٥٧ .

(٢) - الروم : ٤٦ .

(٣) - يونس : ٢٢ .

(٤) - ظ : عبد الله الجيوسي ،التعبير القرآني والدلالة النفسية : ٢٨٣ .

كذلك في استعمال لفظ (وصى) و (أوصى) فغالبا ما يُستعمل (وصى)
للأمور المعنوية ، كما في قوله تعالى : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا
وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقْبِئُوا الدِّينَ وَلَا
تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ
مَنْ يُنِيبُ ﴾ (١) .

أما إذا أراد أن يبين أمراً مادياً فيستعمل اللفظ (أوصى) كقوله تعالى :
﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ
فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ
مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَوَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبُوَاهُ فَلِلْأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ
إِخْوَةٌ فَلِلْأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ
أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (٢) .

ولم يستعمل (أوصى) في أمر معنوي إلا في موضع واحد من القرآن
الكريم، اقترنت فيه بأمر مادي ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ
وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ (٣) فقال (أوصاني) نظراً لاقتران
الصلاة بالزكاة وهي أمر مادي متعلق بالأموال . (٤)

ومنه أيضا التناسب في الأفراد والجمع ، فحينما يُستعمل اللفظ تارة مفرداً وتارة
جمعا فيراد به معنى مقصودا يختلف في كل موضع عن الآخر ، ففي قوله تعالى في
قصة صالح (عليه السلام) : ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي

(١) - الشورى : ١٣ .

(٢) - النساء : ١٣ .

(٣) - مريم : ٣١ .

(٤) - ظ : فاضل السامرائي ، التعبير القرآني : ١٤ .

وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحِينَ ﴿٥﴾ بينما قال في قصة شعيب (عليه السلام) : ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ط فَكَيْفَ ءَأَسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴾ (١) .

فناسب أن تأتي لفظة رسالة مفردة في قصة صالح (عليه السلام) وأن تأتي بلفظ الجمع في قصة شعيب (عليه السلام) ذلك لأن صالحاً (عليه السلام) قد بُعث إلى قومه فقط، بينما بُعث شعيب (عليه السلام) إلى أمتين : مدين وأصحاب الأيكة، كما أن ما ذكر من الأوامر والنواهي في القرآن الكريم على لسان شعيب (عليه السلام) أكثر مما ذكر على لسان صالح (عليه السلام) . (٢)

ب - التناسب في استعمال الفعل والاسم

من المعلوم أن الفعل يدل على الحدوث والتجدد، والاسم يدل على الثبوت والاستقرار (٣)، وإن الاستعمال القرآني للفظ - فعلاً كان أو اسماً - يُعدّ استعمالاً فنيّاً في غاية الدقة لم يأت عبثاً أو مصادفة، بل له دلالاته المقصودة، فحينما يستعمل الاسم في موضع ما فعلاً فهو يريد به الحركة والتجدد والاستمرار، بينما يستعمل الاسم حينما يريد الثبوت والاستقرار، كقوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ط قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ط قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) فهو وإن لم يجعله بعد لكنه ذكره بصيغة دالة على أن الأمر قد تمّ واستقر وثبت فجاء باسم الفاعل لتكون دلالاته أدق . (٥)

(٥) - الأعراف : ٩٣ .

(١) - الأعراف : ٩٣ .

(٢) - ط : الاسكافي، درة التنزيل و غرة التأويل : ٨٨ .

(٣) - ط : فاضل السامرائي، معاني النحو : ١٥/١ .

(٤) - البقرة : ٣٠ .

(٥) - ط : فاضل السامرائي، التعبير القرآني : ٢٢ .

وقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١) فاستعمل الفعل دلالة على التجدد والحدوث ، لأن الإنفاق أمر يتجدد ، بينما جاء بلفظ الاسم في قوله تعالى : ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِتَّةِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾^(٢) وهنا فرض السياق صفة الثبات حينما تحدّث عن صفات المؤمنين الدالة على الثبات .^(٣)

ج - التناسب في التقديم والتأخير

يأتي تقديم لفظ وتأخير آخر لأسباب يقتضيها المقام ، ويمكن القول أن التقديم غالباً ما يكون للاختصاص أو للعناية والاهتمام ، وهو على نوعين :

١ - تقديم اللفظ على عامله

كقوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ﴿١﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٤) فقد قدم المفعول به (إياك) على فعل العبادة وعلى الاستعانة دون فعل الهداية ، فلم يقل (إيانا أهد) سبب ذلك أن العبادة والاستعانة تختصان بالله تعالى فلا يُعبد أحد سواه ، ولا يُستعان إلا به ، وهو متناسب مع ما سبقه من الثناء والحمد والشكر للمهيمن على الكون ، فجاء تقديم (إياك) متناسباً مع تقديم الحمد لله .^(٥)

(١) - البقرة : ٢٧٤ .

(٢) - آل عمران : ١٧ .

(٣) - ظ : فاضل السامرائي ، التعبير القرآني : ٣٠ .

(٤) - الفاتحة : ٥ - ٦ .

(٥) - ظ : محمود البستاني ، التفسير البنائي : ١٦/١ .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ ءَامَنَّا بِهِ ؕ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسْتَعْمُؤْنَ مَنْ

هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(١) فقدم الفعل (آمنا) على الجار والمجرور ، وأخر (توكلنا)

عن الجار والمجرور (عليه) ذلك لأن : (الإيمان لما لم يكن منحصرأ في الإيمان بالله وحده بل لا بدّ معه من الإيمان برسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر وغيره مما يتوقف صحّة الإيمان عليه بخلاف التوكل فانه لا يكون إلا على الله وحده لتفرده بالقدرة والعلم ، فقدم التوكل فيه ليؤذن باختصاص التوكل من العبد على الله دون غيره لأن غيره لا يملك ضرأ ولا نفعأ فَيُتَوَكَّلُ عَلَيْهِ)^(٢) .

٢ - تقديم اللفظ وتأخيرته على غير العامل

يأتي تقديم لفظ على آخر بحسب ما يقتضيه السّياق ، وغالبأ ما يكون للغاية والاهتمام به أكثر من غيره أو للاختصاص ، لأن مراعاة مقتضى الحال يستدعي ذلك كي تتناسب الألفاظ بعضها مع بعض ، وقد بلغ الأمر في القرآن الكريم ذروته ، حيث يضع الكلمة في موضعها المناسب ، ولم يكتف بذلك بل يُراعي جميع المواضع التي فيها اللفظ في القرآن الكريم كله ، فيأتي التعبير متسقأ مع غيره من التعبيرات في وحدة فنيّة متكاملة .

فتقديم لفظ في القرآن الكريم أو تأخيرته لا يأتي عبثأ بل لأسباب عدّة ، فتارة يكون للسبق ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(٣) فخلق

الجن أسبق من خلق الإنسان ، وقوله تعالى : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ

مِّن مَّسْكِينِهِمْ ۗ وَزَيْنَ ۗ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا

مُستَبْصِرِينَ ﴾^(٤) فقدم عادأ على ثمود لأنها أسبق زمنياً .

ويأتي التقديم بحسب الفضل والشرف ، ومنه تقديم الله سبحانه وتعالى في

الذكر ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِّن

(١) - الملك : ٢٩ .

(٢) - الزركشي ، البرهان : ١٥٤/٣ .

(٣) - الذاريات : ٥٦ .

(٤) - العنكبوت : ٣٨ .

الْتَبَيَّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿١﴾ فقدم الله على الرسول ، ثم الشهداء والصالحين من الخلق حسب تفاضلهم، كما تدرج من القلة إلى الكثرة، فبدأ بالأنبياء وهم أقل الخلق، ثم الصديقين وهم أكثر، ثم الصالحين، فكل صنف أكثر من الذي قبله، فهو تدرج من القلة إلى الكثرة ومن الأفضل إلى الفاضل (٢).

ويأتي التقديم مراعاة للرتبة، كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتَكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ (٣) فبدأ بالجباه ثم الجنوب ثم الظهر: (لأنهم كانوا إذا أبصروا الفقير عبسوا، وإذا ضمهم وإياه مجلس إزوروا عنه وتولوا بأركانهم وولوه ظهورهم) (٤)، فتدرج هنا بحسب الرتبة.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَآخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلِّينَ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٥) (فقدم الطائفين لقربهم من البيت، ثم ثنى بالقائمين وهم العاكفون، لأنهم يخصون موصوفاً بالعبادة والطواف بخلافه فكان أعم منه، ثم ذكر الركوع والسجود لأنه لا يلزم أن يكون في البيت ولا عنده) (٦).

كما تدرج من القلة إلى الكثرة لأن الطائفين أقل من العاكفين، إذ أن الطواف لا يكون إلا حول الكعبة والعبادة يكون في المساجد، والعاكفون أقل من الراكعين، لأن الركوع أي الصلاة تكون في كل أرض أما العكوف فلا يكون إلا في المساجد، والراكعون أقل من الساجدين، وهكذا تدرج من القلة إلى الكثرة بحسب ما اقتضاه المقام (٧).

(١) - النساء : ٦٩ .

(٢) - ظ : السامرائي، التعبير القرآني : ٢٥٦/٢ .

(٣) - التوبة : ٣٥ .

(٤) - الزمخشري، الكشاف : ٢٥٦/٢ .

(٥) - البقرة : ١٢٥ .

(٦) - الزركشي، البرهان : ١٥١/٣ .

(٧) - ظ : السامرائي، معاني النحو : ١٩٠/٣ .

ولا ينحصر التقديم والتأخير في ذلك بل يتجاوزه إلى أسباب عديدة تتناسب مع ما يقتضيه الحال بما لا يتسع المقام لاستيفائها هنا .^(١)

ويتضح مما ذكر أن لتقديم لفظ وتأخير آخر أمر مقصود له دلالته في كل موضع ، وعند متابعة اللفظ ضمن الآية ، والآية ضمن سياق الآيات السابقة واللاحقة يُعطي معنىً يُساهم في تفسير الآية وفهمها بشكل يكشف جانباً إعجازياً لوقوع هذا اللفظ في هذا الموقع دون غيره .

د - التناسب في الحذف والذكر

للحذف والذكر في القرآن الكريم دلالات وأغراض ، فقد يُحذف لفظ أو أكثر حسبما يقتضيه السياق ، وقد يُحذف حرف في موضع ما ويُذكر في آخر ، كل ذلك يأتي متناسباً مع مقتضى الحال الذي وردت فيه الآية ، ويختلف باختلاف الموقف الذي يتطلبه التعبير عنه ، فما يصلح ذكره هنا لا يصلح هناك ، وما يجوز حذفه هنا لا يجوز حذفه في موضع آخر .

ففي قوله تعالى : ﴿ فَمَا اسْطَعُوعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَتَبِعُوا لَهُ نَقَبًا ﴾^(٢) فقد حذف حرف التاء في الفعل الأول ، بينما أثبتته في الفعل الثاني ، ولهذا الأمر دلالته ، فقد جاءت الآية الكريمة في سياق الحديث عن السدّ الذي بناه ذو القرنين ، فلما كان صعود السدّ أيسر من نقبه وأخفّ عملاً خفف الفعل للعمل الخفيف فحذف التاء ، فقال : (فَمَا اسْطَعُوعُوا) وطوّل الفعل بأطول بناء له للعمل الثقيل الطويل ، فقال (فَمَا اسْطَعُوعُوا) فحذف التاء في الصعود ، وجاء بها في النقب ، فتناسب الذكر والحذف في الموضوعين .^(٣)

(١) - من أسبابه أيضاً : العلة والسببية ، الغلبة والكثرة ، مراعاة اشتقاق اللفظ ، التعظيم والحث ، الترقي ، خفة اللفظ ... وغيرها ، ظ : الزركشي ، البرهان : ١٥٤/٣ - ١٨٣ ، السيوطي ، معترك الأقران : ١٢٨/١ - ١٣٦ ، والسامرائي ، التعبير القرآني : ٤٩ - ٧٤ .

(٢) - الكهف : ٩٧ .

(٣) - ظ : الغرناطي ، ملاك التأويل : ٣٢٤ .

وقوله تعالى في قصة نوح (عليه السلام) : ﴿ قَالَ أَمْلَأْ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(١) بينما في قصة هود (عليه السلام) : ﴿ قَالَ أَمْلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرُكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَتَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾^(٢) .

فقد زاد (الَّذِينَ كَفَرُوا) على ملاً قوم هود دون ملاً قوم نوح ، لأنه كان في أشراف قوم هود من آمن به ، ولم يكن في أشراف قوم نوح ، فأخرج المؤمنين من أشراف قوم هود لأن القائلين هم الذين كفروا .^(٣)

قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا ۚ وَإِن كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَايِبِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾^(٤) وقال في سورة النساء : ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا ۚ وَإِن كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُم مِّنَ الْغَايِبِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾^(٥) .

(١) - الأعراف : ٦٠ .

(٢) - الأعراف : ٦٦ .

(٣) - ظ : الزمخشري ، الكشاف : ١١٠/٢ .

(٤) - المائدة : ٦ .

(٥) - النساء : ٤٣ .

زاد (مِنَّهٗ) في آية المائدة، بينما لم يذكر في آية النساء لأن آية المائدة جاء فيها تفصيل وبيان لأحكام الوضوء كاملة، عكس آية النساء فإنها لم تذكر أحكام الوضوء مفصلة، فلما فصل وبيّن في المائدة وزاد في ذكر الأحكام زاد الجار والمجرور، فحينما جاء السياق مجملاً أجمل في الذكر، وحينما كان مفصلاً مبيناً زاد وبيّن فوضع كل تعبير في الموضع الذي يُناسبه. (١)

هـ - التناسب في التوكيد

يأتي التوكيد في القرآن الكريم حسب ما يقتضيه المقام، فهو أحياناً يحتاج إلى توكيد واحد، وأحياناً إلى أكثر، وأخرى يأتي ليؤكد في موضع ما لسبب اقتضى ذلك، لكنه لا يؤكد في موضع يبدو مشابهاً له، فالتوكيد يأتي مناسباً لما يفرضه المقام، فقوله تعالى: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٢) وقال تعالى في سورة أخرى: ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (٣).

فدخول اللام هنا في الآية على (فَبِئْسَ) جاء بعد وصف قوم هم أشدّ كفراً وأكبر جرماً من المذكورين في الآية الأولى، ذلك لأنهم ضلوا قومهم وحملوا أوزارهم مع أوزارهم، فزاد عذابهم، كما بينتها الآيات السابقة لهذه الآية: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَّا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ (٤).

(١) - ظ : الكرمانى، البرهان في توجيه متشابه القرآن : ٥١ .

(٢) - النحل : ٢٩ .

(٣) - الزمر : ٧٢ .

(٤) - النحل : ٢٥ .

فجاءت زيادة اللام لتوكيد العذاب ،بينما لم يصفهم بهذا الوصف في الآية السابقة (١) فجاءت اللام هنا لتناسب المقام الذي ذكرت فيه .

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مِّنْ ذَٰلِكُمْ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (٢) .

وقال : ﴿قُلْ هَلْ أَنْتُمْ بِشِرِّ مِّنْ ذَٰلِكَ مَثُوبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (٣) وقال في سورة أخرى : ﴿هَلْ أَنْتُمْ عَلَىٰ مَن تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ﴾ (٤) فاستعمل هنا طريقة أخرى للتوكيد ،وهي استعمال الهمزة و (هل) فعند النظر في الاستعمالين نجد أن استعمال هل جاء لما هو أقوى وأكد في الاستفهام. (٥)

و - التناسب في الفاصلة

لا يخفى ما للفاصلة في القرآن الكريم من أهمية كبيرة في بيان وجه من وجوه التناسب في الآية الواحدة بين مقدمتها وختامها ،فتأتي الفاصلة مراعاة لما يقتضيه التعبير والمعنى ،ولا يقتصر على مجرد الانسجام الموسيقي فقط .

(١) - ظ : الاسكافي ،درة التنزيل : ١٤٦ .

(٢) - الحج : ٧٢ .

(٣) - المائدة : ٦٠ .

(٤) - الشعراء : ٢٢١ .

(٥) - ظ : فاضل السامرائي ،التعبير القرآني : ١٤٨ .

عرّف الرماني (ت ٣٨٦هـ) الفاصلة بقوله : (الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع ،توجب حُسن إفهام المعاني ،والفواصل بلاغية والسجع عيب ،وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني ،أما الأسجاع فالمعاني تابعة لها) (١) .

وتابعه الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) على ذلك ،كما نفى وقوع السجع في القرآن الكريم بقوله : (وفواصل القرآن - مما هو مختص بها - لا شركة بينه وسائر الكلام فيها ولا تناسب) (٢) .

وإنما سُميت فواصل تمييزاً لها عن السجع الذي كان شائعاً على السنة الكهان ،فليس القرآن الكريم سجعاً : (لأن السجع يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع ،وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع من القرآن ،لأن اللفظ يقع فيه تابعاً للمعنى وبين أن يكون منتظماً دون اللفظ ،ومتى انتظم المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلباً لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى) (٣) .

كما لم يجز تسميتها قوافي : (لأن الله لمّا سلب عن القرآن اسم الشعر وجب سلب القافية عنه أيضاً لأنها منه) (٤) .

وجاءت تسميتها بـ (الفاصلة) اقتباساً من قوله تعالى : ﴿ كَتَبْتُ فَصَلَّتْ

ءَايَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٥) .

فهي ليست بأسجاع ،كما لم يُطلقوا عليها قوافي : (إذ استبعدوا تسميتها بالقوافي تكريماً للقرآن بأن يُقاس على منظوم البشر) (٦) .

إن تفصيل الكلام في موضوع الفاصلة وأنواعها والآراء فيها يحتاج إلى بحث مستقل لكثرة تفصيلاته وتفريعاته (٧) مما لا يسمح بالبحث بالإحاطة بها في فقرة واحدة ،وسيقصر البحث على الجوانب المتعلقة بالتناسب في الفواصل بقدر ما يكون وسيلة لكشف جانب من جوانب إعجازه ،فالفاصلة في القرآن الكريم لا تأتي مجرد صنعة بديعية ،وإنما تحمل دلالات معنوية تُفهم من خلال السياق .

(١) - النكت في إعجاز القرآن : ٨٩ .

(٢) - إعجاز القرآن : ٦١ .

(٣) - عائشة عبد الرحمن ،بنت الشاطي ،الإعجاز البياني للقرآن : ٢٥٥ .

(٤) - الزركشي ،البرهان : ٦٣/١ .

(٥) - فصلت : ٣ .

(٦) - محمد حسين الصغير ،الصوت اللغوي في القرآن : ١٤٣ .

(٧) - ظ : الزركشي ،البرهان : ٥٩/١ ، وما بعدها ، والسيوطي ،الإتقان : ٤٥٣ ، وما بعدها ، وظ : محمد الحسناوي ،الفاصلة في القرآن ،ذكرها مفصلة .

من فوائد الفاصلة في القرآن الكريم ؛أما أنها تتضمن الأسماء الحسنى أو معناها (عليم ، حكيم ، غفور ، رحيم ، سميع ، بصير) وأما إنها تُحيل قضاياها إلى العقل وتحثه على التفكير والتدبر فيها : (لعلهم يتفكرون ، يعقلون ، يتدبرون) أو تتضمن قاعدة كلية من مقاصد القرآن (كالتوحيد ، الحشر) فتؤيد الآية وتؤكدها .^(١)

وحيثما يُبين القرآن الكريم أفعال الصانع الجليل يستخرج من تلك الأفعال والآثار الأسماء الحسنى الإلهية ،كقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ۗ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝ ﴾^(٢) فبعد أن عرض الآثار الإلهية العظيمة التي تدل معانيها ونظمها على علم الله وقدرته يذكرها مقدمة لنتيجة مهمة وقصد جليل ثم يستخرج اسم الله العليم .

وقد يُفصل في بدائع صنعه تعالى ،ثم يجمعها في الخلاصة ضمن الأسماء الإلهية ،أو يحيلها إلى العقل ،كقوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۗ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝ ﴾^(٣) .

وحيثما يُفصل في أفعاله تعالى ثم يُجزها في الخلاصة ،يريد بذلك إيجاد القناعة والاطمئنان ،كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آئَالٍ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾^(٤) . فجاءت الفاصلة بقوله تعالى : (إِنَّ

(١) - عبد الله الخطيب ،مصطفى مسلم : المناسبات وأثرها على تفسير القرآن (بحث) .

(٢) - البقرة : ٢٩ .

(٣) - يونس : ٣١ .

(٤) - يوسف : ٦ .

رَبِّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (مشيراً إلى حكمته تعالى وربوبيته التي اقتضت اجتنابه لكم وتعليمكم من علمه .^(١)

قد يكون وجه التناسب واضحاً بين الفاصلة وما سبقها في الآية الواحدة فلا يحتاج إلى كثير عناء لإدراكه ، كما في قوله تعالى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢) فلما قدم سبحانه وتعالى نفي إدراك البصر له ، قال : (وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ) إذ إن كل لطيف لا تدركه الأبصار .

ولمّا قال : (لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ) جاء بلفظ (الْخَبِيرُ) : (مخصصاً لذاته سبحانه بصفة الكمال ، لأن كل من أدرك شيئاً كان خبيراً بذلك الشيء ، لأن المُدْرِكَ للشيء قد يُدرّكه ليخبره ، ولمّا كان الأمر كذلك أخبر سبحانه وتعالى أنه يُدرّك كل شيء مع الخبرة به)^(٣) .

وأما تخصيص الأبصار بالإدراك لتتناسب قوله (اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ) : (لأن اللطيف ما لا يُدرّك بالبصر ، والخبير يُناسب ما يُدرّكه البصر)^(٤) .

كذلك قوله تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾^(٥) فقال في ختام آية الليل (أَفَلَا تَسْمَعُونَ) بينما قال في الآية الثانية : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ

(١) - ظ : عبد الله الخطيب ، ومصطفى مسلم ، المناسبات وأثرها على تفسير القرآن (بحث) ،

وظ : النورسي ، الكلمات : ٤٨٣ .

(٢) - الأنعام : ١٠٣ .

(٣) - الزركشي ، البرهان : ٧٥/١ .

(٤) - السيوطي ، معترك الأقران : ٣٢/١ .

(٥) - القصص : ٧١ .

فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿١﴾ وَهنا ختم الآية بقوله : (أَفَلَا تُبْصِرُونَ) ولهذا الاختلاف دلالة في اختيار اللفظ المناسب لما سبقه ، فقد قال : (تَسْمَعُونَ) لمناسبة السَّماع للظرف الليلي الذي يصلح للاستماع ولا يصلح للإبصار ، بينما قال : (تُبْصِرُونَ) لأن الإبصار يصلح للنهار أكثر من الليل . (٢)

وأحياناً يبدو وجه التناسب خفياً - في الظاهر - بين آيات متجاورة أو متقاربة، ولكن بامعان النظر في السياق نجد أنها متناسبة تماماً معه ، كقوله تعالى : ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنََّّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٣) .

فقد يبدو أن لا تناسب بين تسبيح الأشياء وختم الآية بالحلم والمغفرة ، لكن بالعودة إلى الآيات السابقة لها نجد : (أن السياق كان عرضاً مسهباً عن سيئات أعمال كانت تقوم بها عرب الجاهلية ، ثم قال : ﴿كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ (٤) فلغرض تحريضهم على التوبة عنها والرجوع إلى شريعة الله المقدسة عقبها بالحديث عن تسبيح ما في الكون ليكونوا كغيرهم من سائر الخلائق ، فناسبه الختم بالحلم عما فعلوه في حينه والغفران عما ارتكبوه إذا رجعوا وأنابوا) (٥) .

كذلك قوله تعالى : ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ أَسْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (٦) فوجه المناسبة هنا قد لا يبدو واضحاً ، فما وجه وصفه بالحلم والرشد مع استنكارهم عليه بقولهم : (أَسْلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ) لكن هذه الخاتمة مع مقصودهم ذلك المقال الاستنكاري ستنتضح إذا ما عرفنا أنهم قالوا ذلك على سبيل السخرية

(١) - القصص : ٧٢ .

(٢) - ظ - السامرائي ، التعبير القرآني : ٢٢٥ .

(٣) - الإسراء : ٤٤ .

(٤) - الإسراء : ٣٨ .

(٥) - محمد هادي معرفة ، التمهيد في علوم القرآن : ٢٠٥/١ .

(٦) - هود : ٨٧ .

والاستهزاء، وإنما : (أرادوا (إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ) نسبته إلى غاية السّفه والعيّ فعكسوا ليتهكموا به كما يُتّهم بالشحيح الذي لا يبيض حجره فيقال : لو أبصرك حاتم لسجد) (١) . ومن جانب آخر أنه لما ذكر : (في الآية العبادة وتلاه ذكر التصرف في الأموال قابله بذكر الحلم والرشد على الترتيب ، لأن الحلم يناسب العبادات والرشد يناسب الأموال) (٢) .

وقوله تعالى : ﴿الرَّ كِتَبٌ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (٣) فقد جاءت الأسماء الحسنى هنا مناسبة تماماً مع ما تقدمها في صدر الآية : (كأنه قال : أحكمت آياته من لدن حكيم وفُصِّلَتْ من لدن خبير عالم بكليات الأمور) (٤) .

فجاء التقابل هنا ليكشف عن سرّ اختيار الحكيم والخبير دون غيرهما من الأسماء الحسنى .

وهناك فواصل يبدو - ظاهراً - أنها لا تتفق مع مقدمة الآية في الموضوع فيُتوهم أن فاصلتها لا تناسبها ، لكن عند معرفة المقصود من الآية أو من السياق يتضح وجه التناسب ، كقوله تعالى : ﴿إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٥) .

فقوله تعالى : (وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ) يُوهم أن الفاصلة ستكون (الغفور الرحيم) بينما جاءت بقوله (الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) : (لأنه لا يغفر لمن يستحق العذاب إلا من ليس فوقه أحد يردّ عنه حكمه فهو العزيز لأن العزيز في صفات الله هو الغالب ، ووجب أن يوصف بالحكيم أيضا لأن الحكيم من يضع الشيء في محله والله تعالى كذلك ...، وإن تغفر لهم مع استحقاقهم العذاب فلا معترض عليك لأحد في ذلك والحكمة فيما فعلته) (٦) .

(١) - الزمخشري ، الكشاف : ٣٩٦/٢ .

(٢) - السيوطي ، معترك الأقران : ٣٢/١ .

(٣) - هود : ١ .

(٤) - الرازي ، مسائل الرازي : ١٤٤ .

(٥) - المائدة : ١١٨ .

(٦) - الزركشي ، البرهان : ٨٠/١ .

ويبين الرازي (ت ٦٦٦هـ) ذلك بقوله : (إن تُعذبهم فإنهم عبادك ، وتصرف المالك المطلق الحقيقي في عباده مباح ، أي تصرف كان ، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم الذي لا ينقص من عزه شيء بترك العقوبة والانتقام ممن عصاه ، الحكيم في كل ما يفعله من العذاب والمفكرة) (١) .

ومنه أيضا قوله تعالى في آية اللعان : ﴿ وَالْخَمِيسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ﴿١﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿٢﴾ فان مقدمة الآية توحى بأن فاصلتها ستكون (تواب رحيم) : (لأن الرحمة مناسبة للتوبة خاصة من هذا الذنب العظيم لكن ههنا جاءت بقوله (تَوَّابٌ حَكِيمٌ) لمعنى دقيق وهو أن يُنَبِّه سبحانه على فائدة مشروعية اللعان وهي الستر على هذه الفاحشة العظيمة وذلك من أعظم الحُكْم ، فلهذا كان (حَكِيمٌ) بليغاً في هذا المقام دون رحيم ... (٣) .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾ ﴿٤﴾ فمقدمة الآية قد يبدو غير متناسب مع فاصلتها ، فالموضع هنا موضع تكذيب يحسن أن يُقال فيه ذو عقوبة شديدة أو عظيمة ، ولكنه قال : (ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ) : (نفيًا للاغترار بسعة رحمته في الاجترار على معصيته وذلك أبلغ في التهديد ومعناه لا تغتروا بسعة رحمته فانه مع ذلك لا يُرد عذابه عنكم) (٥) .

وتأتي بعض الآيات المتشابهات (المتماثلات) التي تتفق في مقدمتها لكنها تختلف في فواصلها في كل موضع - بحسب ما جاءت فيه - أو قد يكون بتقديم أو تأخير ، أو زيادة لفظ أو حذف ، أو إبدال حرف مكان حرف . وبتتبع كل آية في موضعها بين آيات سابقة لها أو لاحقة يتضح وجه المناسبة في كل ذلك ، فالفاصلة لا تأتي كشكل من المحسنات البديعية ، فهي في كل موضع لها دلالة معنوية وليست زخرفاً لفظياً .

(١) - مسائل الرازي من غريب آي التنزيل : ٨٠ .

(٢) - النور : ٩ - ١٠ .

(٣) - الزركشي ، البرهان : ٨١/١ .

(٤) - الأنعام : ١٤٧ .

(٥) - الرازي ، مسائل الرازي : ٩٠ .

ففي سورة النحل : ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(١) ، وقال تعالى في سورة إبراهيم : ﴿ وَءَاتَكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾^(٢) .

فعند متابعة سياق الآيات في سورة النحل نجد أن الكلام كان عن تعداد نِعَمِ الله على الإنسان ورحمته ولطفه بخلقه ، فجاء ذكر الأنعام ومنافعها وإنزال المطر من السماء ، وذكر منافع الزروع والثمار ، وتسخير الشمس والقمر والنجوم وتعداد النِعَمِ في البر والبحر مما لا تُعَدُّ ولا تُحصى ، فناسب ذلك تأكيد المغفرة ، بينما سياق الآيات في سورة إبراهيم كان على الكافرين الذين بدلوا نعمة الله ، وجعلوا له أنداداً ، مُذْكَراً لهم بنِعْمَةِ التي جحدوها ، فناسب أن يصف الإنسان بالظلم الكفار .^(٣)

وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾^(٤) وقال : ﴿ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾^(٥) .

ووجه تغير الفاصلة بين الآيتين مع أنهما متشابهتان في ألفاظهما إلا أن الآية الأولى جاءت في سياق الحديث عن كفار مكة وفعالهم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) من التضييق عليه والإخراج من مكة فأمر بقتالهم ووعدهم بتعذيبهم وخزيمهم والنصر عليهم وشفاء صدور من آمن ، فقال : ﴿ قَتَلُوهُمْ ۖ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ۖ وَخُزِمَهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٦) .

(١) - النحل : ١٨ .

(٢) - إبراهيم : ٣٤ .

(٣) - ظ : الغرناطي ، ملاك التأويل : ٢٨٨ .

(٤) - التوبة : ١٥ .

(٥) - التوبة : ٢٧ .

(٦) - التوبة : ١٤ .

ثم قال : (وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ) أي : من أسلم منهم بعدما صدر من اجتهاده في الأذى والصدّ عن سبيل الله ، ثم قال : (وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) أي بالقتال، حكيم في طي ما جرى من ذلك كله بتقديره السابق له .

أما الآية الثانية فجاءت في سياق الحديث عن غزوة حنين عندما تولوا بعض المسلمين مُدبرين وأعجبوا بكثرتهم فلم تُغن عنهم شيئاً ، فحُتمت الآية بقوله تعالى (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) تأنيساً وبشارة بتوبة الله على ما وقع منهم من الفرار رحمة منه تعالى ، فجاءت الفاصلة هنا في كل موضع بما يُناسب ويُلائم السياق . (١)

وأحياناً يتقدم لفظ ويتأخر آخر مما حقه التقديم في صناعة الإعراب فلأمر مقصود في ذلك ، مراعاة للنسق وللاختصاص ، عناية منه بالمتقدم ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرَ ﴿١﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿٢﴾ فقد تقدم المفعول به في الآيتين ، وهو اليتيم في الأولى والسائل في الثانية ، فلم يقتصر الأمر على مهمة الانسجام الصوتي والوقع الموسيقي في ترتيب الفواصل . (٣)

وقد تكون الفاصلة في آية يتقدم فيها أحد الأسماء الحسنى على آخر ، وفي أخرى يأتي عكس ذلك ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ نَجْتَبِيكَ رُتْبًا وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ بينما قال في آية أخرى : ﴿ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُن مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفُهُمْ إِنَّهُم حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٥﴾ .

(١) - ظ : الغرناطي ، ملاك التأويل : ٢٢٦ .

(٢) - الضحى : ٩ - ١٠ .

(٣) - ظ : محمد حسين الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن : ١٤٦ .

(٤) - يوسف : ٦ .

(٥) - الأنعام : ١٣٩ .

(فقدّم العلم على الحكمة في يوسف ،وقدم الحكمة على العلم في الأنعام) (١)
ذلك لأنه في سورة يوسف تقدم قوله : (وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ) وهذا موطن
علم فقدّم العلم لذلك ،وفي الأنعام موطن تشريع فقدّم الحكمة لذلك .

ومن الملاحظ أنه حيث اجتمع الاسمان (العليم والحكيم) في سورة الأنعام قدّم
الحكيم على العليم ،وحيث اجتمعا في سورة يوسف قدّم العليم على الحكيم ،لأن
مواطن يوسف كلها مواطن علم ومواطن الأنعام مواطن حكمة أو حكم فقدّم (الحكيم)
مما يدل على أن كل كلمة إنما وضعت مقصودة قصداً (٢) .

وفي سورة الليل ،إذ يقول تعالى : ﴿ وَإِنَّ لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴾ (٣) تقول
الدكتورة عائشة بنت عبد الرحمن : (هنا ملحظ بياني هو العدول عمّا هو مألوف من
تقديم الأولى على الآخرة ،وليس التعليق برعاية الفاصلة هو الذي اقتضى تقديم
الآخرة هنا على الأولى ،وإنما اقتضاه المعنى في سياق البشرى ،والنذير ،إذ الآخرة
خير وأبقى ،وعذابها أكبر وأشدّ وأخزى وأبقى ،وأن الآخرة هي دار القرار ...
وكذلك قدّمت الآخرة على الأولى في سياق البشرى للمصطفى عليه الصلاة والسلام
بآية الضحى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾ (٤) كما قدّمت الآخرة في سياق
الوعيد لفرعون إذ أدبر وتولى : ﴿ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴾ (٥) بآية
النازعات (٦) .

وكذلك في تقديم لفظ (هارون) على (موسى) في سورة طه ،بينما قدم
(موسى) على (هارون) في سورة الشعراء ،إذ قال تعالى : ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ
سَاجِدِينَ ﴾ (٦) قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿٧﴾ و :
﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ (٨) .

(١) - الزركشي ،البرهان : ٢٥٤/٣ .

(٢) - ط : فاضل السامرائي ،التعبير القرآني : ٢٢٧ .

(٣) - الليل : ١٣ .

(٤) - الضحى : ٥ .

(٥) - النازعات : ٢٥ .

(٦) - محمود البستاني ، التفسير البياني : ١١٢/٢ .

(٧) - الشعراء : ٤٦ - ٤٨ .

(٨) - طه : ٧٠ .

فجاء التقديم في الفاصلة لأواخر الآي في سورة طه التي جاءت بالألف المقصورة، أما سورة الشعراء فاقتضت أن تكون على عكسها تناسباً مع الفواصل السابقة لها، إلا أن الأمر لم يأت على حساب المعنى والمضمون، فهناك من التناسب في المقام مبررات أخرى تتعلق بسياق ما ورد في كلا السورتين. (١)

وهكذا نجد أن التقديم والتأخير في الفواصل لا يأتي عبثاً وإنما يُراعى فيه ما يقتضيه التعبير والمعنى، وليس للانسجام الموسيقي فقط، فلم يطع جانب على آخر بل أدى كل منهما وظيفته في غاية التناسق والتناسب، وهو جانب من جوانب إعجاز هذا القرآن.

كذلك الأمر حين يُحذف لفظ أو حرف أو يُزاد، فالحذف والزيادة تأتي لمراعاة النسق الصوتي والإيقاع، وفي الوقت نفسه يقتضي المعنى ذلك الحذف، ففي قوله تعالى: ﴿ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴾ (٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴾ (٣).

فقد ذكر مفعول النفع ولم يذكر مفعول الضر، لأنهم يريدون النفع لأنفسهم، وأطلق الضر لسببين؛ لأن الإنسان لا يريد الضرر لنفسه وإنما يريده لعدوه، ولأنه يخشى من له قدرة على إلحاق الضرر به، فهو في موضع النفع خصصه بذكر ضمير الخطاب، بينما أطلق الأمر ولم يقل (يضرّونكم) يريد بذلك أن يقول لهم: إذا كانت هذه الآلهة التي تعبدونها لا تستطيع أن تضر عدوكم كما إنها لا تستطيع أن تضركم فلم أذن تعبدونها (٣)؟ فهنا أدى اللفظ الذي جاء في الفاصلة معناه، كما راعى التناسق مع الفواصل الآيات الأخرى.

والأمر كذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴾ (٤) فحذف مفعول (تخشى) مراعاة للفاصلة، أي ولا تخشى غرقاً. (٥)

وقد يُزاد حرف أو يُحذف في الفاصلة لتنسجم مع فواصل الآيات السابقة واللاحقة، كما في قوله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿ إِذْ جَاءُوكُمْ مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ

(١) - ظ: فاضل السامرائي، التعبير القرآني: ٢٢٢ - ٢٢٣، فصل فيها القول بما لا يتسع المقام لذكرها هنا.

(٢) - الشعراء: ٧٢ - ٧٣.

(٣) - ظ: فاضل السامرائي، التعبير القرآني: ٢١٩.

(٤) - طه: ٧٧.

(٥) - ظ: الرازي، مسائل الرازي: ٢٢١.

أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ
الظُّنُونًا ﴿١﴾ و : ﴿ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَّرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا ﴾ (٢) و :

﴿ يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴾ (٣) (فقد
ألحقت الألف في جملة من الآيات بأواخر بعض كلماتها وكان حقها الفتح مطلقاً دون
مدّ الفتح حتى تكون ألفاً) (٤) فالزيادة هنا جاءت اهتماماً بالنسق الصوتي ليؤثر في
نفس المستمع تأثيراً أكثر مما لو كانت الفاصلة بدون هذه الألف المتلاحقة في آيات
عدّة .

وكما كان الأمر في زيادة حرف كذلك في حذف حرف رعاية للبعد
الصوتي، كقوله تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ
إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ (٥) (فقد حُذفت الياء من يسري موافقة للفاصلة فيما يبدو ، ومثله قوله تعالى

: ﴿ فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا
إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١٦﴾ فالياء من (أَكْرَمَنِ) و (أَهْنَنِ)
قد حُذفت رعاية لهذا الملحظ ، وما في النون من العنة عند الوقوف عليها فيما
يبدو، ويظهر أن هذا الأمر مطرد في جملة من آيات القرآن الكريم في الفواصل ، كما
في قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (٧) (...) (٨) .

ومما مرّ يتبين أن للفاصلة في القرآن الكريم أهمية كبيرة في مراعاتها للمعنى
والنسق الموسيقي على حدٍ سواء دون أن يأتي أحدهما على حساب الآخر ، فتؤدي
بذلك وظيفتها في التناسب بينها وبين صدر الآية بشكل دقيق بحيث لو بُدلت كلمة عن
موضعها بغيرها ما كانت لتؤدي المعنى المراد ، بينما تأتي في موضع آخر فتؤدي
معنى آخر يناسب ما سبقها غير ما أدته في سابقتها ، كل ذلك يأتي بحسب ما يقتضيه

(١) - الأحزاب : ١٠ .

(٢) - الأحزاب : ٦٧ .

(٣) - الأحزاب : ٦٦ .

(٤) - محمد حسين الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن : ١٥٢ .

(٥) - الفجر : ١ - ٤ .

(٦) - الفجر : ١٥ - ١٦ .

(٧) - الكافرون : ٦ .

(٨) - محمد حسين الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن : ١٥٥ .

السِّيَاق والتَّسْق الموسيقي بشكل متناسق لا يجور فيه أحدهما على الآخر، إذ : (لا
تفريط في الألفاظ على سبيل المعاني، ولا اشتطاط بالمعاني من أجل الألفاظ... لذلك
ارتفع مستوى الفاصلة في القرآن بلاغياً ودلالياً عن مستوى السَّجْع فنياً وإن وافقه
صوتياً)^(١).

وبهذا يتضح أن للفاصلة علاقة بالآية التي جاءت ضمنها وبالمقطع أحياناً
وبالسُّورَة من جهة أخرى، كما في سورة المرسلات والضحى والكافرون، كما تتعلق
موسيقياً بجو السُّورَة، كما هو الحال في السُّور ذوات الروي الموحد كسورة القمر
والأعلى والنَّاس .^(٢)

(١) - محمد حسين الصغير، الصوت اللغوي في القرآن : ١٤٧ .

(٢) ظ : محمد الحسناوي، الفاصلة في القرآن : ٢٨٥ .

٢ - التناسب بين آيات السورة الواحدة

لترتيب الآيات في القرآن الكريم نظام خاص، فهو نظام إلهي تتلاحم فيه الأجزاء بعضها مع بعض، ويرتبط أولها بآخرها .

ولو لم يكن بين الآيات تناسب وترابط لم يكن النبي (صلى الله عليه وآله) ليأمر كتاب الوحي بوضع هذه الآية إلى جنب تلك في موضعها المحدد من السورة الفلانية دون غيرها .

وقد يخفى وجه المناسبة - ظاهراً - لكن ذلك لا يعني أنه غير موجود، بل يحتاج إلى تفكير وتدبر لمعرفة الوجه الصحيح في التناسب .

وعلى الرغم من أن الآيات كانت تنزل متفرقة تارة أو مجتمعة تارة أخرى، وقد تنزل سورة كاملة دفعة واحدة، أو قد ينزل جزء منها ثم ينتابح النزول في ظروف زمانية ومكانية مختلفة، وقد تتناول السورة الواحدة عدّة موضوعات أو قد تقتصر على موضوع واحد، إلا أن التناسب والترابط بين أجزائها يظهر للقارئ وكأنها نزلت دفعة واحدة مرتبطة الأجزاء بعضها ببعض كالبنيان المرصوص لا نجد فيه ثغرة .

وتتخذ وجوه التناسب في السورة الواحدة أشكالاً مختلفة، منها :

أ - التناسب بين آيات ذات موضوعات متعددة والهدف واحد

تأتي السّورة الواحدة متضمنة موضوعات مختلفة تتناول جوانب متعددة، أو قد تطرح قصصاً عديدة لأشخاص وأحداث في ظروف مختلفة، لكن من خلال الربط بين المضامين نجد أنها تهدف إلى أمر واحد أو هدف واحد يُراد إيصاله إلى المتلقي، وأن الموضوعات المتعددة التي طرحتها السّورة يجمع بينها هدف فكري واحد، كما هو الحال في سورة (الكهف) حيث تضمنت هذه السّورة عدّة قصص وموضوعات مختلفة عن أهل الكهف وذوي القرنين وقصة النبي موسى (عليه السلام) مع العبد الصالح ... وغيرها، إلا أن كل تلك الموضوعات تنطوي على فكرة أو هدف واحد وهو (نبذ زينة الحياة الدنيا) أما مباشرة أو بنحو غير مباشر^(١)، لقد جاءت هذه الفكرة في أوائل السّورة وفي أول موضوع من موضوعاتها، حيث قال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾^(٢) .

وبمتابعة موضوعات السّورة نجد أن الموضوع الأول يتحدث عن نزول القرآن الكريم، وكونه : ﴿ قِيمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾^(٣) ثم : ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وِلْدَانًا ﴾^(٤) ثم يذكر بأن ما جعله الله على الأرض (زينة) لئبيلونا أيّنا أحسن عملاً، وأنه تعالى جعل ما عليها صعيداً جُرزا ، وكان هذه الآية أعطت موجزاً ملخصاً لما ستتضمنه موضوعات السّورة .

ويأتي الموضوع الأول متمثلاً بقصة لنموذج يدور حول المحور أو الهدف ذاته، وهي قصة أهل الكهف التي تمثل السلوك العملي (لنبذ زينة الحياة الدنيا) حيث اتجهت جماعة مؤمنة إلى الكهف للتخلص من مسؤولية التعاون مع الحكام الجائرين،

(١) ظ : محمود البستاني، التفسير البنائي : ٥٥/٣ .

(٢) - الكهف : ٧ - ٨ .

(٣) - الكهف : ٢ .

(٤) - الكهف : ٤ .

ولا شئ أدل على نبذ الحياة الدنيا وزينتها من اللجوء إلى كهف بعيد كل البعد عن مظاهر الحياة ومتعتها حتى في أبسط مستوياتها المتعلقة بالمسكن والمطعم. (١)

ثم يأتي الخطاب بدعوة النبي (صلى الله عليه وآله) للصبر مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، يريدون وجه الله وعدم الالتفات إلى زينة الحياة الدنيا : ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۗ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۗ﴾ (٢).

وبعدها تأتي قصة صاحب الجنتين أو قصة رجلين جعل الله لأحدهما جنتين من أعناب، إلا أن هذا الرجل قال لصاحبه مُدًّا عليه بالمزرعتين : ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۗ﴾ (٣) وقال أيضا حين دخل مزرعته : ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ ۖ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ۗ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ۖ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنْقَلَبًا ۗ﴾ (٤).

وهذه القصة تظل تدور حول الهدف ذاته (نبذ زينة الحياة الدنيا) فالنموذج الذي تطرحه القصة يُمثل النموذج المضاد لأهل الكهف، وهو المتعلق بزينة الحياة الدنيا، فاولئك نبذوا زينة الحياة الدنيا مع كل ما كان لهم من المنزلة حيث كانوا من رجال الحكم، بينما تمسك صاحب الجنتين بهذه الزينة حتى إنه شكك في قيام الساعة بقوله : (وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً) .

(١) - ظ : محمود البستاني ، التفسير البنائي : ٥٥/٣ .

(٢) - الكهف : ٢٨ .

(٣) - الكهف : ٣٤ .

(٤) - الكهف : ٣٥ - ٣٦ .

ثم يأتي موضع آخر يضرب الله مثلاً للحياة الدنيا، بقوله: ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ۝﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿١﴾ .

إذ شبه (زينة الحياة الدنيا) بماء اختلط به نبات الأرض، ثم أصبح بعد ذلك هشيمًا، ويقدم المال والبنين إذ أنهما يُعتبران مصداقين لزينة الحياة الدنيا، ويبين أن كل ذلك مصيره إلى التلاشي والفناء في نهاية المطاف .

ويأتي في موضع آخر وهو (العالم) ولقائه مع النبي موسى (عليه السلام) وما يحدث معهما، فيبدو الموضوع غير مرتبط بفكرة زينة الحياة الدنيا، إلا أن المتأمل في الأمر يلاحظ أن هذا العالم الذي انبهر موسى (عليه السلام) بعلمه بحيث كشف له أسراراً لم يكن يعرفها أو يدركها حتى النبي موسى (عليه السلام) ومع ذلك فهو شخصية مجهولة الهوية غير معروفة حتى للأنبياء، وهذا نموذج من نماذج نبذ الزينة متمثلاً في نبذ الموقع الاجتماعي رغم المنزلة العلمية الكبيرة .

ثم يأتي موضوع آخر في قصة أخرى تتمثل بشخصية بارزة ملكة شرق الأرض ومغربها وهو (ذو القرنين) ومع كل ما وصل إليه وناله من ملك دنيوي فلم تبهره زينة الحياة الدنيا، إذ قال بعد أن تمكن من بناء السدّ: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۗ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۗ﴾ (٢) على عكس صاحب الجنتين الذي بهرته زينة الحياة الدنيا حتى شكك في اليوم الآخر . (٣)

وهكذا نجد أن السورة الواحدة طرحت عدّة موضوعات في قصص متعددة لشخصيات في ظروف زمانية ومكانية مختلفة لكن الهدف الرئيسي لها واحد دارت حوله كل الموضوعات والأحداث .

فترابطت الأحداث والشخصيات - برغم اختلافها - بخيوط رئيسية جمعت بينها بشكل محكم مترابط أوصلت في النهاية إلى الهدف المقصود

(١) - الكهف : ٤٥ - ٤٦ .

(٢) - الكهف : ٩٨ .

(٣) - محمود البستاني، التفسير البنائي : ٣ / ٥٥ - ٦٦ .

ب - التناسب بين آيات تتعدد موضوعاتها مع تعدد أهدافها

لا تقتصر بعض سور القرآن الكريم على موضوع واحد أو موضوعين ، ولا تهدف إلى هدف واحد بل قد تأتي السورة متضمنة عدّة موضوعات مختلفة ، ذات أهداف متعددة ، تطرحها على المتلقي ، لتصل به في النهاية إلى تحقيق الأهداف المتوخاة منها وينعكس تأثيرها عليه .

فسورة الفجر - مثلاً - تضمنت موضوعات عدّة ، إذ ابتدأت بالقسم بالظواهر الكونية والعبادية التي تنطوي على أهمية خاصة كونها ظاهرة إبداعية أو ظاهرة عبادية ، فالهدف المراد منها هو لفت النظر إلى إبداع الله لحمل المتلقي على الإيمان أو المزيد منه ، ولفت النظر إلى الأوامر الإلهية التي ندب إليها عبادياً ، يتضح ذلك من خلال قوله تعالى : ﴿ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾^(١) أي الذي عقل يعتبر بذلك .

تنتقل السورة بعد ذلك إلى موضوع آخر وهو ذكر قصص بعض الأمم البائدة وما تعرضت له من عاقبة نتيجة طغيانها وفسادها .

فقد ذكرت قوم عاد ومدى طغيانهم واستكبارهم وتمردهم على الله تعالى ، ثم انتقلت بالحديث عن قوم ثمود وما بلغوه من الحياة المترفة المقترنة بالتمرد والعصيان أيضاً - فهناك عنصر مشترك بينهما وهو العزلة عن السماء على الرغم مما كانوا يتمتعون به من نعم - ثم ألحقها بذكر فرعون ذي الأوتاد والذي يُمثل نموذجاً آخر للطغيان والفساد متمثلاً في جانب السطوة والشدة في التعامل مع الناس .^(٢)

فهذه النماذج الثلاثة تشترك في سمات بينتها الآية الكريمة : ﴿ الَّذِينَ طَغَوْا فِي

الْبَلَدِ ﴿٥﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴾^(٣) فكان مصيرهم مشترك جمعهم طابع الجزاء

الديني المتمثل في إبادتهم : ﴿ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴾^(٤) .

(١) - الفجر : ٥ .

(٢) - ظ : محمود البستاني ، التفسير البستاني : ٣٣٢/٥ .

(٣) - الفجر : ١١ - ١٢ .

(٤) - الفجر : ١٣ .

تنتقل السّورة بعد ذلك إلى الحديث عن جانب آخر يتصل بتقدير الأرزاق وبالإنفاق، وهنا انتقل الحديث عن جانب اقتصادي - بينما كان الموضوع الأول يتناول جانباً اجتماعياً، فقد بيّن مدى حبّ الإنسان للمال من خلال نمط من الناس الذي إن وسّع الله رزقه عليه قال : (ربّ أكرمني) وإن ضيّق عليه قال : (ربّ أهانن) إذ أن هذا السلوك مرتبط بمدى يقينه وإيمانه بحكمة الله في تقدير الرزق - وهذا هدف من أهداف السّورة، وهو تعميق الإيمان بالله وبحكمته - لذا ربط بين هذا الأمر وبين إكرامهم اليتيم وإطعام المسكين فهي نماذج تحتاج إلى العون أكثر من غيرها، وإن عدم بذل المال في مساعدتها يكشف عن مدى حبّ الإنسان للمال وعن مدى ابتعاده عن الله تعالى، إذ يهدف النص هنا إلى إخضاع الممارسات الاقتصادية وربطها بمبادئ السّماء بشكل يهدف إلى حمل المتلقي على تعديل سلوكه بما يتلاءم والالتزام بما أمر الله تعالى .^(١)

ثم تنتقل السّورة الكريمة للحديث عن اليوم الآخر في سياق يختلف عمّا تتحدث عنه سورة أخرى، فقد عرضته بشكل يسعى إلى تعميق الدلالة الفكرية التي يستهدفها متناسباً مع ما عرضته من موضوعات سابقة تهدف إلى الإيمان بالله تعالى أو ترسيخ هذا الإيمان، من جانب آخر نجد أن الموضوعين ينعكس أثرهما على الموقف الأخروي، حيث يطرح الآثار المترتبة على عدم التمسك بما أمر الله تعالى به في هذه السّورة بشكل يحقق الآثار النفسيّة المطلوبة حينما يواجه الإنسان مصيره وجزاءه في ذلك اليوم بقوله تعالى : ﴿ وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ يَوْمِئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى ﴾ ^(٢) يقول يَلِيَّتَنِي قَدَّمْتُ حَيَاتِي ﴿^(٢) .

فهذا الترابط بين ما طرحته السّورة في مقطع سابق من ممارسات لأقوام تحدّت السّماء بسلوكها المنحرف وعدم الالتزام، وما يترتب على حبّ المال والحرص عليه وعدم توظيفه في إكرام اليتيم أو الحض على طعام المسكين عندها سيقف ذلك الموقف قائلاً : (يَلِيَّتَنِي قَدَّمْتُ حَيَاتِي) .

فالسّورة طرحت موضوعات عدّة ذات أهداف متعددة ترابط بعضها مع بعض بروابط فكرية تجتمع عندها الموضوعات المختلفة التي تصبّ بالنهاية في رافد فكري واحد تستهدف من خلاله أن تحمل المتلقي على الإيمان بالله وتعديل سلوكه واستثمار

(١) - ظ : محمود البستاني، التفسير البنائي : ٣٣٣/٥ .

(٢) - الفجر : ٢٣ - ٢٤ .

نعم الله وعطائه بشكل صحيح مثمر لا أن يطغى ويستكبر ويفسد فيكون مصيره كمصير من طغى وأفسد من السابقين .^(١)

ج - التناسب بين آيات ذات موضوع واحد وهدف واحد

هناك من السور القرآنية الكريمة ما تحمل موضوعاً واحداً تدور حوله آياتها جميعاً، وهذا ما يغلب على السور القصيرة إذ تدور حول محور واحد ولها هدف واحد .

فمثلاً سورة (الكافرون) تتناول موضوعاً واحداً وهو علاقة المؤمنين بالمنحرفين من حيث البعد العبادي، إذ تنحصر الدلالة الفكرية في أن لكل منهما وجهة نظره العبادية، فلا المؤمن يعبد ما يعبد الكافر ولا الكافر يعبد ما يعبد المؤمن فلكل منهم دينه .

يتضح الترابط بين أجزاء السورة من خلال التقابل بين الآيات : ﴿لَا أَعْبُدُ مَا

تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾ .^(٢)

هذا النمط من التقابل المدهش يكشف مدى الترابط والتناسب بين آيات هذه السورة بل بين أجزاء الآية الواحدة، وبالإضافة إلى ارتباط الآيات بموضوعها الواحد جاء التناسب الفني بين أجزائها يعزز هذا الترابط، والذي يجتمع ليصب في هدف واحد تشير إليه السورة الكريمة، وهو أن المؤمن لا يمكن أن يعبد ما يعبد الكافر ولا العكس .^(٣)

كذلك الأمر بالنسبة لسورة الإخلاص (التوحيد) إذ تشكل آياتها الأربع موضوعاً واحداً هو (توحيد الله تعالى) وهو المحور الذي تدور حوله جزئيات السورة وتصب فيه، فقد أخضعت هذه السورة المفاهيم المتصلة بالتوحيد في تلاحم واضح بين أجزائها لتحقيق الهدف الذي تبغى إلقاؤه في نفس المتلقي لإثبات عقيدة التوحيد .^(٤)

(١) - ظ : محمود البستاني، التفسير البنائي : ٣٣٤/٥ .

(٢) - الكافرون : ٢ - ٦ .

(٣) - ظ : محمود البستاني، التفسير البنائي : ٤٣٧/٥ .

(٤) - ظ : م . ن : ٤٥٧/٥ .

د - التناسب بين آيات ذات موضوع واحد وأهداف متعددة

تتناول بعض السور القرآنية موضوعاً واحداً إلا أنها تطرح من خلاله أهدافاً متعددة تُستخلص من خلاله، فسورة يوسف مثلاً - وهي السورة الوحيدة من السور الطويلة نسبياً - التي تناولت قصة واحدة تمثلت في حياة النبي يوسف (عليه السلام) في مراحلها بأحداثها المتلاحقة وشخصياتها المتعددة التي ارتبطت به أكثر لكنها طرحت من خلالها أفكاراً وأهدافاً متعددة كفكرة الصبر والعفة والغيرة والحسد .

تجسدت فكرة الغيرة والحسد من خلال علاقة إخوته به، وسلوكهم معه الذي انطوى على مشاعر الحسد والغيرة حينما قالوا : ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(١) ثم تُرجم ذلك إلى فعل من خلال إلقاءه في الحبّ، ثم بيعه إلى السيّارة بثمن بخس، وما ينطوي عليه هذا السلوك من نزعة عدوانية لدى الحاسد .

كما طرحت فكرة الصبر الذي رافقه في كل المراحل والأحداث التي تعرّض فيها للشدائد عند مواجهته لها بصبر عظيم، كتحملة مشاعر الحسد من قبل إخوته وفراق والده وفي السجن وغيرها .

وتتجلى العفة في عفته مع امرأة العزيز وصبره على ما تعرض له من تهمة منكرة .

فالسورة بالنهاية تهدف إلى طرح هذه الأهداف والحث عليها من خلال قصة واحدة مترابطة الأحداث محورها شخصية واحدة تدور حولها شخصيات أخرى في مواقف متعددة وبيئات مختلفة، فيتضح التناسب بين الموضوع الواحد المطروح وبين الأهداف التي ترمي إليها السورة الكريمة من خلال الترابط بين الشخصيات والأحداث والظروف المختلفة التي واكبت حياة النبي يوسف (عليه السلام) .^(٢)

(١) - يوسف : ٨ .

(٢) - ظ : محمود البستاني، قصص الأنبياء دلاليًا وجماليًا : ٢٧٠/١ .

هـ - التناسب بين آيات بينها فارق زمني في النزول

لا شك أن آيات القرآن الكريم نزلت متفرقة حسب الحوادث والوقائع، فكانت الآية تنزل بحسب حدث ما أو تأتي جواباً عن سؤال وجه إلى النبي (صلى الله عليه وآله) ولا يقوم التناسب بين الآيات على أساس سبب النزول أو ترتيبه، فقد تأتي آيات نازلة في وقت ما أو مكان ما يختلف تماماً عن زمن ومكان نزول الآية أو الآيات السابقة واللاحقة لها، دون أن يكون بينها فجوة في السياق أو اختلال في نظامها أو مضمونها وتبدو كأنها نزلت معاً .

ففي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾^(١) .

هذه الآية - كما تذكر كتب أسباب النزول - أنها نزلت في عثمان بن طلحة، وكان سادن الكعبة : (... فلما دخل النبي (صلى الله عليه وآله) مكة يوم الفتح، أغلق عثمان باب البيت وصعد إلى السطح، فطلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) المفتاح، فقيل : أنه مع عثمان، فطلبه منه فأبى وقال : لو علمت أنه رسول الله لم أمنعه المفتاح، فلوى علي بن أبي طالب (عليه السلام) يده وأخذ المفتاح وفتح الباب، فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) البيت وصلى فيه ركعتين، فلما خرج سأله العباس أن يعطيه المفتاح ليجمع له بين السقاية والسدانة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأمر رسول الله (صلى الله عليه وآله) علياً أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه، ففعل ذلك علي، فقال له عثمان : يا علي أكرهت وأذيت، ثم جئت ترفق ؟ فقال : لقد أنزل الله تعالى في شأنك، وقرأ عليه هذه الآية، فقال عثمان : أشهد أن محمداً رسول الله، وأسلم ... وقيل أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال له : خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة، لا يأخذها منكم إلا ظالم)^(٢) .

(١) - النساء : ٥٨ .

(٢) - الواحدي، أسباب النزول : ٨٧، وظ : السيوطي، الدر المنثور : ٥٣٣/٢، ولباب النقول في أسباب النزول : ٦٣ .

سبقت هذه الآية - ترتيباً - آيات أخرى نزلت في زمن يختلف تماماً عن زمن نزول تلك الآية ،وهي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحِبَّتِ وَالطَّنْعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّؤَلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ تَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا ءَاتَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ ۗ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِءَايَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمَآ نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَنِهِمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۗ هُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا ظِلِيلٌ ﴿٥٧﴾ (١) .

هذه الآيات نزلت في كعب بن الأشرف بعد نصر المسلمين في بدر حينما انطلق إلى المشركين من كفار قريش فاستجاشهم على النبي (صلى الله عليه وآله) ليأخذوا بثأرهم ،أمرهم أن يغزوه ،وقال لهم إنا معكم نقاتله ،فقالوا : إنكم أهل كتاب،وهو صاحب كتاب ،ولا نأمن أن يكون هذا مكرأ منكم ،فإن أردت أن نخرج معك فاسجد لهذين الصنمين وآمن بهما ففعل ،ثم قالوا : نحن أهدى أم محمد ،فنحن ننحر الكوماء ،ونسقي على الماء ،ونصل الرحم ،ونقري الضيف ،ونطوف بهذا البيت ،ومحمد قطع الرحم وخرج من بلده ،فقال : بل أنتم خير وأهدى ،فنزلت الآية (٢) : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْحِبَّتِ وَالطَّنْعُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّؤَلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ (٣) .

(١) - النساء : ٥١ - ٥٧ .

(٢) - ظ : الواحدي ،أسباب النزول : ٨٦ ،وقد وردت عدّة روايات في سبب نزولها وكلها متشابهة في المضمون ،ظ : السيوطي ،لباب النقول : ٦٣ ،الدر المنثور : ٥٢٧/٢ .

(٣) - النساء : ٥١ .

فما بين نزول هذه الآيات والآية التي لحقتها سنوات عديدة، إلا أنها جاءت متتابعة مترابطة، يُدرك المتأمل لها أن بينها ترابطاً وتناسباً وهو موضوع الأمانة والحفاظ عليها وأداؤها كما استلمها المؤمن، فقد أخذ الله العهد والميثاق على أهل الكتاب إن أدركوا النبي (صلى الله عليه وآله) وقت بعثته أن يؤمنوا به وينصروه، كما ذكر القرآن الكريم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ ۗ قَالَ ءَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۗ قَالُوا أَقْرَضْنَا ۗ قَالَ فَآشْهَدُوا ۗ وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ۗ﴾ (١).

وكذلك قوله تعالى: ﴿يَبْنَئِي إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَآرْهَبُونَ ۗ﴾ (٢) ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِءَ ۗ وَلَا تَشْتَرُوا بِعَآيَتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّيَ فَآتِقُونَ ۗ﴾ (٣) ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعَمُونَ ۗ﴾ (٤).

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ۗ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ ۗ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمْ مَوَاهِمَ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۗ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۗ﴾ (٥).

(١) - آل عمران : ٨١ .

(٢) - البقرة : ٤٠ - ٤٢ .

(٣) - المائدة : ١٢ .

فأحبار بني إسرائيل كانوا يعرفون الحق لكنهم خانوا الأمانة ونقضوا الميثاق، بل شهد كعب بن الأشرف شهادة الزور، فقال للمشركين : أنتم أهدى سبيلاً^(١).

يبين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) وجه التناسب بقوله : (ووجه النظم ما أخبر عن كتمان أهل الكتاب صفة محمد (صلى الله عليه وآله) وقوله إن المشركين أهدى سبيلاً، فكان ذلك خيانة منهم، فانجرّ الكلام إلى ذكر جميع الأمانات)^(٢).

فبالرغم من الفارق الزمني الذي بين نزول الآيتين والذي يُقارب ست سنوات إلا أن الزمان ليس شرطاً في التناسب بين الآيات، لأن المقصود وضع الآية في موضع يناسبها، فموضوع الآيات هنا واحد والسياق منسجم تماماً، فسياق الآيات تحمّل المسؤولية وأداء الأمانة على الوجه المطلوب المبرئ للذمة على الرغم من وجود الفاصل الزمني^(٣).

(١) - ظ : مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي : ٧٠ - ٧١، وظ : الخطيب ومسلم، المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم (بحث) .

(٢) - البرهان : ٤٣/١ .

(٣) - ظ : مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي : ٧١ .

و - التناسب بين آيات تتخلل آيات ذات موضوع واحد

تأتي في بعض سور القرآن الكريم آية أو آيات تتخلل آيات أخرى ذات موضوع واحد فتبدو تلك الآية أو تلك الآيات كأنها منقطعة عنها، ولا صلة بينها، ولكن بدراسة مجمل السورة يتضح وجه الارتباط بينها .

ففي الآية الثالثة من سورة المائدة في قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالِدًا وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ^١ ذَلِكُمْ فِسْقٌ^٢ الْيَوْمَ يَيسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ^٣ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا^٤ فَمَنْ أْضَطَّرَ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ^٥ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ^٦ .

فهذه الآية تتألف من ثلاثة مقاطع أو أجزاء ، الأول : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ
وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ
وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا
بِالَّذِينَ كَفَرْتُمْ... ﴾ والجزء الثاني : ﴿...الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ
دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَأَحْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا... ﴾ والمقطع أو الجزء الثالث : ﴿...فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي
مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

فسورة المائدة ابتداء نزولها بعد صلح الحديبية في السنة السادسة للهجرة وبعد
نزول سورة الفتح واستمر أربع سنوات وهذه الآية من أواخر ما نزل من القرآن
الكريم^(١)، وقوله تعالى : ﴿...الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ
وَأَحْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ
دِينًا... ﴾ نزل في السنة العاشرة للهجرة في حجة الوداع، إلا أن تحديد يوم نزوله
فيه رأيان :-

الأول منهما : هو نزوله في عرفة وكان يوم الجمعة^(٢) .

الثاني : نزوله في غدیر خم - بعد منصرف النبي (صلى الله عليه وآله) من
حجة الوداع - يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة^(٣) .

(١) - ظ : سنن الترمذي : ٧٠٨ ح ٣٠٦٣ ، الطوسي ، التبيان : ٤١٣/٣ ، السيوطي ، الدر المنثور :
٢١/٣ ، عبد الله شحاته ، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم : ٥٩ ، و محمد حسين
الصغير ، تاريخ القرآن : ٥٥ .

(٢) - ظ : الطبري ، جامع البيان : ٣٨٥/٤ ، الواحدي ، أسباب النزول : ١٠٥ ، الرازي ، مفاتيح
الغيب : ١٠٨/١١ ، أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط : ٤٤٠/٣ ، ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم
: ١٤/٢ ، السيوطي ، الدر المنثور : ٢٠/١ ، والإتقان : ٤٨ ، البروسوي ، روح البيان : ٤١٧/٢ .

(٣) - ظ : تفسير العياشي : ٣٢٢/١ ، الطوسي ، التبيان : ٤٣٥/٣ ، الطبرسي ، مجمع البيان :
٢٧٤/٣ ، الطباطبائي ، الميزان : ١٦٠/٥ .

أما ما يتعلق بوجه اتصال مقاطع الآية بعضها ببعض واتصال الآية بالسورة كاملة ،فإن صدر الآية تحدّث عن المحرمات من الأطعمة والأشربة والصيد ... وغيرها ،ثم جاء قوله تعالى : ﴿...الْيَوْمَ يَيسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ ۗ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۗ...﴾ .

يقول صاحب الميزان في بيان اتصال قوله تعالى : ﴿...الْيَوْمَ يَيسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ ۗ...﴾ و ﴿...الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۗ...﴾ : (إنهما متقاربتان مضموناً مرتببتان مفهوماً بلا ريب لظهور يأس الكفار من دين المسلمين وبين إكمال دين المسلمين من الارتباط القريب وقبول المضمونين لأن يمتزجا فيتركبا مضموناً واحداً مرتبب الأجزاء متصل الأطراف بعضها ببعض مضافاً إلى ما بين الجملتين من الإتحاد في السياق) (١) .

أما صلته بالآية ككل فيرى أنه : (كلام معترض موضوع وسط هذه الآية غير متوقف عليه لفظ الآية في دلالتها وبيانها) (٢) بلا فرق عنده سواء أكان هذا المقطع نازلاً وسط الآية التي تخللت بينها من أول ما نزلت ،أو أن النبي (صلى الله عليه وآله) أمر بوضع هذه الآية في موضعها رغم اختلاف الآيتين في النزول أو أنها وُضعت في موضعها عند التأليف من غير أن تصاحبها في النزول ،فكل هذه الاحتمالات لا تؤثر على كون (الكلام المتخلل معترضاً إذا قيس إلى صدر الآية وذيلها) (٣) .

وهذا الأسلوب - أي الاعتراض - لا بدّ له من دلالة يهدف إلى كشف أمر بتخصيص هذه الآية في هذا الموضع وتحديد بين آيات العقود والعهود ،اهتماماً بذلك الأمر وتعظيماً لشأنه ،ومحاولة للفت النظر إليه ،وهو عهد الإمامة والالتزام به وعدم نقضه .

(١) - الميزان : ١٧٠/٥ .

(٢) - م . ن : ١٧٠/٥ .

(٣) - م . ن : ١٧٠/٥ .

ويمكننا القول أن هذه الآية مرتبطة بمجمل موضوعات السورة التي تضمنت الأحكام والعقود ودعت إلى الوفاء بها، ففي ضوء نظرية النص في دراسة القرآن الكريم تتضح العلاقات بين النصوص فضلاً عن عناصر تماسك النص الواحد، ومن ذلك ما أوضحه الدكتور محمد كاظم البكاء^(١) مبيناً أن هذه السورة - كما مرّ - آخر ما نزل من القرآن الكريم، وهذا يقتضي عقلاً أنها ينبغي أن تتضمن آخر ما تتم به العقيدة بمتطلباتها وأحكامها، فهي وصية يختتم بها لما يسترشد به الإنسان من الوصايا والمبادئ الأخيرة للتصرف في الحقوق والواجبات : ﴿... أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا...﴾ كما أن بدايتها كلام عن العهد ووجوب الوفاء بالعقود، وهو طلب يُشعر بوجوب الالتزام واستيفاء جميع متطلبات العقيدة والأحكام وبيان شروطها ومقوماتها الذي يعني اكتمال الدين الذي رضي الله تعالى لعباده، وتحديد قيادته بما يلي :

إن آية الولاية متطلب عقائدي لكونها اتسقت ضمن نصوص سورة المائدة التي تتحدث عن متطلبات العقيدة .

إنها متطلب إلزامي مشمولة بوجوب الوفاء بالعقود التي افتتحت بها السورة، كما تضمنت السورة أمراً آخر هو تصديها للموازنة بين سلوك الكافرين وسلوك المؤمنين، فوصف الكافرين بعضهم أولياء بعض : ﴿يَتَّيَّبُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا

تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢). ووصف المؤمنين بالحزب الذي يعني

انتظامهم في جمع موحد خاضع لقيادة فكرية عليا : ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ

ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾^(٣) .

هذا يعني أن المؤمنين في حزب منتظم ولهم قيادة، ومن هنا يتضح في قراءة آية الولاية متطلبات العقيدة الآتية :

(١) - في استشارة .

(٢) - المائدة : ٥١ .

(٣) - المائدة : ٥٦ .

أولاً : تحديد جهات القيادة ، وهي (الله تعالى ، الرسول الأعظم ، أحد المؤمنين المستوفين للشروط) وقد وصفت هذه القيادة في حديث الثقلين : (إني تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا ؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي) (١) .

ثانياً : أن الشروط التي تشخص المؤمن المؤهل للقيادة ، هي أن يكون مؤمناً ، ومن الذين يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة في حال الركوع ، فإن لم تكن هذه الشروط متوفرة في شخص غير الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) فهي منحصرة في شخصه .

وقد ذهبت بعض الروايات إلى تحديد شخصية أخرى (٢) ولو وازنا بين شخصية الإمام علي (عليه السلام) وأية شخصية أخرى لرجح الإمام علي (عليه السلام) لهذه القيادة العظيمة بما أوتي من خصائص قيادية شهد لها التاريخ الإسلامي ووقائع المسلمين مع أعدائهم ، فضلاً عن كونه أول الناس إسلاماً ، يؤيد ذلك ما تحدثت عنه الروايات عن ولاية الإمام (عليه السلام) في حديث الغدير : (من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه ، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه ...) (٣) .

ومن هنا نجد ارتباط هذه الآية بمضامين السورة في الالتزام بالعهود والعقود من : (مفتحها ومختتمها وعامة الآيات الواقعة فيها والأحكام والمواعظ والقصاص ... هي الدعوة إلى الوفاء بالعهود وحفظ الموائيق كائنة ما كانت والتحذير المبالغ فيه عن نقضها وعدم الاعتناء بأمرها) (٤) .

وكذلك في سورة آل عمران آيات تتحدث عن غزوة أحد ، تبتدئ من قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (٥) تتخللها آيات تتحدث عن الربا : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ مَضَعًا ضَعْفًا مُضَاعَفًا ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٦) ثم تعود الآيات للحديث عن الغزوة :

(١) - سنن الترمذي : ٨٥٨ ح ٣٧٩٢ ، باب (٣٨) مناقب أهل بيت النبي .

(٢) - زعم بعضهم أنها نزلت في عبادة بن الصامت ، وضعفوا الرواية التي وردت في الإمام علي (عليه السلام) منهم : الطبري ، جامع البيان : ٦٢٨/٤ ح ١٢٢١٥ ، الرازي ، مفاتيح الغيب : ٢٢/١٢ ، ابن كثير ، التفسير : ٧١/٢ ، السيوطي ، الدر المنثور : ٩٨/٣ ، بينما أكد الواحدي نزولها في الإمام علي (عليه السلام) أسباب النزول : ١١ ، وظ : الأميني ، الغدير : ٢٩٠/١ .

(٣) - سنن الترمذي : ٨٤٦ ح ٣٧٢٢ ، الباب (٢٦) مناقب علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

(٤) - الميزان : ١٦٠/٥ .

(٥) - آل عمران : ١٢١ .

(٦) - آل عمران : ١٣٠ .

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرَ اللَّهُ فَعَلُوا ۗ وَإِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاءُ هُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۗ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ۗ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمَسُّكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۗ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمُ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾

فمجيء آيات تتناول النهي عن أكل الربا بين الآيات التي تتحدث عن أحداث غزوة يستدعي التوقف لمعرفة سبب وضعها بينها، فبالرجوع إلى أسباب النزول يتضح أن هذه الآية نزلت في: (عمرو بن أفيش الذي كان له ربا في الجاهلية، فكره أن يسلم حتى يأخذه، فجاء يوم أحد فقال: أين بنو عمي؟ قالوا: بأحد، قال: أين فلان؟ قالوا بأحد، قال: فأين فلان؟ قالوا: بأحد، فلبس لامته وركب فرسه ثم توجه قبلهم، فلما رآه المسلمون قالوا: إليك عنا يا عمرو، قال: إني قد آمنت، فقاتل حتى جرح، فحمل إلى أهله جريحا، فجاءه سعد بن معاذ، فقال لأخته: سليه حمية لقومه أو غضبا لهم؟ أم غضبا لله عز وجل؟ فقال: بل غضبا لله ورسوله، فمات فدخل الجنة وما صلى لله صلاة) (١).

(١) - آل عمران : ١٣٠ - ١٤٠ .

(٢) - سنن أبي داود : ٤٠٥ ح ٢٥٣٧ ، الباب (٣٩) فيمن يسلم ويقتل مكانه في سبيل الله .

يبين البقاعي وجه ارتباط هذه الآيات مع بعضها بقوله : (يا أيها الذين يريدون الإيمان لا تفعلوا مثل ما فعل الأصيرم من تأخير إيمانه لأجل الربا ، بل سابقوا الموت لنلا يأتكم بغتة فتهلكوا ... وافعلوا مثل فعله ساعة أسلم في صدق الإيمان وإسلام نفسه إلى ربّه بركوب الأهوال في غمرات القتال من غير خوف ولا توقف ولا التفات إلى أمر دنيوي وإن عظم ...)^(١) .

فكشف سبب النزول هنا عن علة وقوع آيات النهي عن أكل الربا بين أحداث غزوة أحد لوقوعها ضمن أحداثها زمنياً لكنها مع ذلك ارتبطت بها لأخذ العبرة والموعظة بالمسارعة إلى التوبة والاستغفار وعدم تأجيل ذلك رغبة في غرض دنيوي زائل ، لذلك قال تعالى ضمن تلك الآيات : ﴿ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا

رَبُّكَ بِغَفْلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١١٣﴾ وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ ءَاخِرِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١١٥﴾ قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَيَّ مَا كُنْتُمْ كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١١٦﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَنقَبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١١٧﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١١٨﴾)^(٢) .

ومن هنا نجد أن مجئ بعض الآيات متخللة مجموعة من الآيات التي تتحدث عن موضوع واحد يكشف عن وجه من وجوه التناسب في ترتيب هذه الآيات ، وأنها لم تأت عبثاً ودون مبرر منطقي .

(١) - نظم الدرر : ١٥٥/٢ .
(٢) - آل عمران : ١٣٢ - ١٣٦ .

ثالثاً - التناسب بين مقدمة السورة وخاتمتها

لا بدّ أولاً من التمييز بين فواتح السور ومقدماتها، فليست فاتحة السورة هي مقدمتها، فالفواتح حصرها بعض العلماء بعشرة أنواع، هي: الثناء على الله سبحانه، والنداء، القسم، والجمل الخبرية، والشرط، والأمر، والاستفهام، والدعاء، والتعليل، وحروف التهجي^(١).

وإذا كان للحروف المقطعة في أوائل السور علاقة بالسورة المفتتح بها فيمكن إيجازها في جانبين:

الأول: ما ذهبت إليه دراسات القدماء من تناسب بين الحرف الذي تُفتتح به السورة وبين الكلمات التي تتألف من ذلك الحرف في تلك السورة، يؤكد ذلك الزركشي (ت ٧٩٤هـ) بقوله: (وتأمل السورة التي اجتمعت على الحروف المفردة كيف تجد السورة مبنية على كلمة ذلك الحرف، فمن ذلك: ﴿قَ وَالْقُرْآنِ

الْمَجِيدِ﴾^(٢) فان السورة مبنية على الكلمات القافية من ذكر القرآن، ومن ذكر

الخلق، وتكرار القول، ومراجعتة مراراً، والقرب من ابن آدم، وتلقي الملكين، وقول العنيد، وذكر الرقيب، وذكر السابق، والقرين، والانتقاء في جهنم، والتقدم بالوعيد، وذكر المتقين، وذكر القلب، والقرن، والتنقيب في البلاد، وذكر القتل

(١) - ظ: الزركشي، البرهان: ١/١٢٠، السيوطي، الإتقان: ٤٦٧.

(٢) - ق: ١.

مرتين، وتشقق الأرض، وإلقاء الرواسي فيها أو بسوق النخيل، والرزق، وذكر القوم، وخوف الوعيد) (١).

أي أن المفردات الحاوية على حرف (القاف) جاءت بنسبة كبيرة في تلك السورة، والأمر ذاته ينطبق على سورة (القلم) بتكرار المفردات المتضمنة للحرف (نون) وسورة (ص) وما فيها من مفردات حاوية على هذا الحرف. (٢)

هذا من جانب ومن جانب آخر ذكروا سراً آخر هو أن كل معاني السورة مناسب لما في الحرف المذكور من شدة أو جهر أو قلقة أو انفتاح ... وغيرها : (فحق لكل سورة منها ألا يناسبها غير الوارد فيها فلو وقع في موضع (ق) من سورة (ق) (ن) من سورة (ن والقلم) وموضع (ن) (ق) لم يمكن، لعدم المناسبة المتأصل عليها في كتاب الله تعالى ... ولا يصح موضع (كهيعص) في موضع (حم عسق) ولا العكس، ولا (حم) في موضع (طس) ... ولا (الأمر) موضع (ألمص) ... ولا العكس، فقد بان وجه اختصاص كل سورة بما افتتحت به، وأنه لا يناسب سورة منها ما افتتحت به غيرها) (٣).

فقد تكرر الحرف (ق) في سورة ق أربعاً وخمسين مرة في خمس وأربعين آية، زيادة على الحرف الاستفتاحي، فلا بدّ من وجود علاقة بين هذا الحرف وبين اسم السورة من جهة، وبين تكراره فيها في كلمات شتى. (٤)

الثاني : في الدراسات القرآنية الحديثة فقد أخضعت هذه الحروف لحسابات رقمية وفق الأجهزة الحديثة (٥) وخرجوا بنظريات لم يثبت إلى الآن مدى صحتها، لنقول أن هذا الأمر يندرج تحت موضوع التناسب بين حروف السورة ومضامينها أو ما يتعلق بها، لذا سيبتعد البحث عن الحديث فيها .

أما ما يخص مقدمة السورة فالمراد به ما تطرحه السورة من موضوع أو عدّة موضوعات تشكل تمهيداً موجزاً لما سوف تبيّنه وتُفصله في الآيات اللاحقة حتى إذا انتهت وأدّت وظيفتها تأتي آيات الخاتمة لتجمع خلاصة الأفكار المطروحة فتربطها بشكل دقيق مع مقدمة السورة لتصل بالنهاية إلى وضع الفكرة الرئيسية التي تهدف إليها بين يدي المتلقي، يقول أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) :

(١) - البرهان : ١٢٣/١ .

(٢) - ظ : م . ن : ١٢٣/١ .

(٣) - الغرناطي، ملاك التأويل : ٢٣ .

(٤) - ظ : محمد حسين الصغير، الصوت اللغوي في القرآن : ٩٢ .

(٥) - ظ : عبد الرزاق نوفل في كتابيه : الإعجاز العددي في القرآن الكريم، ومعجزة الأرقام في القرآن الكريم، وظ : رشاد خليفة، تسعة عشر (دلالات جديدة في إعجاز القرآن) .

(وقد تتبعت أوائل السور المطولة فوجدتها يُناسبها أواخرها بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء ... وذلك من أبداع الفصاحة حيث يتلاقى آخر الكلام المفرد في الطول بأوله وهي عادة العرب في كثير من نظمهم ، يكون أحدهم أخذاً في شيء ثم يستطرد منه إلى شيء آخر وهكذا طويلاً ثم يعود إلى ما كان أخذاً منه أولاً)^(١) .

وغالباً ما تكون المناسبة بين مقدمة السور وختامها واضحة لا تحتاج إلى بيان، كما هو الحال في السور التي تبدأ بذكر القرآن الكريم أو الكتاب ،تختتم بذكره كسورة هود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر ، إذ تبدئ سورة الحجر - مثلاً - بقوله تعالى : ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَفْخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ .

فالحديث هنا عن القرآن الكريم وموقف المشركين المعاندين الذين كذبوا بالقرآن الكريم وبالرسول (صلى الله عليه وآله) وسخروا منه واتهموه بالجنون ،هذا في المقدمة ونجد خاتمة السورة في قوله تعالى : ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسَعَنَّهِنَّ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَأَصْدَعَ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ تَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ . متناسبة تماماً مع المقدمة ،فحينما كان يضيق صدر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بما كانوا يفترونه عليه من اتهامه بالجنون يأتي وعد الله له بأنه سيكفيه المستهزئين والمفترين ،فما عليه إلا الصبر والالتجاء إلى الله والتوكل عليه .^(٤)

(١) - البحر المحيط : ٣٧٨/٢ ، في كلامه عن مناسبة مقدمة سورة البقرة وخاتمتها .

(٢) - الحجر : ١ - ٦ .

(٣) - الحجر : ٩٢ - ٩٨ .

(٤) - ظ : مصطفى مسلم ،مباحث في التفسير الموضوعي : ٧٥ .

وتتضح المناسبة بين مقدمة السّورة ومختتمها من وجوه علاقة جامعة بينهما كما في سورة (المؤمنون) فقد افتتحت بقوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(١) وجاء في خاتمتها : ﴿ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴾^(٢) فعلاقة التضاد التي جمعت بينهما واضحة، ذلك أن المؤمنون موصوفون بالفلاح في أولها بينما وُصف الكافرون بضده أي بعدم الفلاح .^(٣)

وفي سورة القصص إذ تبتدئ السّورة بذكر أمر موسى (عليه السلام) ونصرته وقوله : ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴾^(٤) وختمت بأمر النبي (صلى الله عليه وآله) بألا يكون ظهيرا للكافرين : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۗ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴾^(٥) وتسليته عن إخراجهم من مكة ووعده بالعودة إليها : ﴿ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ مَن جَاءَ بِأَهْدَىٰ وَمَن هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾^(٦) بقوله في أول السّورة : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِّنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾^(٧) .

(١) - المؤمنون : ١ .

(٢) - المؤمنون : ١١٧ .

(٣) - ظ : الزمخشري ، الكشاف : ٢٠٩/٣ .

(٤) - القصص : ١٧ .

(٥) - القصص : ٨٦ .

(٦) - القصص : ٨٥ .

(٧) - القصص : ٧ .

فالتناسب واضح في الارتباط بين أمر موسى (عليه السلام) وأمر النبي (صلى الله عليه وآله) من جهة إلحاق النظير بنظيره ، فكما أنعم الله على موسى (عليه السلام) برده إلى أمه وَعَدَّ اللهُ رسوله بالعودة إلى مكة .^(١)

وفي سورة الأنعام التي تبتدئ بقوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ^ط ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾^(٢) وجاء في خاتمتها قوله تعالى : ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ^ج وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا^ج وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى^ج ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٣) .

فناسب بين البدء والختام حينما ذكر أن الكافرين بربهم يعدلون ، أما هو فلا يعدل بربه أحداً ، فهذا التلاؤم بين التعبيرين يُشعر وكأن الآيتين آية واحدة متصلة ببعضها .

كما أن هناك تشابه في الأسلوب من حيث التقديم والتأخير ، فقد جاء متعلق (يَعْدِلُونَ) متقدماً في التعبير الأول ، وهو قوله تعالى (بِرَبِّهِمْ) وكذلك تقدم مفعول (أَبْغِي) وهو قوله (أَغَيْرَ اللَّهِ) وذكر في الخاتمة (وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ) في حين قال في المقدمة (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ) في إشارة إلى أن خالق السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وجاعل الظلمات والنور هو رب كل شيء .^(٤)

وتتضح الصلة بين مقدمة السورة ونهايتها في سورة (الجمعة) متمثلة برباط عضوي بينهما ، فقد أشارت المقدمة إلى فضل الله تعالى بقوله : ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ^ج وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^(٥) وبعد أن تناولت السورة موضوعاتها

(١) - ظ : الزركشي ، البرهان : ١٣٢/١ ، وظ : السيوطي ، الإتيقان : ٤٧٥ .

(٢) - الأنعام : ١ .

(٣) - الأنعام : ١٦٤ .

(٤) - ظ : فاضل السامرائي ، التعبير القرآني : ٢٥٢ .

(٥) - الجمعة : ٤ .

واستكملتها جاءت الخاتمة مرتبطة بما في المقدمة ،بقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتْ
الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ
تُفْلِحُونَ ﴾ (١) فهذا الربط بين مقدمة السورة ونهايتها يبيّن مدى الإحكام الهندسي
للسورة الكريمة (٢) .

ويتضح الترابط المحكم بين خاتمة السورة ومقدمتها جلياً في سورة
القيامة، حيث جاءت الآية : ﴿ اتَّخَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (٣) .

(فهذه الآية مرتبطة بأول السورة وهو القسم بيوم القيامة ،ومرتبطة بقوله :
﴿ اتَّخَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (٤) ومرتبطة بقوله تعالى : ﴿ يُنَبِّئُوا الْإِنْسَانَ
يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴾ (٥) ذلك أنه مجزئاً عن عمله ولا يُترك سدى بل سيعاقب على
فعله (٦) .

كما يتبيّن التناسب الدلالي في التعبير عن المعنى بين المفتتح والمختتم في قوله
تعالى : ﴿ وَيَلِّ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُحْمَةٌ ﴾ (٧) (إذ قال ويل بالرفع ولم يقل ويلاً
بالنصب، ذلك لأنه بالرفع جملة اسمية وبالنصب جملة فعلية (*) فأخبر أن لهم عذاباً
دائماً لا ينقطع ... ولو قال (ويلاً) بالنصب لكان إخباراً بالعذاب غير الدائم ... ثم
قال في آخر السورة : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٦٦﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴾ (٨) فأخبر أن
أبوابها مغلقة عليهم لا تنفتح إلى دوام العذاب وخلوده (٩) .

-
- (١) - الجمعة : ١٠ .
(٢) - محمود البستاني ،التفسير البنائي : ١٧/٥ .
(٣) - القيامة : ٣٦ .
(٤) - القيامة : ٣ .
(٥) - القيامة : ١٣ .
(٦) - فاضل السامرائي ،لمسات بيانية : ٢٣٤ .
(٧) - الهمزة : ١ .
(*) - لدلالة الاسم على الثبوت ،والفعل على الحركة والتغيير .
(٨) - الهمزة : ٨ - ٩ .
(٩) - فاضل السامرائي ،التعبير القرآني : ٣٣ .

وهكذا نرى أن التناسب بين الخاتمة والمقدمة ليس أمراً عابراً اقتضته ضرورة فنيّة بل انه يأتي ليؤدّي وظيفة تفسيرية يكشفها ذلك الترابط بين آيات وموضوعات المقدمة والخاتمة، ومن خلال العلاقات بينها يتضح المعنى المراد إيصاله للمتلقّي، والهدف الذي تبتغي وضعه بين يديه ليصل إلى فهم مراد الله تعالى من آياته، كما أن الأمر لا تقتصر على السور الطويلة فقط، ولا تتخذ علاقات التناسب شكلاً واحداً بل تتعدد حسب ما يقتضيه الحال .

٤ - التناسب بين مقدمة السورة ومقاصدها

إن افتتاح السورة هو أول ما يقرع سمع المتلقي، وقد جاءت مقدمات سور القرآن الكريم بأفضل ما يُفتتح به من براعة في الاستهلال ومن تلخيص لموضوع السورة أو موضوعاتها في المقدمة التي تمثل عادة تمهيداً لما ستطرحه في آياتها اللاحقة .

(إن الكثير أو الغالبية من السور الكريمة يمكن التنبؤ بموضوعاتها من خلال المقدمة التي تستهل السورة، حيث تطرح المقدمة بنحو مجمل موضوعاً أو أكثر، يأخذ تفصيلاته فيما بعد، أو يتكرر في مواضع متقاربة أو متباعدة من النص، حيث نجد بعض السور تحوم كلها على ما طرحته المقدمة من أفكار، ونجد بعضها تحوم - غالبيتها - على ذلك، ونجد بعضاً ثالثاً يكرر موضوع المقدمة في مواقع متنوعة من النص ... ولعل الكثير من السور القرآنية تخضع لهذا النمط الأخير من البناء؛ أي طرح (الموضوع) في المقدمة ثم طرح عشرات الموضوعات المستقلة خلال النص؛ إلا أن موضوع المقدمة يتسلل بين حين وآخر إلى هذا الموضوع أو ذاك من النص ليصل بين أجزائه المتباعدة)^(١) .

نقل السيوطي (ت ٩١١هـ) عن بعض المتأخرين^(*) قوله : (والأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو : أنك تنتظر إلى الغرض الذي سيقته له السورة وتنتظر ما يحتاج إليه ذكر الغرض من المقدمات، وتنتظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب، وتنتظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام أو اللوازم التابعة له، التي تقتضي البلاغة شفاء الغليل بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن، فإذا عقلته تبين لك وجه النظم مفصلاً بين كل آية وآية، وفي كل سورة من سورته) .^(١)

(١) - محمود البستاني، المنهج البنائي في التفسير : ٢٢ .

(*) - هذا القول للجبائي المالكي (ت ٨٦٦هـ) وهو شيخ البقاعي، واسمه أبو الفضل محمد بن محمد المغربي المشدالي، مفتي بجاية بالمغرب وخطيبها، نسبته إلى مشدالة من قبائل زاوية، مولده ووفاته في بجاية، من كتبه (تكملة حاشية الوانوعي على المدونة) في فقه المالكية، و(مختصر البيان لابن الأشقر) و(الفتاوى) . الزر كلي، الأعلام : ٥/٧ .

(١) - الإتيان : ٤٧٣، والبقاعي، نظم الدرر : ١١/١ .

وكمثال على التناسب بين مقدمة السورة ومقاصدها (سورة الأحزاب) حيث طرحت موضوعين في مقدمتها ،أحدهما : ﴿ يَتَأَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (١) والآخر : ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۗ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهَرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾ (٢) .

وبين الموضوعين ترابط ،حيث طالب الأول بعدم إطاعة المنافقين والكافرين،والآخر عرض لموضوع الأسرة والعلاقات ضمنها ،ووجه الترابط بينهما هو : إنكار العلاقة المزدوجة بين الحب والكرهية في آن واحد (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ...) وكذلك ما جعل الله الزوجة التي يُظَاهِر الرجل منها (أما)في آن واحد .

وما جعل الله (الْمُتَّبَنَى) ابناً للرجل في الآن ذاته ... إذن وصل النص بين موضوعي المقدمة من خلال نفي (الازدواجية) في الحب والكرهية ،في الزوجة والأم والدعي والابن .

فهذان الموضوعان وردا في المقدمة ،لكن انعكاسهما على غالبية السورة واضح ،حيث يتجه النص إلى أحداث غزوة الخندق حينما تحزّب الكافرون والمنافقون ضدّ المسلمين ،ثم يتجه إلى علاقة النبي (صلى الله عليه وآله) مع أزواجه،كما تعرضت السورة بعد ذلك للطلاق ... ثم مخاطبته (صلى الله عليه وآله) بإحلال الزوجات له ،ثم يعرض إلى آداب الدخول إلى بيته (صلى الله عليه وآله) ثم أحكام الحجاب . (٣)

(١) - الأحزاب : ١ .

(٢) - الأحزاب : ٤ .

(٣) - ظ : محمود البستاني ،التفسير البنائي : ٢٤/٥ .

ثم يجسد الموضوع الآخر بالحديث عن الكفار والمنافقين ،بقوله : ﴿ لَيْنَ لَمَّ
يَنْتَهُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ
ثُمَّ لَا تَجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (١) .

الذي سبق وأن أشارت الآية الأولى في مقدمة السورة إليه ،وتستمر بعد ذلك
في الموضوع ذاته إلى آخر السورة : ﴿ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ
وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا
رَحِيمًا ﴾ (٢) .

ويتبين من خلال ما تحدّثت عنه السورة أنها تدور حول الموضوعين المشار
إليهما في المقدمة (الكفار والمنافقين) و (الأسرة ونطاقها) مع أن النص قد طرح
موضوعات أخرى سريعة لا تتجاوز آيات معدودة كالإشارة إلى اليوم الآخر
والجزاء، وذكر الله وتسبيحه وعرض الأمانة على السماوات والأرض ،لكن
الموضوعين الرئيسيين أخذوا الحيز الأكبر ضمن آيات السورة في ترابط واضح بين
الموضوعات الرئيسية والثانوية ،ومجمل ما دعت إليه السورة سيجد المتلقي أثره
الكلي متلخصاً بين أحكام الأسرة وجهاد الكفار والمنافقين ،ترابطهما علاقة واحدة هي
علاقة (الحب) للطرف الأول ،و (الكراهية) للطرف الثاني . (٣)

(وهكذا يتبين أن لكل سورة من سور [القرآن الكريم] شخصية
مميزة،شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حيٍّ مميّز
الملامح والسّمات والأنفاس ،ولها موضوع رئيسي أو عدّة موضوعات رئيسية
مشدودة إلى محور خاص ،ولها جوّ خاص يُظلل موضوعاتها كلها ،ويجعل سياقها
يتناول هذه الموضوعات من جوانب معيّنة تحقق التناسق بينها وفق هذا الجوّ ،ولها
إيقاع موسيقي خاص ،إذا تغيّر فإنما يتغيّر لمناسبة موضوعية خاصة ... وهذا طابع
عام في سور القرآن جميعاً) (٤) .

وهكذا نجد أن العلاقات والروابط بين أجزاء السورة الواحدة تأخذ أشكالاً
متعددة تتشابه في تلك الأجزاء بشكل محكم لتؤدي الغرض الذي تهدف إليه وتحقق

(١) - الأحزاب : ٦٠ .

(٢) - الأحزاب : ٧٣ .

(٣) - ظ : محمود البستاني ،المنهج البنائي في التفسير : ٢٤ - ٢٦ .

(٤) - سيد قطب ،في ظلال القرآن : ٢٨/١ .

المقصود والمطلوب، فكل جزء يأخذ بحجزة الجزء الآخر دون أن يكون لزمان نزول الآية أو الآيات أو أسبابها أثر لتبدو لقارئها وكأنها نزلت متتابعة دون أن يؤثر الفاصل الزمني - مهما تطاول - في ذلك الترابط ولا يُخل بالوحدة الموضوعية للسورة، فنجد أجزاءها تتألف، وتبرز السمة المميزة للسورة ومحورها أو محاورها التي تدور حولها .

خامساً - التناسب بين اسم السورة ومحورها

اشتهرت سور القرآن الكريم بأسماء خاصة بها، واختصت بعضها بعدة أسماء، كما في سورة الفاتحة، فهي (الفاتحة) لأنها يُبدأ بكتابتها في المصحف، وبقراءتها في الصلاة، وهي (أم الكتاب) و (أم القرآن) لأنها أمته؛ أي تقدمته، وقيل لأنها انطوت على جميع أغراض القرآن الكريم وما فيه من العلوم والحكم . أو لأنها أفضله كما يُقال لرئيس القوم : أم القوم . وهي (السبع المثاني) لأنها سبع آيات تُنتى في كل ركعة، أو لأنها نزلت مرتين وغير ذلك من الأسماء التي ذكرت بشأنها .^(١)

وغالباً ما يكون اسم السورة مترجماً عن مقصودها : (لأن اسم كل شئ تظهر المناسبة بينه وبين مسمّاه وعنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه)^(٢) .

(١) - ظ : السيوطي، الإتقان : ٨٣، فصل في أسماء السور (النوع السابع عشر) .

(٢) - البقاعي، نظم الدرر : ١٢/١ .

وقد يحمل اسم السورة الحدث الأبرز فيها والذي يشكل محوراً مهماً أو أحد المحاور المهمة في السورة كما في سورة البقرة ،حيث يرى ابن الغرناطي (ت٧٠٨هـ) أن : (تسمية سورة البقرة بهذا الاسم الغريب قصة البقرة المذكورة فيها وعجيب الحكمة في أمرها)^(١) فأحد المحاور المهمة فيها قضية (الإحياء والإماتة) الذي عنيت السورة به .وعلى الرغم من ذكر عدة خوارق لإحياء الموتى فيها^(٢) إلا

(١) - ملاك التأويل : ٢٢ .

(٢) - وهي قوله تعالى في الآية : ٢٤٣ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ .

والآية : ٢٥٨ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

والآية : ٢٥٩ : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

والآية : ٢٦٠ : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰمُ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ .

أنها لم تُسمَّ بواحدة منها واختصت بحادثة البقرة فقط، لتعلقها ببني إسرائيل الذين ورد ذكرهم وذكر سلوكهم السلبي والمنحرف الذي تحدّثت عنه السّورة بشكل مفصّل تجاوز بضعاً وثمانين آية، وكشفت حقيقتهم بذكر أربعين مأخذاً ومثلباً عليهم. (١)

وفي مقدمة ذلك ما كشفته من سلوك سلبي، وتمرد على أوامر السّماء وترددهم في تنفيذها، فهذا الأمر : (يكشف عن مدى التمرد والتردد الذي يصحب سلوكهم حيال ذبح البقرة ... وإنهم حاولوا التهرب من تنفيذه ... اتهموا موسى (عليه السلام) بالسّخرية منهم، يُضاف إلى ذلك نمط طلباتهم التي تتسم بالرقاعة والتهافت والسّطحية، فمرة يطالبون بأن يدعوا الله أن يُبين سنّها، ومرة يطالبون أن يُبين لونها، وثالثة أن يُبين لهم صفتها، ومع ذلك أوشكوا ألا يذبحوها لطلب موسى حيث قال الله تعالى عنهم (وما كادوا يفعلون) أي أوشكوا ألا يذبحوا البقرة) (٢).

ومن خلال ذلك يتضح التواشج بين قصة البقرة من حيث إخضاعها لبيان سلوك اليهود المنحرف، وانتفاء عنوان مثيل من القصة ذاتها يُفصح عن مدى التناسب بينهما : (إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن القصة لها صلة بالمساحة التي احتلتها النص وبالقصص الأخرى التي أفصحت عن أنماط السلوك المتجانس مع السلوك الذي أفرزته قصة البقرة) (٣).

كما أن هناك صلة بين العنوان وبين إبراز السّورة عبادة بني إسرائيل للبقرة في عدّة آيات، منها :

﴿ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجَلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (٤).

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَنْقُومِ إِنْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (٥).

(١) - ظ : عبد الله الخطيب، ومصطفى مسلم، المناسبة وأثرها على تفسير القرآن الكريم، فصل القول في ذلك بما لا يتسع البحث لذكرها .

(٢) - محمود البستاني، التفسير البنائي : ٥٠/١ .

(٣) - محمود البستاني، دراسات فنية في التعبير القرآني : ٢٧٨ .

(٤) - البقرة : ٥١ .

(٥) - البقرة : ٥٤ .

﴿ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴾^(١) .

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا^ط قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ^ج قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ^{هـ} إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾^(٢) .

إذ أنهم اتخذوا العجل بعد أن وعدهم موسى (عليه السلام) بنزول التوراة، وتذكيرهم بأنهم سمعوا وعصوا، وبأنهم ظلموا أنفسهم بهذا السلوك ... وغيرها، فتتضح الصلة بين هذه الظواهر الطبيعية وبين ما تقدمها، وبينها جميعاً وبين العنوان بشكل كبير .^(٣)

والأمر كذلك في سورة المائدة، فالسورة الكريمة تحدثت بالتفصيل عن الأطعمة ما يحل منها وما يحرم بشكل تفصيلي .

(فقد افتتحت بذكر حل بهيمة الأنعام وتحريم الصيد حال الإحرام والهدي والقلائد، وهي الذبائح التي تُهدى للحرم، وبيان اللحوم المحرمة كالميتة والدم ولحم الخنزير، وعن حكم الصيد بالكلاب والجوارح ... والحديث عن المسيح وأمه، وأنهما كانا يأكلان الطعام فليسا إلهين لأن الإله منزه من ذلك، ولم يرد في غير سورة المائدة، والنهي عن تحريم الطيبات التي أحلها الله ... إلى غير ذلك من الأحكام الكثيرة، وتختتم السورة بذكر المائدة التي طلبها الحواريون من عيسى عليه السلام)^(٤) .

فالمقصد الرئيسي لهذه السورة يكشف عن وجه الترابط بين اسمها والموضوعات المطروقة فيها والتي ترتبط بعملية (تزكية النفس) وهو المحور الرئيس الذي تدور حوله الموضوعات بكل تفاصيلها، ابتداءً من الإيفاء بالعقود وإباحة تناول الأطعمة وعدم إباحة الصيد في الإحرام، وموضوعات أخرى كثيرة تظل السمة الرئيسية فيها تزكية النفس، سواء جاءت من جانب مادي بالامتناع عن

(١) - البقرة : ٩٢ .

(٢) - البقرة : ٩٣ .

(٣) - ظ : محمود البستاني، دراسات فنية في التعبير القرآني : ٧ .

(٤) - ظ : عبد الله الخطيب، ومصطفى مسلم، المناسبة وأثرها على التفسير (بحث) .

المحرمات المادية أو من جانب معنوي بالامتناع عن الرذائل كالسرقة والسُّلوك المنحرف لبني إسرائيل في إيدائهم أنبيائهم أو قتلهم وأكلهم السّحت ... ترتبط كلها بخيوط دقيقة لتصل من خلال موضوعات عديدة مطروحة فتصب في القضية ذاتها.^(١)

إن قصة المائدة تمثل أزكى (التغذية) إلا أن السّورة عرضت ضمنها أكثر من دلالة فكرية استهدفت توصيلها إلى المتلقي، مثل قضية عدم التورط في السّؤال عن أشياء ليست في صالح الأدميين مثل اقتراح إنزال المائدة، كما طرحت من خلالها قضية الإيمان ومستوياته من حيث سلوك الحواريين، وأمثلة إعجازية من أجل اليقين الوجداني بالرسالة، والى أنه من الممكن تحقيق مثل ذلك الطلب، إلا أنه ينبغي الالتزام بنتائجه.^(٢)

إن التناسب بين اسم السّورة ومحورها قد يكون واضحاً جلياً، وقد يخفى بحيث يشكل وجه التناسب وقد يصعب إدراكه، لكن ذلك لا يستدعي التكلف في إيجاده، فكثير من السّور قد يخفى علينا وجه التناسب بين اسمها ومحورها.

(١) - ظ : محمود البستاني، التفسير البنائي : ٣٧٣/١ .

(٢) - ظ : م . ن : ٤١١/١ .

المبحث الثاني

(التناسب بين السور)

بين يدي المبحث

- ١ - التناسب العام بين السور
- ٢ - التناسب الخاص بين السور
- ٣ - التناسب بين السور المكية والمدنية

بين يدي المبحث

على الرغم من الاختلاف في أمر ترتيب السور في المصحف الشريف بوضعها الحالي إلا أن هناك ما يوحي بوجود تناسب وترابط بين بعضها مع بعض، يظهر أحياناً وجه التناسب ويخفى ويدق أحياناً أخرى فيصعب إدراكه .

وليس شرطاً أن ترتبط السورة بسابقتها أو لاحقتها ارتباطاً لفظياً بين آياتهما، أو بين خاتمة السورة السابقة وافتتاحية اللاحقة لها ، إلا أن هناك خيوطاً دقيقة تربط بينهما .

وقد حاول بعض المفسرين - كالبقاعي والسيوطي - الربط بين بعض السور بشكل يبدو إلى حد ما فيه شئ من التكلف والمبالغة ، في حين وقف آخرون ⁽¹⁾ موقفاً رافضاً لوجود التناسب بين السور ، واعتبروه تمحلاً ، وبنوا موقفهم هذا على أساس أن الترتيب بين سور القرآن الكريم أمر اجتهادي من الصحابة حينما جمعوا القرآن الكريم بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله) .

(1) - منهم العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان ، والشيخ محمد هادي معرفة في كتابه (التمهيد في علوم القرآن) وقد سبقت الإشارة إلى آرائهما في ترتيب سور القرآن الكريم .

يقول محمد هادي معرفة : (أما التناسب بين السور بعضها مع بعض - حسب ترتيبه في المصحف الشريف - فلا ضرورة تدعوا إليه وإن تكلفه أناس (١) إذ هذا النظم السور في القائم شئ صنعه أصحاب الجمع بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله) وليس مستنداً إلى وحي السماء، فمن التكلف الباهت محاولة اختلاق التناسب بين خواتيم ومفتحات السور التالية لها، لأنه التزام بما لا يلزم فضلاً عن كونه تعسفاً في الاختيار (٢) .

وعلى الرغم من وجود من تكلف وبالغ في الأمر إلا أن هذا لا يعني أنه لا يوجد ترابط وتناسب بين السور، فربما يكون قد خفي عنهم الوجه الصحيح للتناسب .

إلا أن هذا الموضوع يبقى مفتوحاً للبحث والنقاش، فقد تنكشف وتتضح وجوه التناسب فيما بعد بشكل أوضح وأدق مما عرضه السيوطي والباقعي كلما تطورت أساليب العلم والمعرفة .

يرى السيوطي (ت ٩١١هـ) أن كل سورة في القرآن الكريم مرتبطة بما قبلها بقوله : (إن القاعدة التي استقر بها القرآن أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها وشرح له، وإطناب لإيجازه، وقد استقر ذلك معي في غالب سور القرآن في طولها وقصيرها) (٣) .

ويضرب لذلك مثلاً بسورة الفاتحة فيقول : (افتتح الله سبحانه كتابه بهذه السورة لأنها جمعت مقاصد القرآن فصارت كالعنوان وبراعة الاستهلال ... وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل مجملات الفاتحة ... فسورة الفاتحة فيها : الإقرار بالربوبية والالتجاء إليها، وسورة البقرة تضمنت قواعد الدين، فهي بمنزلة إقامة الدليل على الحكم، وآل عمران مكملة لمقصودها، فهي بمنزلة الجواب عن شبهات الخصم) (٤) .

وقد ذكر بعض الباحثين أقسام التناسب بين السور وأنواعها بقوله : (قسم علماء فن المناسبات بين السور هذه المناسبات إلى قسمين :

(١) - يعني بهم الزركشي ومن جاء بعده، فيقول في معرض رده على ما ذكره في كتابه (البرهان) من تناسب في السور : (هذا كلامه المتكلف فيه تكلف ظاهر ومع ذلك فهو من خير ما قيل في هذا الشأن، أما من تأخر عنه كجلال الدين السيوطي وزميله برهان الدين البقاعي وأضرابهما فقد زادوا تمحلاً في تكلف وأتوا بغرائب الكلام) التمهيد : ٢٥٦/٥ .

(٢) - التمهيد في علوم القرآن : ٢٥٤/٥ .

(٣) - تناسق الدرر في تناسب السور : ٦٥ .

(٤) - م . ن : ٦١ - ٧٠، (فصل القول في وجه الترابط بين سورة الفاتحة وسورة البقرة وما بين سورة البقرة وسورة آل عمران : ٧٠ - ٧٥) والإتقان : ٤٧٦ .

أحدهما : مناسبات عامة ،وهي وجه الترابط بين موضوع السّورة السّابقة واللاحقة ،أو ما في أثناء السّورتين من أمور ترتبط ببعضها .
والقسم الثاني : المناسبة الخاصة ،وهي وجه الربط بين آخر السّورة ومطلع السّورة التالية لها) (١) .

كما ذكروا أن الترابط بين السّور أما أن يكون لفظياً وظاهراً بين أول السّورة وختام ما قبلها ،والظاهر يكون بتكرار اللفظ أو مرادفه ،ويكون أحياناً بالمعنى المُستفاد أو بعلاقة الإسناد أو التعلق بالعامل . (٢)

فالتناسب بين السّور ينقسم على :

(١) - نور الدين العتر ،في تفسير القرآن وأسلوبه المعجز علمياً وبيانياً : ٤٥ .
(٢) - ظ : مصطفى مسلم ،مباحث في التفسير الموضوعي : ٨٢ .

١ - التناسب العام بين السور

هذا النوع من التناسب يقوم على أساس موضوعي، فقد تشترك سورتان متجاورتان في تشابه الموضوعات التي تتناولها، كما هو الحال بين سورتي الطلاق والتحريم، فسورة التحريم : (متأخية مع التي قبلها بالانفتاح بخطاب النبي (صلى الله عليه وآله) وتلك مشتملة على طلاق النساء وهذه على تحريم الايلاء، وبينهما من المناسبة ما لا يخفى)^(١)

كذلك الحال بالنسبة لسورتي المزمّل والمدثر، فكلاهما : (مبتدئة بخطاب النبي (صلى الله عليه وآله) و صدر كليهما نازل في قصة واحدة ... كما أن المدثر نزلت عقب المزمّل)^(٢) .

قد يتجاوز التناسب في الموضوع أو الموضوعات نطاق السورتين فيشمل عدّة سور تشترك فيما بينها في المضامين والسيّاقات، وهذا ما أشار إليه العلامة الطباطبائي بقوله : (وإذا تدبرت في السور التي تشترك في الحروف المفتحة بها مثل الميمات والراءات والطواسين والحواميم، وجدت في السور المشتركة في الحروف تشابه المضامين وتناسب السيّاقات ما ليس بينها وبين غيرها من السور)^(٣) .

(١) - السيوطي، تناسق الدرر : ١٢٧ .

(٢) - م . ن : ١٣٠ .

(٣) - الميزان : ٨/١٨ .

وبيّن وجه التناسب والارتباط بينها بقوله : (ويؤكد ذلك ما في مفتاح أغلبها من تقارب الألفاظ كما في مفتاح الحواميم ^(١) من قوله تعالى : ﴿ حَمَّ ۝ تَنْزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝ ﴾ ^(٢) أو ما في معناه ، وما في مفتاح الرءاءات ^(٣) من قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّءَآءُ تِلْكَ ءَايَةُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝ ﴾ ^(٤) أو ما في معناها ، ونظير ذلك واقع في مفتاح الطواسين ^(٥) وما في مفتاح الميمات ^(٦) من نفي الريب عن الكتاب أو ما هو في معناه ^(٧) .

وعلى الرغم من أن هذه السور ليست جميعها متجاورة فيما بينها بل قد يفصل بين بعضها بسورة إلا أن وجه الترابط والتآلف بينها واضح في الموضوعات التي تناولتها ، واشتراكها في مفتحاتها بالحروف المقطعة : (ويمكن الحدس من ذلك أن بين هذه الحروف المقطعة وبين مضامين السور المفتحة بها ارتباطاً خاصاً يؤيد ذلك أن السورة المُصدّرة بـ (ألمص) في مضمونها كأنها جامعة بين مضامين (الميمات و ص) وكذا سورة الرعد المُصدّرة بـ (ألمر) في مضمونها كأنها جامعة بين مضامين الميمات والرءاءات) ^(٨) .

(١) - أي في سورة غافر (المؤمن) وفصلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاثية ، الاحقاف ، كلها مفتحة بذكر الكتاب المبين ، وتكاد موضوعاتها لا تخرج عن قضايا التوحيد والوحي وذكر صفات المؤمنين ومعاداة الكفار لهم وإنذار المشركين والمرتابين بعذاب الدنيا والآخرة ، واستكبار المكذابين ومجادلتهم بالباطل لدحض الحق ، ظ : الميزان ، الجزء : ١٧ و ١٨ .

(٢) - الجاثية : ١ - ٢ .

(٣) - أي سورة يونس ، هود ، إبراهيم ، الحجر ، كلها مفتحة بـ (ألر) ومضامينها تتفق في التأكيد على التوحيد وإنكار المشركين للوحي ومحاربتهم للنبي (صلى الله عليه وآله) وتسليية الله تعالى لنبيه بذكر قصص الأنبياء وما جرى عليهم وما لاقوه من أقوامهم ، وأنه ليس بدعاً من الرسل في ما يلاقى من قومه ، ظ : الميزان ، الجزء العاشر ، في تفسير هذه السور المفتحة بـ (ألر) .

(٤) - يونس : ١ .

(٥) - أو الطواسيم ، وهي السور المفتحة بـ (طسم) أو (طس) وهي : الشعراء ، النحل ، القصص ، وتتفق موضوعاتها بشكل عام في بشارة الله تعالى لنبيه (صلى الله عليه وآله) وللمؤمنين ، وفيها الوعد الجميل لهم بالنصر وحسن العاقبة والاستشهاد على ذلك بما مرّ به الأنبياء والرسل السابقون ، ظ : الميزان ، الجزء : ١٥ ، ١٦ .

(٦) - أي السور المفتحة بـ (ألم) وهي : البقرة ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة ، لا تكاد تخرج عن المضامين السابقة ، ففيها ذكر الأنبياء ووعد الله بالنصر لنبيه (صلى الله عليه وآله) والدعوة إلى التوحيد ، والإيقان بالمبدأ والمعاد وإقامة الحجة لاثباتهما ، ودفع ما يختلج القلوب ، مع الإشارة إلى النبوة والكتاب ، ظ : الميزان ، الجزء : ١٦ .

(٧) - الميزان : ١٨ / ٨ .

(٨) - م . ن : ١٨ / ٩ .

يُضيف العلامة الطباطبائي بقوله : (ولعل المتدبر لو تدبر في مشتركات هذه الحروف وقايس بين السور التي وقعت فيها بعضها إلى بعض تبين له الأمر أزيد من ذلك ، ولعل هذا معنى ما روي عن علي (عليه السلام) : (أن لكل كتاب صفة وصفة هذا الكتاب حرف التهجي) (١) (...) (٢) .

كما أن هناك سوراً ترتبط فيما بينها بعلاقات أخرى كعلاقة التقابل التي تجمع بين سورتي الماعون والكوثر ، كما بيّنه الرازي بقوله : (إن هذه السورة كالمقابلة للسورة المتقدمة ، وذلك لأن في السورة المتقدمة وصف الله تعالى المنافق بأمور أربعة ؛ أولها : البخل ، وهو المراد من قوله : ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿١﴾ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴾ (٣) .

والثاني : ترك الصلاة ، وهو المراد من قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴾ (٤) .

والثالث : المراعاة في الصلاة ، وهو المراد من قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ﴾ (٥) .

والرابع : المنع من الزكاة ، وهو المراد من قوله تعالى : ﴿ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ (٦) .

فذكر في هذه السورة في مقابلة تلك الصفات الأربع صفات أربعة ، فذكر في مقابلة البخل ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ (٧) .

(١) - الطبرسي ، مجمع البيان : ٧٥/١ .
(٢) - الميزان : ٩/١٨ .
(٣) - الماعون : ٢ - ٣ .
(٤) - الماعون : ٥ .
(٥) - الماعون : ٦ .
(٦) - الماعون : ٧ .
(٧) - الكوثر : ١ .

وذكر في مقابلة : ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ قوله : ﴿فَصَلِّ...﴾^(١) أي دُم على الصلاة .

وذكر في مقابلة : ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ قوله : ﴿... لِرَبِّكَ...﴾ أي انت الصلاة لرضا ربك لا لمرآة الناس .

وذكر في مقابلة : ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ قوله : ﴿... وَأَخْرَجَ﴾ أراد به (التصدق بلحم الأضاحي) ^(٢) .

أو قد يتبين التناسب بين السورتين من خلال تفصيل السورة اللاحقة لما أجملته السورة السابقة ، كما في سورتي الضحى والشرح ، يقول البقاعي (ت ٨٥٥هـ) : (ومقصودها تفصيل ما في آخر الضحى من النعمة ، وبيان أن المراد بالتحديث بها هو شكرها بالنصب في عبادة الله والرغبة إليه بتذكر إحسانه ... ولما أمره (صلى الله عليه وآله) بالتحديث بالنعمة التي أنعمها عليه فصلها في هذه السورة مثبتاً لها في استفهام إنكاري مبالغة في إثباتها عند من ينكرها) ^(٣) .

فالتناسب الذي بين السورتين يتضح من خلال ما بيّنه سورة الشرح على سبيل المقابلة بما جاء في سورة الضحى بالإضافة إلى ما بينهما من تشابه في الأسلوب .

(فالسورة الأولى تسعى إلى نفي ما أشاعه المشركون من هجر ربّ محمد له، ولم تعد له (صلى الله عليه وآله) المواقف التي ساندته فيها ، والسورة الثانية - من هذه الزاوية - استمراراً للسورة الأولى وهو استمرار يؤكد التشابه الأسلوبي المعتمد على الاستفهام والنفي (ألم) المتكرر في السورتين معاً مع ما يلي ذلك من العطف بصيغة الماضي وانتهاء كل سورة منها بصيغ تتضمن التأكيد التي تتمثل في أسلوب الاختصاص المعتمد على التقديم في السورة الأولى وفي استمرار التكرار في السورة الثانية) ^(٤) .

(١) - الكوثر : ٢ .

(٢) - مفاتيح الغيب : ٣٢ / ١١٠ .

(٣) - نظم الدرر : ٤٦٠ / ٨ .

(٤) - نصر حامد أبو زيد ، مفهوم النص ، دراسة في علوم القرآن : ١٦٧ .

٢ - التناسب الخاص بين السور

المراد منها وجه الربط بين خاتمة السورة ومفتاح السورة اللاحقة لها، وتتخذ وجوه الترابط والتناسب أشكالاً مختلفة؛ فتارة يكون الترابط لفظياً ويتكرر في آخر السورة ومفتاح اللاحقة : (كما في ختام سورة الطور : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبَّحُهُ وَإِدْبَرَ الْجُجُومِ ﴾^(١) وفي مطلع سورة النجم : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى ﴾^(٢) وفي ختام الواقعة : ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾^(٣) وفي بداية الحديد : ﴿ سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾^(٤) فكانه أمر بتسبيح الله سبحانه وتعالى الذي سبحت له كل الكائنات في السموات والأرض)^(٥) .

(١) - الطور : ٤٩ .

(٢) - النجم : ١ .

(٣) - الواقعة : ٩٦ .

(٤) - الحديد : ١ .

(٥) - مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي : ٨٢، وظ : السيوطي، تناسق الدرر :

١١٩ - ١٢١ .

وكذلك ما بين سورتي (الفيل) و (قريش) فيظهر التعلق واضحاً حتى كأنهما سورة واحدة : (لتعلق الجار والمجرور في أولها بالفعل في آخر تلك) (١) .

ويبين الطبرسي ذلك بقوله :

(أي فعلنا ذلك بأصحاب الفيل ،نعمة مآ على قريش مضافة إلى نعمنا عليهم في رحلة الشتاء والصيف ... فتكون اللام مؤدية معنى إلى ... وقيل معناه فعلنا ذلك لتألف قريش بمكة ويمكنهم المقام بها أو لتؤلف قريشاً فإنهم هابوا من إبرهة لما قصدوا وهربوا منه ،فأهلكتناهم لترجع قريش إلى مكة ويألفوا بها ...) (٢) .

بالإضافة إلى ذلك فالترابط الموضوعي واضح فيهما رغم اختلاف زمن النزول : (وهذه السورة تبدو امتداداً لسورة الفيل من ناحية موضوعها وجوّها إن كانت مستقلة مبدوءة بالبسملة ،والروايات تذكر أنه يفصل بين نزول سورة الفيل وقريش تسع سنوات لكن ترتيبهما في المصحف يتفق مع موضوعهما القريب) (٣) .

ويكون التناسب أحياناً بين خاتمة السورة ومفتتح ما بعدها تناسباً في المعنى المستفاد من الآيات الأخيرة من السورة الأولى والآيات الأولى في السورة الثانية ،فقد تتفق الآيات في مواضيعها ومضامينها ،كما في سورتي النساء وآل عمران : (لَمَّا اخْتَمَ اللَّهُ السُّورَةَ الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا آلَ عِمْرَانَ بِالْأَمْرِ بِالْتَّقْوَى افْتَتَحَ أَيْضاً هَذِهِ السُّورَةَ بِهِ إِلَّا أَنَّهُ هُنَاكَ خَصَّ بِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَمَّ بِهِ هَهُنَا سَائِرَ الْمُكَلَّفِينَ) (٤) .

وكذلك في سورة القيامة والانسان (هل أتى) يقول الطبرسي : (لما ختم الله سبحانه سورة هل أتى بذكر القيامة وما أعد فيها للظالمين افتتح هذه السورة بمثل ذلك) (٥) .

واستدل بعض القائلين بهذا التناسب بين السور بروايات عن النبي (صلى الله عليه وآله) فمثلاً في بيان التناسب بين سورتي البقرة وآل عمران رواو الحديث : (اقرؤوا الزهراوين ،البقرة وآل عمران ،فأنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان أو

(١) - السيوطي ،ترتيب سور القرآن : ١٦٧ .

(٢) - مجمع البيان : ٤٥١/١٠ ،وأشار إلى هذا التناسب مفسرون آخرون ، ظ : الزمخشري ،الكشاف : ٨٠٦/٤ ،والرازي ،مفاتيح الغيب : ٩٧/٣٢ ،والألوسي ،روح المعاني : ٤٧٠/١٥ .

(٣) - سيد قطب ،في ظلال القرآن : ٣٩٨٣/٦ .

(٤) - الطبرسي ،مجمع البيان : ٥/٣ .

(٥) - م . ن : ٢٢٧/١٠ .

غيايتان (*)... (١) فقالوا : ولم يكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليقرن بينهما إلا عن حكمة ووجود علائق تشدّ أحدهما إلى الأرض (٢) .
وهناك من السور ما اتفقت فاصلتها الأخيرة مع فواصل السورة اللاحقة لها دون أن تجمعها وحدة موضوعية أو تناسب لفظي كما في سورتَي المسد والإخلاص، فالإتصال بينهما لم يكن لغوياً بل هو : (اتصال إيقاعي يعتمد على تناغم الفاصلة الأخيرة في سورة (المسد) مع فواصل (الإخلاص) ولعل ما يقوي هذا الترابط أن الفاصلة الأخيرة من سورة (المسد) تخالف فواصل السورة نفسها، فهي حرف على حرف من الدال، وفواصل السورة كلها على حرف الباء، وإذا كانت فواصل سورة الإخلاص كلها على حرف الدال فان هذا من شأنه أن يخلق ترابطاً إيقاعياً بين السورتين (٣) .

على أنه لا يمكننا التسليم بكل هذه الأقوال تسليماً كاملاً، فالترابط والتناسب الذي بين سور القرآن الكريم أبعد من ذلك، ولا يتحدد بالتناسب اللفظي في مقدمة السورة وخاتمة ما قبلها، أو بالاشتراك في الإيقاع وغيره، إنما هناك روابط موضوعية تتشابه من خلالها الأجزاء وتلتحم في وحدة موضوعية ترتبط فيها الأجزاء بالموضوعات وبالعناصر الفنيّة والإيقاع أيضاً .

(*) - أي ظلتان سوداوان بينهما شرق، الزمخشري، الفائق في غريب الحديث : ٣ / ٨٢ .
(١) - صحيح مسلم : ٢٩٠ ح ٨٠٤ و ح ٨٠٥، الباب (٤٢) في قراءة القرآن وسورة البقرة، وسنن الترمذي : ح ٨٠٥، في فضائل القرآن، سورة البقرة .
(٢) - مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي : ٩٠ .
(٣) - نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص دراسة قرآنية في علوم القرآن : ١٦٧ .

٣ - التناسب بين السور المكية والمدنية

من الملاحظ أن ترتيب القرآن الكريم بشكله الحالي لا يرتبط بترتيب النزول، فقد تتقدم سورة مدنية على أخرى مكية نزلت قبلها بسنوات عدّة وبالعكس، ونجد أن العلاقات بسن السور لا تخضع لسبب النزول ولا لمكانه أو زمانه، لكن يُستفاد من سبب النزول أحياناً للكشف عن وجوه التناسب .

يتضح التناسب بين السور مكيّها ومدنيّها من خلال الموضوعات التي ترتبط بها السورة السابقة مع السورة اللاحقة، ويمكن حصرها بما يلي :

١ - التناسب بين سورتين مكيتين

كما في سورة هود وسورة يوسف، فقد جاء في آخر سورة هود المكية :
﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ
وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) .

(١) - هود : ١٢٠ .

وفي افتتاحية سورة يوسف المكية : ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿١﴾ .

(ف جاء في خاتمة سورة هود أن قصص الأنبياء مما يُثبت الله به فؤاد رسوله (صلى الله عليه وآله) للاستمرار في دعوة الحق ، لأن سُنَّةَ الله في النبوات الابتلاء والعناد والتأمر عليهم لكن الغلبة في النهاية لهم وفي كل سيرهم العظة والعبرة للرسول وللمؤمنين به ، وتهديد ووعد للمكذبين بأن ينتظروا ليروا لمن تكون العاقبة .

وفي افتتاحية سورة يوسف جاءت قصة هي من أحسن القصص فيها من العظات والعبر والجوانب التربوية الشئ الكثير على الرغم مما لاقاه يوسف (عليه السلام) من الكيد له كانت العاقبة والانتصار الباهر ، ف جاءه الذين أسأؤوا له خاضعين طائعين ... وذلك تلميح لما ينتظر النبي (صلى الله عليه وآله) من النصر والظفر له ولأصحابه ، وكما قال إخوة يوسف له : ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا

لَخٰطِئِينَ ﴿٢﴾ ف أجابه يوسف (عليه السلام) : ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ ۗ

يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٣﴾ .

كذلك قال أهل مكة للنبي (صلى الله عليه وآله) بعد أن ظفر بهم ودخل مكة فاتحاً ، وقال لهم : ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخ كريم . فقال لهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) : لا تثريب عليكم اليوم اذهبوا فأنتم الطلقاء (٤) فكان التثبيت والعظة والبشارة (٥) .

يبين البقاعي ذلك بقوله :

(فكان في سوق قصته عقب الإخبار بأن المراد بهذه القصص تثبيته (صلى الله عليه وآله) وتسليته فؤاده إشارة إلى البشارة بما وقع له (صلى الله عليه وآله) يوم الفتح من ملك قيادهم وردّ عنادهم ومثله عليهم وإحسانه إليهم) (٦) .

(١) - يوسف : ١ - ٣ .

(٢) - يوسف : ٩١ .

(٣) - يوسف : ٩٢ .

(٤) - ظ : الطبري ، تاريخ الطبري : ٥٣٤/٢ .

(٥) - عبد الله الخطيب ، مصطفى مسلم ، المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم (بحث) .

(٦) - نظم الدرر : ٤/٤ .

ولا يقتصر الأمر على السور المكية بل يشمل السور المدنية أيضا، فيظهر التناسب بين سورتي (محمد) وهي سورة (القتال) وسورة (الفتح) المدنيتان، فقد اختتمت سورة (محمد) بقوله تعالى : ﴿ هَاتِئُنَّمْ هَتُّوْلَاءِ تَدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنِ نَفْسِهِ ۗ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ ۗ وَإِن تَعَوَّلُوا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴾ (١) .

وافتتحت سورة (الفتح) بقوله تعالى : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيمًا ﴾ (٢) .

(لما كانت تلك سورة الجهاد، كانت هذه السورة بشارة للمجاهدين من أهل هذا الدين بالفوز والظفر) (٣) .

ففي خاتمة السورة الأولى دعوة للإنفاق في سبيل الله لأن المال عصب الحياة الجهادية، فبالمال يؤمن السلاح ووسائل الحرب الأخرى، ومن يتول عن الإنفاق في هذا السبيل لا يكون أهلاً للنصر، فسيبدل الله بهم غيرهم .

وفي افتتاحية السورة الثانية بشارة للنبي (صلى الله عليه وآله) ولأصحابه بالنصر والفتح المبين، وقد كان أهلاً لهذا النصر والفتح في قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۗ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (٤) .

(١) - محمد : ٣٨ .

(٢) - الفتح : ١ - ٣ .

(٣) - البقاعي، نظم الدرر : ١٣٨/٧ .

(٤) - الفتح : ٢٧ .

ويبين السيوطي (ت ٩١١هـ) وجه التناسب في ترتيب هاتين السورتين بقوله :
(ولا يخفى وجه حُسن وضعها هنا - أي سورة الفتح - لأن الفتح بمعنى النصر
والنصر مرتب على القتال) (١) .

وكذلك التناسب بين سورة مكية وأخرى مدنية ، كما في سورتَي (الأحقاف)
المكية وسورة (محمد) المدنية .

فقد خُتمت سورة الأحقاف بقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ
أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٤﴾
فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا
يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغَ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٥﴾ (٢) .

وتأتي بعدها سورة (محمد) فتفتتح بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن
سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ
عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٣﴾ (٣) .

فقد جاءت خاتمة (الاحقاف) في بيان عاقبة الكفار ومصيرهم إلى النار
وتوبيخهم على كفرهم بعد أن رأوا الحقائق بأعينهم فاعترفوا وندموا يوم لا ينفعهم
الندم ، وأمر رسوله (صلى الله عليه وآله) بالصبر كما صبر أولو العزم من
الرسول ، فكانت العاقبة لهم ستكون كذلك له ولأنصاره .

وافتتحت سورة (محمد) بذكر الكفار وسوء مصيرهم وضياع جهودهم ، وجاء
تعليل ذلك لأنهم اتبعوا الباطل وأعرضوا عن الحق الذي جاء به محمد (صلى الله
عليه وآله) أما المؤمنون به وبما أنزل عليه من الحق ، فقد غفرت ذنوبهم وأصلح الله

(١) - تناسق الدرر : ١١٧ .

(٢) - الأحقاف : ٣٤ - ٣٥ .

(٣) - محمد : ١ - ٣ .

لهم بالهم وأدخلهم الجنة . ففي المقطعين - خاتمة الأولى و فاتحة الثانية - حديث عن الوحي المنزل على النبي (صلى الله عليه وآله) فما على النبي إلا التصبر والانتظار لمعرفة العواقب . (١)

وقد اتضح من خلال ذلك مقدار الترابط بين السورتين ،قال السيوطي (ت ٩١١هـ) فيهما : (يخفى وجه ارتباط أولها (سورة محمد) في آخر الأحقاف : ﴿... فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢) . واتصاله وتلاحمه بحيث لو سقطت البسمة منه لكان متصلاً اتصالاً واحداً لا تتأخر فيه كالأية الواحدة آخذاً بعضها بأعناق بعض) (٣) .

وقد يكون الأمر معكوساً فتقدم سورة مدنية على سورة مكية ،ويكون الاتصال بينهما وكأنهما نزلتا معاً ،كما يتضح ذلك في سورة (التوبة) المدنية وسورة (يونس) المكية .

فقد جاء في آخر سورة التوبة ،وهي من أواخر السور التي نزلت في السنة التاسعة للهجرة ،قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ (٤) .

فالحديث هنا عن النبي (صلى الله عليه وآله) الذي هو من القوم أنفسهم ،أي من بني جلدتهم ،يتكلم بلغتهم وهم على معرفة تامة بولادته ونشأته وصدقه وأمانته وحرصه على هدايتهم ... وهو رحيم عطوف على المؤمنين الذين استجابوا لدعوته ... وإن تولى قوم ولم يستجيبوا فهو متوكل على الله مستمر في نهجه .

تأتي بعدها سورة (يونس) وفي افتتاحها إنكار وتوبيخ لهؤلاء الذين استغربوا أن يُوحى إلى رجل منهم يُكلمهم بلغتهم ليبلغ رسالات ربهم ،ويُنذر المعاندين الرافضين للحق بسوء العاقبة والمصير ،ويُبشِّر المؤمنين بالمنزلة الرفيعة والكرامة من عند الله : ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا

(١) - ظ : عبد الله الخطيب ومصطفى مسلم ،المناسبات وأثرها على تفسير القرآن (بحث) .

(٢) - الأحقاف : ٣٥ .

(٣) - ترتيب سور القرآن : ١١٢ .

(٤) - التوبة : ١٢٨ - ١٢٩ .

إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ^ق
قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾ .

و : (لَمَّا تَضَمَّنَتْ سُورَةُ بَرَاءةٍ ، قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ

... ﴾ (٢) . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ ... ﴾ (٣) إِلَى آخِرِ

السُّورَةِ ، إِلَى مَا تَخَلَّلَ أَثْنَاءَ هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ مِمَّا شَهِدَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ) بِتَخْصِيصِهِ بِمَزَايَا السَّبْقِ وَالْقُرْبِ وَالِاخْتِصَاصِ وَالْمَلَاطِفَةِ فِي الْخُطَابِ وَوَصْفِهِ
بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ ، هَذَا مَا انْطَوَتْ عَلَيْهِ هِيَ وَالْأَنْفَالُ مِنْ قَهْرِهِ أَعْدَاءَهُ وَتَأْيِيدِهِ وَنَصْرَتِهِ
وظهور دينه ... إلى غير هذا من نِعَمِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ كَانَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِظَنَّةً لَتَعْجَبِ
الْمُرْتَابُ وَتَتَوَقَّفَ الشَّاكُّ ، وَمُنْتِيراً لِتَحْرُكَ سَاكِنِ الْحَسَدِ مِنَ الْعَدُوِّ الْعَظِيمِ مَا مَنَحَهُ عَلَيْهِ
السَّلَامُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ

وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ^ق قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا
لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ (٤) .

ومن هنا نجد أن زمان نزول السُّورِ أو مكانها لا يمنعان من تناسبهما
موضوعياً ، إذ يجمعهما التشابه والترابط بين الموضوعات التي تتناولها كل سورة .

(١) - يونس : ١ - ٢ .

(٢) - التوبة : ٤٠ .

(٣) - التوبة : ١٢٨ .

(٤) - البقاعى ، نظم الدرر : ٤٣٢/٣ .

الفصل الثالث

أثر التناسب في كشف إعجاز القرآن

- المبحث الأول - أثر التناسب في وحدة النص القرآني
- المبحث الثاني - أثر التناسب في صيغ الترتيب
- المبحث الثالث - أثر التناسب في المتلقي

بين يدي الفصل

لا شك أن للقرآن الكريم أسلوبه المتفرد في التعبير، إذ جاء على أرفع مستوى من النظم أعجز أهل اللغة والبيان، وجعلهم يقفون متحيرين أمام هذا السفر المعجز، فكل لفظة فيه وُضعت في موضعها المناسب، وكل جملة ارتبطت بأختها برباط دقيق، وكل آية أخذت بحجزة الأخرى، وهكذا ترابطت أجزاؤه جميعاً بوشائج متينة، وعلاقات ظاهرة أو خفية تشير إلى غرض كلي تخضع له كل تلك المكونات .

إن انتظام القرآن الكريم في مائة وأربع عشرة سورة، ولكل سورة عدد من الآيات تطول أحياناً وتقصّر أخرى، مرتبة بشكل دقيق متناسق يدعو للتأمل، تؤكد أنه محكوم بنظام عام، وله مقاصد كلية وأهداف واضحة تتعاضد هذه الآيات لتؤديها .

فهذا البناء المتكامل المنتظم المترابط الأجزاء يكشف عن وجه إعجازي يُضاف إلى وجوه إعجازه الأخرى، لكنه لم يجد الاهتمام الكافي عند الباحثين بما يكشف ملامحه التفصيلية .

ويقوم علم التناسب في الآيات والسور بكشف تلك الروابط ووجوه التناسب بين أجزائه مبيّناً الوجه الإعجازي الذي أشار إليه البقاعي (ت ٨٨٥هـ) بقوله : (وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما؛ نظم كل جملة على حياها بحسب التركيب، والثاني؛ نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب) ^(١) .

فعلم التناسب إذن يرتبط بقضية الإعجاز القرآني من خلال بحثه في آليات النصّ الخاصة التي تميّزه عن غيره من النصوص، وهو يختلف عن علم أسباب

(١) - نظم الدرر : ٧/١ .

النزول لاختصاصه بدراسة العلاقات داخل النص القرآني ذاته، بينما يدرس علم أسباب النزول أجزاء النص القرآني من حيث علاقته بالظروف الخارجية، أي إنه يقوم على أساس الترتيب المصحفي الذي رتب بتوجيه من النبي (صلى الله عليه وآله) ولا يتوقف على كون جزء ما قد نزل قبل الآخر، ولا كون الأول منسوخاً والثاني ناسخاً، أو كونه مكياً أو مدنياً .

(ففي ضوء الترتيب التوقيفي للآيات فإن العبارات المتفرقة والمرتبطة خلافاً لترتيبها الزمني ستأخذ حكم الآيات المتصلة النزول ، فيكون سياقها صحيحاً ومؤثراً على غرار تلك، فيحل الترتيب التوقيفي محل النزول المتصل فتؤدي دورها المؤثر في تحقيق السياق الصحيح، ولن تكون هناك حاجة لإحراز اتصال النزول في اقتران سياق العبارات والآيات في القرآن الكريم) (١).

فالتناسب يعطي التفسير بُعداً أوسع لفهم النص القرآني ويكشف وجوه إعجازه من خلال تفاعل المفسر مع النص، فيفتح له آفاقاً تفسيرية واسعة لدراسة وفهم ارتباط الأجزاء مع بعضها؛ فقد نجد مفسراً ما يستثمر العلاقات والروابط من خلال معطيات النص فيكشف علاقات خاصة بين الآيات والسور، بينما يعتمد مفسراً آخر على معطيات أخرى فيكشف نمطاً آخر من العلاقات .

فالمناسبات أو الروابط بين أجزاء النص في حقيقتها وجه من وجوه العلاقة بين عقل المفسر أو القارئ وبين معطيات النص . (٢)

(ولعل المفسرين لم يبالغوا حينما قدموا ذكر المناسبة بين الآيات على معرفة أسباب النزول حينما يجدون أن المناسبة هي المصححة لنظم الكلام بينما نجدهم يقدمون سبب النزول حينما يكون وجه المناسبة متوقفاً على معرفة الأسباب) (٣) .

يتضح ذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا

... ﴾ (٤) إذ رُبِطت بما قبلها من آيات نزلت بشأن أهل الكتاب ونقضهم العهد، وخيانة

الأمانة ، وهي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ

بِالْحَبِّ وَالطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥٨﴾

(١) - محمود رجبى، بحوث في مناهج التفسير : ١٢٠ .

(٢) - ظ : نصر حامد أبو زيد، مفهوم النص : ١٦١ .

(٣) - صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن : ١٥٠ .

(٤) - النساء : ٥٨ .

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٦﴾ أَمْ هُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٧﴾ أَمْ تَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مَّلَكًا عَظِيمًا ﴿٥٨﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴿٦٠﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٦١﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا هُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴿٦٣﴾ ، على الرغم من أنها نزلت في زمن مختلف عن الأولى ، فاستُعين بسبب النزول لكشف وجه الارتباط بينهما ، فالاستعانة بسبب النزول لا يتعدى تسليط الضوء على الآية لمعرفة وجه الارتباط بينها وبين ما سبقها أو ما بعدها .

ويكشف التناسب في الآيات والسور القرآنية وجهاً إعجازياً من خلال الترابط الذي تفصح عنه العلاقات فيما بينها ، فتتضح وجوهه في وحدة النص القرآني وفي الإعجاز في صيغة ترتيبه وفي علاقة هذا النص بالمتلقي وتأثيره عليه ، وهذا ما ستوجه المباحث الآتية للكشف عنه وتحديد ملامحه .

(١) - النساء : ٥١ - ٥٧ ، وقد مرّ ذكرها في الفصل الثاني في (التناسب بين آيات بينها فارق زمني في النزول) .

المبحث الأول

أثر التناسب في وحدة النص القرآني

تناول علماء القرآن الكريم بناء النص القرآني بكافة مستوياته؛ فدرسوه على مستوى الآية، وعلى مستوى السورة، ثم على مستوى النص القرآني ككل، وبيّنوا كيفية التلاحم والترابط بين الأجزاء، وكشفوا وظائف العلاقات الرابطة بين تلك الأجزاء داخل النص القرآني. ^(١)

فلو أخذنا السورة القرآنية الواحدة باعتبارها نصّاً قائماً بذاته تتوافر فيه كل العناصر التي تجعل منه كلاماً واحداً مترابط الأجزاء متنسق المعاني، وعلى الرغم من اختلاف سور القرآن من حيث طولها وقصرها أو تعدد القضايا التي تطرحها واختلاف نزولها، سواء أكان ذلك النزول دفعة واحدة أم كان نزولها متجزئاً بحسب الحوادث والوقائع، فإنها تشكل - بحدّ ذاتها - نصّاً واحداً متكاملًا منتظمًا.

(١) - ظ : حسين فخري، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال : ٢٠٣ .

(ولما كان النص نسيجاً مترابطاً تكوّنه وحدات تركيبية صغيرة تصل بينها فواصل أو علاقات تُظهره بالشكل الذي هو عليه، فيجب أن تكون تلك الروابط متينة الصلة فيما بينها)^(٢).

يقول الشاطبي (ت ٧٩٠هـ) مشيراً إلى تعدد الموضوعات التي تطرحها السورة الواحدة وفي الوقت ذاته لا يخلّ ذلك التعدد بالارتباط بين الآيات : (إن الكلام المنظور فيه تارة يكون واحداً بكل اعتبار بمعنى : أنه أنزل في قضية واحدة طالت أو قصرت ، وعليه أكثر سور المفصل ، وتارة يكون متعدداً في الاعتبار بمعنى : أنه أنزل في قضايا متعددة كسورة البقرة وآل عمران والنساء وأقرأ باسم ربك وأشباهاها، ولا علينا أنزلت السورة بكاملها دفعة واحدة أم نزلت شيئاً بعد شيء ... فسورة البقرة مثلاً كلام واحد باعتبار النظم ، واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بُثّ فيها ، منها ما هو كالمقدمات والتمهيدات بين يدي الأمر المطلوب ، ومنها ما هو كالمؤكد، ومنها ما هو المقصود من الإنزال ... وسورة المؤمنین نازلة في قضية واحدة وإن اشتملت على معانٍ كثيرة ، فإنها من المكّيات ، وغالب المكّي أنه مقرر لثلاث معانٍ أصلها معنى واحد وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى ... فالقرآن كله كلام واحد بهذا الاعتبار)^(١).

فالسورة القرآنية الواحدة قد تكون موضوعاً واحداً ، أو مجموعة من الموضوعات التي تتضمن فكرة أو هدفاً ، وهذه الموضوعات أو الأهداف تشتمل على فروع أو أجزاء أو أقسام ، فالآية الواحدة جزء من الموضوع ، ومثلها بقية الآيات الأخرى ، وهذه الأجزاء والأقسام مرتبة على وفق نظام هندسي بحيث إذا غيرنا جزءاً مكان جزء أو حذفنا أو قدمنا أو أخرجنا بعضاً منها مكان آخر سيحدث خلل في الموضوع أو الفكرة التي تطرحها السورة بمجموعها .

وهذا يعني أن بين الأجزاء روابط تجعلها متناسقة مع بعضها بحيث تؤدي بمجموعها إلى تحقيق الغرض الفكري العام الذي تستهدفه من وراء عرضها لأي موضوع.

فالسورة الواحدة تشكل وحدة فكرية أو موضوعية تتضمن أجزاءً متناسقة فيما بينها تجتمع هذه الأجزاء وتتشابك لتصبّ في هذه الوحدة ، لذا لا يمكن أن ننظر إلى كل جزء أو آية على إنها منفصلة ، ولا علاقة لها بالأجزاء الأخرى ، وعلاقة هذه الأجزاء جميعاً بوحدة الفكرة والموضوع لأن هذا يجعل النص القرآني فاقداً لوحده الفكرية والموضوعية التي تستهدفها .^(٢)

(٢) - صباح عنوز ، أثر البواعث في تكوين الدلالة البيانية : ١٥٧ .

(١) - الموافقات : ٤١٥/٣ .

(٢) - ظ : محمود البستاني ، البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي : ١٦٦ .

وهذا يؤشر أهمية التزام المفسر المتصدي لفهم النص القرآني أنه إن تُرس الجزء منفصلاً ، فلا بدّ من ربطه بعد ذلك بالغرض الكلي العام ، فدراسة الآية الواحدة ضمن السورة ، والوقوف عند معاني ألفاظها والوجوه البلاغية التي تتضمنها وأهميتها أمر مفيد ، إلا أن هذا كله يرتبط في النهاية بوحدة الموضوع الذي يشمل السورة كاملة ، لأن : (اعتبار جهة النظم في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر ، فالإقتصار على بعضها غير مفيد غاية المقصود ، كما أن الإقتصار على بعض الآية في استفادة حكم لا يفيد إلا بعد إكمال النظر في جميعها)^(١) .

وهنا تأتي أهميّة التناسب كعامل مساعد في بيان وجوه الارتباط بين أجزاء السورة الواحدة ، فتكشف عن علاقات من داخل النص تربط بين أجزائه غير منفصلة عن بعضها وعن السياق الذي جاءت فيه .

ويرى سيد قطب (ت ١٩٦٦ م) أن : (لكل سورة من سور [القرآن الكريم] شخصيّة لها روح يعيش معها القلب ، كما لو كان يعيش مع روح حيّ مميّز الملامح والسمات والأنفاس ، ولها موضوع رئيسي أو عدّة موضوعات رئيسيّة مشدودة إلى محور خاص ، ولها جوّ خاص يظلّل موضوعاتها كلها ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معيّنة تحقق التناسق بينها وفق هذا الجوّ ، ولها إيقاع موسيقي خاص ، إذا تغيّر في ثنايا السياق إنما يتغيّر لمناسبة موضوعيّة خاصّة ... وهذا طابع عام في سور القرآن جميعاً)^(٢) .

إن فهم القرآن الكريم قائم على فهم آياته كلاً متكاملًا غير منقطعة آياته بعضها عن بعض ، فلا تُفهم آية إلا بمعرفة ما سبقها وما لحقها من آيات ، وما يُقال في الآية الواحدة يصدق على المقطع المتضمن عدّة آيات من السورة مع بقية مقاطعها الأخرى لتتنظم كل تلك الأجزاء في النهاية بسورة كاملة ، فقراءة الجزء منفصلاً عن بقية الأجزاء يُفقد الوحدة الفكرية والموضوعيّة التي يستهدفها ، لأن : (كلّ سورة مسوقة لبيان معنى خاص ولغرض محصل لا تتم السورة إلا بتمامه)^(٣) .

وهذا ما ينتج عنه انتزاع حقيقة يتفرد بها النص القرآني حيث أنه ومهما تعددت الموضوعات وتغيّرت في مضامينها فإن هناك خيطاً دقيقاً رابطاً بين أجزائها قد يتضح بشكل يسير أو قد يدقّ أحياناً إلى الحدّ الذي يخفى على القارئ ، الأمر الذي يحتاج عندئذٍ إلى إمعان النظر والفكر في ذلك ، حتى لا يتوهم متوهم أن هذا الجزء من السورة منقطع من السياق ولا يرتبط مع ما سبقه أو ما لحقه من أجزاء برابط استدعي مجيء هذه الآية أو هذا المقطع ضمن هذا السياق أو هذه المجموعة من الآيات .

(١) - الشاطبي ، الموافقات : ٤١٥/٣ .

(٢) - في ظلال القرآن : ٢٨/١ .

(٣) - الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن : ١٦/١ .

ومن الملفت في هذا الأسلوب والنظم القرآني أنه مع تعدد الموضوعات والقضايا في السورة الواحدة لا يمنع أن يكون بينها ترابط، بل على العكس من ذلك، فإن هذا التعدد والتنوع هو الذي يستدعي البحث عن وجوه التناسب . وهذه ميزة في القرآن الكريم لا يضاهيه فيها نص آخر وإلا فلو كانت آيات السورة بأجمعها بمعنى واحد فلا داعي لذلك، إذ لا معنى للبحث عن مناسبة بين الشيء ونفسه .

ولا يقتصر التناسب في السورة الواحدة على تلاحم الموضوعات وأجزائها مع بعض، بل تتجاوز ذلك إلى سائر أدوات الفن التي يستخدمها النص كعنصر الإيقاع والصورة أو القصة، فكلها تُوظف في خدمة الهدف الكلي أو الغرض الذي تستهدفه السورة ككل، بحيث يتناسب الإيقاع مع طبيعة الموضوع على الرغم من تنوع الموضوعات أو اختلاف مضامينها .

ففي ضوء سورة القمر مثلاً تبتدئ بقوله تعالى : ﴿ أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَآذَنَقَ

الْقَمَرُ ﴾ ^(١) ففكرة السورة العامة تقوم على قيام الساعة وتقديم الآيات، وإعراض الناس عنها، والجزاء المترتب على ذلك دنيوياً وأخروياً، فجاءت الأدوات الفنية في هذه السورة متجانسة مع الفكرة الرئيسية أو المحور الذي تحدثت عنه السورة متمثلاً في قصص الأنبياء الذين ذكروا فيها كقصّة نوح وهود وصالح ولوط (عليهم السلام) لتوضيح المصير الدنيوي لمن كذب بالرسول، كما جاء حرف السّين الذي هو حرف استقبالي متناسباً مع قيام الساعة التي تقع مستقبلاً، ومنتاسباً في الوقت نفسه مع العذاب الأخروي الذي جاء بمفردات وعبارات تضمنتها السورة، مثل : ﴿ إِنَّ

الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴾ ^(٢) و : ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ

وَأَمْرٌ ﴾ ^(٣) ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ ^(٤) .

(١) - القمر : ١ .

(٢) - القمر : ٤٧ .

(٣) - القمر : ٤٦ .

(٤) - القمر : ٤٨ .

فـ (سقر) و(سعر) و(يُسحبون) و(السّاعة) كلها ألفاظ تجانست مع عنصر الإيقاع والقصص في بناء الوحدة الموضوعية للسورة في انسجام واضح مع الفكرة الرئيسية وموضوعاتها .^(٥)

ولا يختلف الأمر في السّور القصيرة عمّا هو عليه في السّور الطوال أو المتوسطة، فلو أخذنا أقصر سورة في القرآن الكريم وهي سورة الكوثر (وهي في ثلاث آيات ولكنها اختلفت في أسباب نزولها وأزمنة نزولها، فالآية الثانية منها وهي قوله تعال : ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْسِرْ ﴾ نزلت يوم الحديبية إذ أتى جبرئيل للنبيّ (صلى الله عليه وآله) قائلاً : انحر واركع ، فقام وخطب خطبة الفطر ، ثم صلى ركعتين^(١)، أما الآية الثالثة ، وهي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ فقد نزلت في عهد متقدّم يوم أوحى إلى النبيّ (صلى الله عليه وآله) فقالت قريش بُنر محمد منّا فلا ينال خيرنا، وفي رواية أخرى أنها نزلت حينما مات ولده القاسم ، فأسباب النزول على أية حال مختلفة عن أسباب نزول الآيتين السابقتين ، ولكنها جميعاً تناسقت في نظم متآلف ونص متكامل، ومن لطائف ما يثير العجب أن يتكامل نظمه ودلالاته مع بنائه الصوتي، فهو يتآلف مع دائرة الإيقاع الموسيقي للبحر المتدارك ... وتتوحد فيه رؤوس الآي في سجع رائع بقافية رائية الروي الساكن الذي تحرك ما قبله مع مزية المبالغة في المعنى وحسن المقابلة ، فالكوثر من صيغ المبالغة بالكثرة يقابله على وجه التضاد، والأبتر هو غاية ما ينقطع به الإنسان عن كل خير ، فجمع هذا النص تآلف من آيات نزلت في وقائع مختلفة روعة التلاوة وحسن الإفادة ، وتلك حقيقة تُعبّر عن وجه آخر من وجوه إعجاز القرآن العظيم المتكثرة وهي ترتيب سورته وآياته في نصوص متكاملة متآلفة ، فليس من الميسور أن تتصور جمع هذه الآيات في نصوص متتابعة وخطاب إبلاغي متكامل بالرغم من تفاوت أسباب النزول وتفاوت الأزمنة والأمكنة^(٢) .

ويتجاوز التناسب في نصوص القرآن الكريم السّورة الواحدة ليشمل السّور عامة، فبينها روابط ووشائج وغالباً ما يدور هذا الارتباط حول مضامين السّور، فقد عدّ السيوطي (ت ٩١١هـ) كلّ سورة في القرآن الكريم تفصيلاً لإجمال ما قبلها وشرحاً له وإظناً لإيجازه بلا فرق عنده بين طوال السّور وقصارها .^(٣)

(٥) - ظ : محمود البستاني ، التفسير البنائي : ٤٠٣/٤ - ٤٢٣ ، و ظ : البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الاسلامي : ١٧٦ .

(١) - ظ : فاضل السيوطي ، أسباب النزول : ٢١٥ .

(٢) - محمد كاظم البكاء ، تطبيق منهج علم اللغة النصي في دراسة القرآن الكريم (بحث) .

(٣) - ظ : تناسق الدرر في تناسب السور : ٦٥ .

فسورة الفاتحة احتلت مكانة خاصة ،حيث أنها تمثل المدخل الأساس للنص القرآني،فهي أم الكتاب ،وتضمنت الكليات في القرآن الكريم ،وهي : التوحيد والتذكير والأحكام .

يبين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) ذلك بقوله : (فالتوحيد تدخل فيه معرفة المخلوقات ومعرفة الخالق بأسمائه وصفاته وأفعاله ، والتذكير ومنه الوعد والوعيد والجنة والنار وتصفية الظاهر والباطن ، والأحكام ، ومنها التكاليف ، وتبين المنافع والمضار والأمر والنهي والندب ...)^(٤) فهذه الأقسام الثلاثة هي الخطوط العامة التي تربط بين فاتحة الكتاب وسور القرآن الكريم .

كما تُعدّ سورة البقرة بمنزلة إقامة الدليل على الحكم ، كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم جاءهم الجواب : ﴿الْمَرْحُومُونَ﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ

هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ ، وجاءت سورة آل عمران للردّ على شبهات اليهود والنصارى ، فالسورتان تربطهما علاقة (الدليل) و (شبهات الدليل) ، الأولى تضمنت قواعد الدّين بينما الثانية جاءت متضمنة الجواب عن تلك الشبهات ، ولما كانت شبهات الخصوم تأتي من جانب اليهود والنصارى فقد كان من الطبيعي أن تسبق سورة البقرة سورة آل عمران ؛ ذلك لأن علاقة المسلمين باليهود كانت أسبق من جهة حكم التجاور المكاني ، ولأسبقية التوراة على الإنجيل ، لذا كان خطاب اليهود في سورة البقرة أكثر ، في حين خطاب النصارى في آل عمران أكثر . .^(٢)

وهكذا تأتي بعدها السور الأخرى مفصلة للأحكام والشرائع ، كما في سورة النساء والمائدة ، فقد فصلت الأولى أحكام العلاقات الاجتماعية ، بينما جاءت الثانية في بيان العقود وتفصيل في التحليل والتحرير ، كتحرير الدماء والأموال والأطعمة كالميتة والدم ، وتحرير الصيد في الإحرام وإحلال الطيبات .^(٣)

إن هذا الترابط في المضامين هو الطابع العام لوجه ارتباط السور بعضها ببعض ، إلا أن هناك من ذكر وجوهاً أخرى ترجع إلى وجود علاقات لغوية أو أسلوبية ، كتكرار الألفاظ في نهاية السورة وبداية السورة اللاحقة كانهاء سورة الواقعة بالتسبيح وابتداء السورة التي تليها وهي سورة الحديد بالتسبيح ، أو اقتران بدايتهما كابتداء سورة الإسراء بالتسبيح وسورة الكهف بعدها بالتحميد^(٤) أو التشابه

(٤) - البرهان في علوم القرآن : ٣٧/١ .

(١) - البقرة : ١ - ٢ .

(٢) - ظ : نصر حامد أبو زيد ، مفهوم النص : ١٦٣ .

(٣) - ظ : الزركشي ، البرهان : ١٨٥/١ .

(٤) - ظ : السيوطي ، الإتيقان : ٤٧٩/١ .

في الفواتح مثل الحواميم ، أو التشابه الأسلوبي كما في سورتتي الضحى والشرح ، أو التقابل بين سورتين كما هو الحال بين سورة الكوثر والماعون ، أو الإيقاع المعتمد على تناغم الفواصل في (المسد والإخلاص) .^(٥)

ومهما تعددت وجوه الاتصال بين السور واختلفت ، إلا أن النص القرآني يشكل وحدة متكاملة لا تقتصر على ما ذكر من علاقات لفظية شكلية أو أسلوبية ، وأنه يتجاوز قضية الانفصال الزمني في نزول أجزائه متفرقة ومتعددة الأسباب ، هذا الأمر لو كان في نص آخر غير القرآن الكريم لوجدناه مفككاً غير متناسق الأجزاء ، لكن الأمر على العكس من ذلك في القرآن الكريم ، فقد خرق العادة وجاء محكماً مترابطاً ، إذ ليس في قدرة بشر ما أن يجمع نصاً متفرق الأجزاء بشكل (محكم الاتصال والترابط متين السرد والنسيج متآلف البدايات والنهايات مع خضوعه لعوامل خارجية عن مقدور البشر وهي وقائع الزمن وأحداثه التي يجيء كل جزء من أجزاء هذا الكتاب تبعاً لها ومتحدثاً عنها سبباً عن سبب وداعية إثر داعية مع اختلاف ما بين هذه الدواعي وتغاير ما بين الأسباب وقع تراخي زمان هذا التآلف وتطاول آحاد هذه النجوم إلى أكثر من عشرين عاماً)^(١) .

ولقد أوجز الرازي (ت ٦٠٦ هـ) الترابط في القرآن الكريم والاتساق والانتظام حتى جعله كالقلمة الواحدة بقوله : (إن القرآن كالسورة الواحدة وكالآية الواحدة ، يصدق بعضه بعضاً ، ويبين بعضه معنى بعض)^(٢) .

فالقرآن الكريم كما قال فيه تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ

غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾^(٣)

(٥) - ظ : نصر حامد أبو زيد ، مفهوم النص : ١٦١ .

(١) - سعيد حوى ، الأساس في التفسير : ٢٦/١ .

(٢) - مفاتيح الغيب : ٩٨/ ٣٢ .

(٣) - النساء : ٨٢ .

المبحث الثاني

أثر التناسب في صيغ الترتيب

إن كان حُسن النَّسق والترتيب في الكلام (أن تأتي الكلمات من النثر أو الأبيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً لا معيباً ولا مستهجناً ، والمستحسن من ذلك أن يكون كل بيت إذا أفرد قام بنفسه واستقلَّ معناه ولفظه وان ردفه مجاور صار بمنزلة البيت الواحد بحيث يعتقد السامع أنهما إذا انفصلا تجزأ حسنها ، ونقص كمالهما وتقسّم معناهها وهما ليسا كذلك بل حالهما في كمال الحسن وتمام المعنى مع الانفراد والافتراق كحالهما مع الالتئام والاجتماع)^(١) فلقد بلغ القرآن الكريم في ذلك ذروة السنام حتى انفرد بنظام وترتيب عجيبيين من حسن النظم

(١) - ابن أبي الأصعب المصري ، تحرير التحبير : ٢٤٥ .

ودقة الترتيب ،فاختيار اللفظ ووضعه في الموضع المناسب من الجملة أو العبارة أو وضع العبارة في موضعها المناسب من الآية ،والآية إلى جنب أختها في تناسق وتناغم بين كل تلك الأجزاء متناسبة مع الحدث الذي تعبر عنه بصيغ فنيّة وترتيب محكم ،ويُراعى في كلّ ذلك السّياق الذي جاءت به في تناسق عجيب بين الألفاظ والتراكيب وبين المعاني.

إن من إعجاز القرآن الكريم أنه أقام أبنية من النظم الكلامي مستنداً إلى ما بين أجزائه من تناسق هندسي وبناء مترابط ،فترتيب ألفاظه يكشف عن عجائب الصلة بينها مما لا يمكن أن يخطر ببال بشر ،ولو أراد أحد أن يستبدل لفظاً مكان لفظ أو يغيّر مكانه لن يمكنه أن يأتي بلفظ يؤديّ المعنى المقصود منه ،هذا ما أشار إليه ابن عطية (ت ٥٤١هـ) بقوله : (ووجه إعجازه أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علماً وأحاط بالكلام كله علماً فإذا ترتيب اللفظة من القرآن علم بإحاطته بأي لفظ تصلح أن تأتي الأولى وتبيّن المعنى ،ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره ... فبهذا جاء نظم القرآن في ألفاظه القصوى من الفصاحة ... وكتاب الله لو نزلت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد)^(١).

فتقديم لفظ ما في موضع يحمل معنىً يختلف عنه فيما لو تأخر ،وكذلك الجمل في كل صيغة منها ،فالاسميّة لها عملها ودلالاتها التي تختلف عن الجملة الفعلية ،فلكل مفردة أو جملة مكانها المناسب الذي ينتظم ضمن إطار النظم القرآني المعجز ،وإن أي تقديم أو تأخير أو استبدال للفظ سيخل بنظامه وترتيبه وتناسقه .

إن تناسق الكلام وتناسبه يأتي من خلال كون الألفاظ متناسبة مع بعضها مراعاة لحسن الجوار والمناسبة ،كما في قوله تعالى : ﴿ ... تَأْتِيهِ تَفْتُؤُا تَذَكُّرُ

يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا ... ﴾^(٢) فقد جاء بالتاء للقسم ،وهي أقل حروف القسم

استعمالاً لتناسب ما بعدها (تفتؤ) وهو أيضا من أقل صيغ الأفعال التي ترفع الأسماء وتنصبها دون بقيّة الأفعال الأخرى التي هي أقرب إلى الأفهام وأكثرها استعمالاً ،وبلفظة (حرَضاً) وهي أشدّ ألفاظ الهلاك وأقلها استعمالاً أيضا ،فاقتضى حسن البيان في النظم أن تجاور كل لفظة بلفظة من جنسها توخياً لانتلاف المعاني بالألفاظ ولتتعادل في الوضع وتناسب .

(١) - المحرر الوجيز : ٥٢/١ .

(٢) - يوسف : ٨٥ .

وفي موضع آخر يأتي بأكثر الألفاظ استعمالاً وشيوعاً في القسم دون غيرها تبعاً لمناسبة اللفظ لما جاوره ،كقوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ... ﴾ (٣) فجاءت ألفاظ القسم بسيطة شائعة الاستعمال مؤتلفة مع بعضها . (٤)

وكذلك في استعمال القرآن الكريم لفظة (ضيزى) في قوله تعالى : ﴿ أَلَكُمُ الذِّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٦٦﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ (٥) فهذه اللفظة الغريبة هي من أغرب ما في كلمات القرآن الكريم لكنها جاءت في أفضل وأحسن موقع لها في الكلام ، يقول الرافعي : (فان حسنها في نظم الكلام من أغرب الحُسن وأعجبه ،ولو أدت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها ،فان السُّورة التي هي فيها وهي سورة النجم مفصلة كلها على الياء (٦) فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل ثم هي في معرض الإنكار على العرب إذ وردت في ذكر أصنامهم وزعمهم في قسمة الأولاد فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات الله مع أولادهم البنات ... فكانت غرابية اللفظة أشدّ الأشياء ملائمة لغرابية القسمة التي أنكرها ... [فهذه] اللفظة الغريبة تمكنت في موضعها من الفصل ووضعت حالة التهكم في إنكاره ... وجمعت إلى كل ذلك غرابية الإنكار بغرابيتها اللفظية) (١)

فهنا جاء اختيار هذه اللفظة وترتيبها ضمن سياق الآية في موضع يتناسب مع التعبير عن المعنى الدقيق لوصف تلك القسمة ،وأدت ما لا تؤديه لفظة أخرى ترادفها في المعنى ،وهذا من إعجاز القرآن الكريم في تخير الألفاظ المناسبة وحسن ترتيبها في مواضعها .

فالألفاظ تتناسب مع دقة التعبير لتضع المعنى في وحدة متلائمة ، فقوله تعالى : ﴿... فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ... ﴾ (٢) فالقلوب الزائغة تناسبها نفس فُطرت على الفتنة ،ولهذا قُدمت (الفتنة) على (التأويل) وكررت لفظة (ابتغاء) مرتين ،ذلك لأن أهل البدع الذين زاغت قلوبهم عن الهدى يبتغون بملئ ما في هذه اللفظة من إرادة الفتنة ،لأن قلوبهم طُبعَت بطابعها فتحرك نفوسهم وتدفعهم

(٣) - الأنعام : ١٠٩ .

(٤) - ظ : السيوطي ،معترك الأقران : ٢٩٥/١ .

(٥) - النجم : ٢١ - ٢٢ .

(٦) - المراد به الألف المقصورة .

(١) - إعجاز القرآن والبلاغة النبوية : ١٦٢ .

(٢) - الأنعام : ٧ .

إلى التأويل ،فهذه الدقة في وضع اللفظة في موضعها المتألف مع الألفاظ المناسبة لها أدت بدقة المعنى المطلوب .^(٣)

وقد تفتتح السورة بما يدل على تردد لفظ ما فيها أكثر من غيرها من الألفاظ، يتضح ذلك في السور التي تبتدئ بالأحرف المقطعة كـ (ألم ،حم ،طس) وغيرها ،فغالباً ما ترد الألفاظ بعدها على نمط معين في السورة ،أو يكثر استعمالها فيها .

ومن ذلك تردد لفظ (الكتاب) و(القرآن) فهذان اللفظان في كل سورة يأتي ذكر القرآن وحده بعد الحروف المقطعة نجد أن تردد هذا اللفظ أكثر من لفظ (الكتاب) وربما لم يرد في السورة لفظة (الكتاب) ولا اشتقاقه ،وحيثما يأتي لفظ (الكتاب) بعدها نجد أن لفظ الكتاب يرد أكثر من لفظ (القرآن) وكل سورة اجتمع فيها ذكرهما معاً تردد ذكرهما بصورة متقاربة لا يزيد أحدهما على الآخر بأكثر من لفظ سورة

البقرة المفتحة بـ : ﴿الْم ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾^(١)

ذكر الكتاب وحده بعد (ألم) وتردد لفظه ومشتقات الكتابة سبعا وأربعين مرة ،في حين لم يرد لفظ (القرآن) إلا في آية واحدة وهي : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ

... ﴿٢﴾ وكذلك لم يرد لفظ (القرآن) في سورة آل عمران المفتحة بقوله تعالى :

﴿الْم ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ... نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

.. ﴿٣﴾

لكنه في سورة (طه) المفتحة بقوله تعالى : ﴿طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ

الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿٤﴾ فالملاحظ أن لفظ القرآن تردد في هذه السورة ثلاث

مرات، بينما ورد لفظ (الكتاب) مرة واحدة .

والأمر كذلك في بقية السور المشابهة لما افتتحت بهذه السورة كسورة الأعراف ويونس وهود والرعد وإبراهيم والشعراء والقصص ولقمان والسجدة .^(٥)

(٣) - ظ : عمر السلامي ،الإعجاز الفني في القرآن الكريم : ١١٥ .

(١) - البقرة : ١ - ٢ .

(٢) - البقرة : ١٨٥ .

(٣) - آل عمران : ١ - ٣ .

(٤) - طه : ١ - ٢ .

(٥) - ظ : السامرائي ،التعبير القرآني : ٢٤٤ .

وهذا الأمر من عجائب دقة التعبير القرآني في ترتيب اللفظ ضمن إطار السّورة، إذ لا نجد لفظة توضع في غير موضعها، ولا تُخلّ بالنسق الذي وُضعت فيه.

كما أن المصطلح القرآني يحمل وحده معنىً فردياً إلا أنه إذا جاء في موقع معيّن من سياق الآية سيكون ذلك باعثاً لإيجاد مفهوم جديد له، يتبيّن من خلال الترابط الذي ينشأ بين المصطلح وبقية الكلمات، كلفظ (ولي، أولياء مثلاً) فإن لها عدّة معانٍ، لكنها في كل موضع تتخذ معنىً معيناً يتناسب مع البناء العام للآية. ^(١)

كذلك الحال في الآية التي إذ يفهم منها معنىً إذا نُظر إليها مستقلة عن الآيات، لكنها إن وُضعت في سياق السّورة صار لها معنىً آخر يختلف عن السابق.

إذا تتبعنا عبارات النّص القرآني نجد أن صياغتها تحكّمها وجوه من التعلق والارتباط، أشار إليها عبد القاهر الجرجاني (ت ٤١٧ هـ) بقوله: (لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه الأسباب من تلك) ^(١).

ووجوه التعلق والروابط في الكلام تتضمن العلاقة ما بين الكلم في الجملة وروابط نظم النّص، وهذه الروابط إما أن تكون لفظية كأدوات العطف والضمائر وغيرها، أو تكون معنوية، وقد تكون ذا أساليب فنيّة متعددة الوجوه كأساليب البيان والبديع. ^(٢)

إن ترتيب العبارة في النّص القرآني لها دلالاتها الوضعية والتركيبية بما يتناسب مع موقعها، بحسب ما قبلها وما بعدها، كأن تكون الجملة في موضع العلة لكلام، أو في موضع الاستدلال، أو الجواب عن سؤال وغيرها من الدلالات التي تكشف عن الترابط والتناسب بين الجمل المختلفة التي قد تطول وقد تقصر، وتتعدد بتعدد الأغراض المساقاة لها.

ففي قوله تعالى: ﴿الْمَرْحُومُونَ﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣﴾ ترتبت في هذه الآية أربع جمل، ضُمت إلى بعضها بعض في تلاحم وتناسق وكأنها جملة واحدة، بل كأنها كلمة واحدة، يقول الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) في بيان هذا

(١) - ظ : جواد علي كسار، المنهج الترابطي ونظرية التأويل : ٧٧ .

(١) - دلائل الإعجاز : ٥٤ .

(٢) - ظ : البكاء، تطبيق منهج علم اللغة النصي في دراسة القرآن الكريم (بحث) .

(٣) - البقرة : ١ - ٢ .

الترتيب : (وقد أصيب بترتيبها على هذا الوجه مفصل البلاغة ومقطع الحسن في النظم ، حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حروف نسق ، ذلك لمجيئها متأخية ، آخذاً بعضها بأعناق بعض ، فالثانية متحدة بالأولى ، معتنقة لها ، وهلم جرأ إلى الثالثة والرابعة)^(٤) .

فالترتيب والتناسق هنا لم يقم على روابط لفظية تربط بيم الجمل ، بل روابطها ذاتية ، فهي متألفة منتظمة ، وهذا وجه إعجازي ، إذ : (إن إعجاز القرآن قام على أبنية من النظم الكلامي غير مستندة إلا على ما بينها من تناسق هندسي وتجاذب روحي ، أحكمه الحكيم العليم وقدره اللطيف الخبير)^(٥) .

تتوالى العبارة القرآنية متدرجة في المعاني التي يحكمها التناسق ، فالتدرج المنطقي يكتمل باكتمال العبارة في وحدة من الانسجام والاتساق ، ففي قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ... ﴾^(١) .

فالتدرج هنا من خفايا الغيب إلى خفايا الحياة المادية ، فالساعة خافية عنا لا يعلمها إلا الله ، وقد ابتدأت الآية بها ، ثم أعقبها بنزول الغيث ، وهم أيضا مما خفي عنا ، وإن كنا نلمس آثاره ، لكن طريقة إنزاله وتوقيته وكونه نافعا أو ضارا أمور لا يعلمها إلا الله ، فالساعة ونزول الغيث يعقبها بعلم الله تعالى بما في الأرحام ، وكل إنسان في رحم أمه لا يدرك في نفسه كما لا تدرك الأم طريقة نموه

ثم تتدرج الآية في تسلسل منطقي ، وتربط كل ما سيق بما هو ألصق بحياتنا ، بقوله تعالى : ﴿ ... وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ

أَرْضٍ تَمُوتُ ... ﴾^(٢) فالكسب وطلب الرزق هو عمل يومي ، والموت حقيقة واقعة

أكدها القرآن الكريم مرتين بقوله : ﴿ ... وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ .

(٤) - الكشاف : ٧٨/١ .

(٥) - عبد الكريم الخطيب ، إعجاز القرآن : ١٦٩/٢ .

(١) - لقمان : ٣٤ .

(٢) - لقمان : ٣٤ .

ثم جمع خاتمة ذلك بقوله ﴿... إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ فالعلم والخبرة مقتصران عليه، فهو العالم بخلقه، الخبير بأعمالهم وما يصيبهم من النفع والضرر. (٣)

ولا يقتصر الإحكام الهندسي لأجزاء القرآن الكريم عند جملة بل يتجاوز الأمر ذلك إلى المقاطع المؤتلفة مع بعضها في السورة الواحدة تكشف عنه وجوه التناسب بينها، والذي يسهم في معرفة الهدف أو الغرض العام للسورة .

وفي الوقت نفسه يكشف غرض السورة وجوه الارتباط والتناسب ففي سورة يونس مثلاً وهي من السور المكيّة التي يغلب عليها طابع الجدل حول مسائل العقيدة والتوجيه إلى آيات الله الكونية، وإلى سننه في الأرض، وإلى العبرة والعظة بمصائر الأمم السالفة الذي عرضته القصص في هذه السورة .

فهي تنقل الإنسان من التدبر في آيات الله في الكون إلى آياته في النفس، ثم إلى مشاهد القيامة المؤثرة، فكل ذلك تعرضه مقاطع السورة وكأنه جميعاً حاضر تشاهده الأنظار، كل ذلك في انتقال السياق من غرض إلى غرض بمناسبة ظاهرة أو خفيّة بين مقاطعها، ولكن جوهرها كله هذا الجو حتى ليصعب الفصل بين المقاطع في أغلب الأحيان. (١)

إن انتظام سور القرآن في بناء محكم مترابط مترتب بعضه على بعض دون أي خلل، فكل سورة تنتظم في مقدمة تكون مؤشراً إلى أن موضوعات السورة سوف تحوم حول ما طرحته المقدمة، أو أنها تكون تمهيداً لموضوعات أخرى بينها رابطة من قريب أو بعيد، وقد تكون موضوعاً مستقلاً لكن استدعى طريقه في المقدمة لإلفات النظر إلى أهميته، وفي كل ذلك ترابط عضوي بين المقدمة وموضوعات السورة، ثم تأتي الخاتمة لتجمع خلاصة ما طرحته بتوجيه أو دعاء أو تحذير وكل تلك المقاطع مترتبة بعضها مع بعض في تناسق وترابط معجزين. (٢)

وعلى الرغم من تنوع واختلاف مقامات الكلام في القرآن الكريم فإن التراكيب تأتي مختلفة أيضاً بحسب مقتضى الحال : (مقام التنكير يختلف عن مقام التعريف ، ومقام الحذف ومقام القصر يباين خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب ، وكذا خطاب الذكي يباين خطاب الغبي) (٣) فإنها في القرآن الكريم جاءت مترتبة متناسقة برغم تفاوتها .

(٣) - ظ : عمر السلمي، الإعجاز الفني : ١٨١ .

(١) - ظ : عبد الله محمود شحاته، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم : ١١٩/١ .

(٢) - ظ : محمود البستاني، التفسير البنائي : ١٤٠/١ .

(٣) - القزويني، الإيضاح : ٨٠ .

إن القرآن الكريم أكثر افتناناً وتنوعاً في الموضوعات، وكذلك فهو أكثر افتناناً وتنوعاً في الموضوع الواحد، فهو لا يستمر على أسلوب واحد في التعبير ولا على هدف واحد من المعاني، بل ينتقل من معنى إلى آخر، وينتقل في المعنى الواحد بين صيغ متعددة وأساليب مختلفة، فمن جملة خبرية إلى إنشائية، ومن جملة اسمية إلى أخرى فعلية بأزمنة مختلفة من ماضٍ وحاضر ومستقبل، وخطاب وتكلم وغيبة إلى غيرها من طرق الأداء، ومع كل ذلك لا نجد في هذا التنوع أي اضطراب أو تعثر. (٤)

أما الترتيب والإحكام في الأساليب التي جاءت مترابطة في القرآن الكريم، فالتكرار مثلاً يكون مملاً إلا أنه في القرآن الكريم يُعدّ وجهاً من وجوه إعجازه، وفي تكرار اللفظ أو الجملة أو القصة أبعاد تدرك من خلال ترتيبها في النص القرآني.

يتبين ذلك في تكرار اللفظ، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُوتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١﴾ فقد ترتب اللفظ بشكل متتابع وتعلق المكرر بغير ما يتعلق به فيما سبقه.

ويتجاوز التكرار اللفظة الواحدة إلى الآية أو الآيتين مترتبة فيما بين مقاطع السورة الواحدة في سورة الرحمن، كتكرار الآية: ﴿فَبِأَيِّ آيَةٍ رَبِّكُمَْا تُكذِّبَانِ﴾ (٢) إذ ينتهي كل مقطع منها بهذه الآية ولأكثر من ثلاثين مرة، ولا يعود في كل مرة على واحد بل في كل موقع تُناسب ما سبقها من آيات (ولو كان عائداً على شيء واحد لما زاد على ثلاثة) (٣).

(٤) - محمد عبد الله دراز، النبأ العظيم: ١٤٤.

(١) - النور: ٣٥.

(٢) - الرحمن: ١٣.

(٣) - السيوطي، معترك الأقران: ٢٦٠/١.

وكذلك تكرار الآية : ﴿ وَيَلِّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾^(٤) في سورة المرسلات،

فقد ختمت كل قصة من قصص الأنبياء بهذه الآية، إذ تعلقت الآية في كل مرة بقصة من تلك القصص : (كأنه قال بعد كل قصة : ويل للمكذب بهذه القصص)^(٥) أي أنها في كل مرة تجتمع عنده الموضوعات المتنوعة المرتبطة في كل ذلك بالترتيب والبناء العام للنص .^(٦)

ويتجاوز الأمر تكرار اللفظ إلى تكرار الموضوعات، ويتضح ذلك جلياً في القصص القرآني، إذ يتفاوت طرح القصة في كل موضع بحسب ما يقتضيه المقام، فتختصر في مكان، وتبسط في آخر، وتقدم أحداث وتؤخر أخرى .

فقصة النبي موسى (عليه السلام) أوضح مثال لذلك الترتيب، فقد بسطت وفصلت في سور كاملة كسورتي طه والشعراء، بينما أوجزت في آيتين في سورة الفرقان، وهما قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيْرًا ﴾^(٧) فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا^(٨) .^(٩)

وفي الوقت نفسه لم يُراع الترتيب الزمني للأحداث، فقد تتناول سورة قصته مع فرعون بعد أن بُعث نبياً، في حين تتناول سورة أخرى قصة أخرى قصة ولادته وأخرى تسلط الضوء على مرحلة أخرى من حياته قبل أن يُبعث نبياً .^(١٠)

وكل ذلك لم يأت عبثاً ودون تنسيق وترتيب، بل يأتي بحسب ما تقتضيه طبيعة المقام الذي تتحدث عنه السور، وارتباط هذه القصة بالعرض الكلي والجو العام لها، فـ (هذا التقطيع لأجزاء القصة وكسر وحدتها الزمنية ينطوي على أسرار فنية بتعيين الوقوف عليها لملاحظة الصلة بين أهداف القصة وطرائق صياغتها)^(١١) .

(٤) - المرسلات : ١٥ .

(٥) - السيوطي، معترك الأقران : ٢٦١/١ .

(٦) - ظ : محمود البستاني، البلاغة الحديثة : ٧٢ .

(٧) - الفرقان : ٣٥ - ٣٦ .

(٨) - ظ : ابن عاشور، التحرير والتنوير : ٦٨/١ .

(٩) - قصته مع قومه في (المائدة) ومع فرعون والسحرة وآل فرعون وبني إسرائيل في

(الأعراف) ورحلته في لقاء العبد الصالح في (الكهف) وقصته مع أخيه هرون في (مريم)

وولادته وذهابه إلى مدين في (طه) .. وهكذا

(١٠) - محمود البستاني، قصص القرآن دلاليًا وجماليًا : ١١/٢ .

ولعل هذا المعنى هو الذي أشار إليه البقاعي (ت ٨٨٥هـ) بقوله : (إن كل سورة أعيدت فيها قصة فلمعنى أدعي في تلك القصة استدلال عليه بتلك القصة غير المعنى الذي سيقف له فيه في السورة السابقة ومن هنا اختلفت الألفاظ بحسب تلك الأغراض وتغيرت النظم بالتأخير والتقديم والإيجاز والتطويل مع أنها لا يخالف شيء من ذلك أصل المعنى الذي تكونت به القصة وعلى قدر غموض المناسبات يكون وضوحها بعد انكشافها)^(٥) .

وعلى الرغم من تعدد الموضوعات والأساليب في التعبير القرآني نجد أنها مترابطة بوشائج متينة ، فالسورة الواحدة رغم انتقال الكلام فيها من أسلوب إلى آخر بحسب ما يقتضي الحال فهي وحدة واحدة مترابطة ، وهذا ما فهمه العرب وهم أهل البيان والفصاحة ، فلم يجدوا فيه انقطاعاً وتفككاً بين أجزائه ، ولو كان كذلك لوجدوا فيه منفذاً للطعن في القرآن الكريم حينما تحداهم بالإتيان بسورة واحدة وإن كانت قصيرة دون أن يتحداهم بعدد من الآيات ، هذا ما يشير إليه ابن عاشور (ت ١٩٧٣م) بقوله : (لأن من أفانين البلاغة ما مرجعه إلى مجموع نظم الكلام وصوغه بسبب الغرض الذي سيق فيه من فواتح الكلام وخواتمه وانتقال الأغراض والرجوع إلى الغرض وفنون الوصل والفصل والإيجاز والإطناب والاستطراد والاعتراض)^(١)

ولعل ما زعمه المستشرقون بأن القرآن عبارة عن مقاطع متفرقة مفكك الكلمات والألفاظ لا ينظمها ناظم ولا يربطها رابط ، وان ترتيبه جاء بشكل اعتباطي لا يرتبط بأي مبدأ على الإطلاق^(٢) . يرجع إلى عدم إدراكهم أن هذا الترتيب قائم على روابط ووشائج لا يمكن لهم معرفتها حتى وإن أتقنوا اللغة العربية ، وان القرآن الكريم ليس كما زعموا نصوصاً متفرقة لا يربطها نظام أو ترتيب منطقي .

ومن جانب آخر عمدوا إلى ترتيب سوره وفق نزولها^(٣) وتابعهم على ذلك بعض المعاصرين^(٤) : (وقد جاء ترتيبهم اعتباطياً إلى حد كبير ، ومما جعل بلاشير يعدل عن ذلك في الطبقات الأخيرة لكتابه (ترجمة معاني القرآن) إذ عاد إلى الترتيب المعمول في المصحف)^(٥) .

(٥) - نظم الدرر : ٨/١ .

(١) - التحرير والتنوير : ١٠٢/١ .

(٢) - ظ : كانون سل : تدوين القرآن : ٧ ، وثيودور نولدكه ، تاريخ القرآن : ٢٩٢ ، وجون جيلكريست ، جمع القرآن : ١٣ .

(٣) - وضع وليم موير في الجزء الثاني من كتابه حياة محمد ترتيباً للسور يختلف عن ترتيب نولدكه وبلاشير ، ظ : نولدكه ، تاريخ القرآن : ٦٦ .

(٤) - مثل محمد عزة دروزه صاحب التفسير الحديث حيث رتبته حسب الترتيب الزمني .

(٥) - محمد عابد الجابري ، مدخل إلى القرآن الكريم : ٢٤٣ .

إن اعتمادهم على ترتيب النزول وضعهم أمام إشكالات عدّة منها : أن سور القرآن الكريم لم تنزل كل واحدة منها دفعة واحدة ، فقد ينزل جزء منها في مكان أو زمان ويأتي جزء آخر في مرحلة أخرى مختلفة زماناً ومكاناً عن الأولى بل الأكثر من ذلك ، إن الآية الواحدة قد نجد فيها جزء نزل في سبب معيّن أو مكان معيّن ، ونجد جزءاً آخر في غير ما نزل به جزؤها الأول . وهذا من العوامل التي دفعتهم لزعمهم الخاطئ لأنها أضاعت تلك الروابط وأشعرت بالتفكك والاعتباطية ، كما في الآية الثالثة من سورة المائدة : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ الْيَوْمَ يَبْسُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ... ﴾ (١) .

فلكل جزء منها نزول مختلف عن غيره زماناً ومكاناً ، فقولته تعالى : (اليوم يبس الذين كفروا من دينكم) نزلت في يوم عرفة من حجة الوداع ، بينما نزل الجزء الآخر : (اليوم أكملت لكم دينكم) في يوم الغدير الثامن عشر من ذي الحجة ، كما أن الجزء الأول نزل قبل ذلك (١) .

وبهذا نجد أن الترتيب القرآني وجه من وجوه إعجازه التي تكشف عنها الروابط التي بين أجزائه لفظ بلفظ وجملة بجملة ، وأية بأية وسورة بسورة ، ومن هنا تعلق بعضه ببعض إذ : (إن هناك نظاماً يثير الدهشة وتخطيطاً واضحاً يربط الأجزاء ببعضها بنظام لا يتداخل فيه جزء مع جزء وإنما يمثل كل جزء المكان المناسب له في جملة السورة) (٢) .

وهذا سر من أسرار إعجازه في تناسق أجزائه وانسجام عباراته رغم نزولها متفرقة آياته وسوره .

(١) - المائدة : ٣ .

(١) - ظ : الطباطبائي ، الميزان : ١٧١/٥ ، وظ : السيوطي ، الدر المنثور : ٢٠/١ .

(٢) - محمد عبد الله دراز ، مدخل إلى القرآن الكريم : ١١٠ .

المبحث الثالث

أثر التناسب في المتلقي

إن النص - أي نص - حين يسمعه المتلقي أو يقرأه لا بد أن يترك في نفسه أثراً كونه: (أداة للإقناع والتأثير... فالمتلقي يتفاعل مع النص بمدى استجابته لتأثيره) (١) كما أن الاستجابة النفسية له تركز على جانبين :

أولهما : الجانب الإدراكي كالتفكير والتخيل والتذكر والنسيان .
ثانيهما : الجانب الوجداني كالإرادة والرغبة والانفعال . (٢)

لذلك حين يقرأ المتلقي أو يسمع كلاماً فإن استجابته له أما أن تدفعه إلى التفكير والتدبر في ذلك ، أو أن تُحدث انفعالاتاً نفسياً يدفعه إلى سلوك سلبي أو ايجابي ، إذ : (إن للنفس تأثيراً بالغاً وخطيراً ، بل هي أساس سلوك الإنسان وحركته ، وربما سلكت به سبيل الخير وربما سلكت به سبيل الانحراف والفساد) (٣) .

وإذا كانت وظيفة العمل الفني هو إحداث الإثارة في نفس المتلقي ، فإن القارئ للقرآن الكريم يشعر أنه يترك أثراً عجبياً في نفسه ، وإحساساً قد لا يُدرك سرّه ، و : (يصعب تحديد مصدره ، أهو العبارة ذاتها ؟ أهو المعنى الكامن فيها ؟! أهو الصورة والظلال التي تشعها ؟ أهو الإيقاع القرآني الخاص المتميز من إيقاع سائر القول المصوغ في اللغة ؟ أهو العناصر كلها مجتمعة ؟ أم أنها تشمل كل ما تقدم ، وشيئاً آخر وراءها غير محدود ؟ ذلك سرٌّ مُودع في كل نص قرآني) (١) .

حتى لقد استولى على مشاعر كفار قريش ، فقال أحدهم : (انه سحر) كما جاء على لسانه في قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴾ (٢) ولو لا هذا التأثير العميق في نفوسهم لما دعا بعضهم بعضاً لعدم سماعه : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

هذا الأمر لمستمع القرآن الكريم أو قارئه قبل أن يبحث في أسرار إعجازه فكيف بمن يُمعن النظر ويدقق في ألفاظه وجمله وآياته وموضوعاته ، ويُدرك سرّ ترابطها وتلاحمها ، كل ذلك في تناسق مع المعنى والغرض الذي ترمي إليه ، سيجد من التأثير ما هو أشدّ وقعاً وأبلغ تأثيراً بنفسه بشكل يجعله يستجيب لتلك

(١) - فتح الله أحمد سليمان ، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية : ٢٢ .

(٢) - ظ : محمود البستاني ، علم النفس الإسلامي : ٧ .

(٣) - فارس علي العامر ، الإسلام والمنهج النفسي في أصول العقيدة : ٩ .

(١) - سيد قطب ، في ظلال القرآن : ٣٣٩٩/٦ .

(٢) - المدثر : ٢٤ .

(٣) - فصلت : ٢٦ .

التأثيرات، وتدفعه للتفاعل مع الأهداف التي ترمي إليها بشكل ينعكس على سلوكه الأخلاقي أو العبادي وغيرها.

وهذا ما أشار إليه البقاعي (ت ٨٨٥هـ) في بيان الإعجاز من التناسب : (إن كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتز لمعانيه وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط ورهبة مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره ، وكلما دقق النظر في المعنى عظم عنده موقع الإعجاز ، ثم إذا عبر الفطن من ذلك إلى تأمل كل جملة بما تلتته وما تلاها خفي عليه وجه ذلك ، ورأى أن الجمل متباعدة الأغراض متتائية المقاصد فظن أنها متنافرة ، فحصل له من القبض والكرب أضعاف ما كان حصل له بالسماع من الهزّ والبسط وبما شككه ذلك بكثير وزلزل إيمانه وزحزح يقينه ، وربما وقف مكييس من الأذكياء المخالفين عن الدخول في هذا الدين بعدما وضحت لديه دلائله وبرزت له من حجالها دقائقه)^(٤).

فالقرآن الكريم منسجم مع فطرة النفس الإنسانية ، فهو يتغلغل في أعماقها بشكل عجيب لم يهتد إليه العلم إلا متأخراً : (فهو يُمسك بأحوال النفس كلها ويجيء إليها بما يناسب كل حال منها في مواجهتها للأحداث وفي تصورها لها وإحساسها بها)^(١).

إن دوافع الفرد وقيمه تؤثر في انتباهه وإدراكه فتختلف استجابته لما يتلقى ، وهذه حقيقة أكدها القرآن الكريم في أكثر من موضع حينما يذكر كيف : (إن الإيمان يجعل المؤمنين في حالة من التهيؤ والانتباه إلى الاستماع إلى ما ينزل من آيات القرآن فيدركونها إدراكاً واعياً ويفهمونها فهماً دقيقاً ، بينما كانت هذه الآيات نفسها لا تُحدث لدى المشركين التأثير نفسه وإنما كانوا في غفلة من سماعها وإدراكه)^(٢).

فلو تتبعنا ألفاظه ودقة انتقائها ، ووضعها في مواضعها لتبين مدى الأثر الذي تتركه ، بينما لو غير هذا اللفظ بلفظ آخر يُرادفه لما استطاع أن يحدث في النفس التأثير ذاته : (فاللفظ أداة نفسية يمكن تسخيرها بحسب الأداة لإثارة التعبير الداخلي الخاص بالإنسان بتعبير خارجي خاص بالألفاظ ويشترك حينئذ في التعبيرين الخارجي والداخلي المبدع بالإنشاء والمتلقي بالتأثر وهنا تتحقق الوظيفة النفسية)^(٣).

(٤) - نظم الدرر : ٧/١ .

(١) - عبد الكريم الخطيب ، إعجاز القرآن : ٢٩٤/٢ .

(٢) - محمد عثمان نجاتي ، القرآن وعلم النفس : ١٣٣ .

(٣) - محمد حسين الصغير ، الصورة الفنية في المثل القرآني : ٢٤٦ .

فألطفة (طوبى) فى قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ ﴾ (٤) فكلمة (طوبى) : (مصدر من (طاب) كبشرى
وزلفى وتعنى أصبت خيراً وطيباً) (٥) فاللفظة أحدثت تناسقاً فنياً من التجاوب النفسى
وهو سرىان المعنى إلى النفس بانسراح وفى مجراه الطبيعى ، وذلك بحكم دقة وصفها
واختيارها وتلاؤم معناها لسياق الآية ، فتناسق هذه اللفظة مع مفردات الآية جميعاً
حتى جاءت فى موضعها المناسب تماماً ، وأحدثت فى النفس طمأنينة وبشرى . (٦)

وفى قوله تعالى : ﴿ أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ﴾ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴾ (٧) .

فاستعمال لفظة الزيارة بهذا المعنى صريح بأن الإقامة فى القبر أمر مؤقت
وليس بدائم ، إذ إن الزائر غير مقيم ، وسوف ينتهى به الأمر إلى أن يُبعث ويُحاسب
ويُجازى بأعماله ، فلو استُبدل هذا اللفظ بغيره لما أدى المعنى ولا الوقع النفسى الذى
يتركه عند المتلقى ، حتى أحدثت عند أحد الأعراب هزة فى نفسه ، فقال : (بُعث
القوم للقِيامة وربّ الكعبة ، فان الزائر منصرف لا مقيم) (١) .
كما أن التناسب المعنوي بين لفظتي (التكاثر) و (المقابر) بما فيهما من
السعة والشمول توجز رحلة الدنيا وعبرة الموت ونذر المصير فى أربع كلمات
فحسب ، تصيب اللاهين بالدنيا وزينتها بصدمة (زرتم المقابر) إذ ليس بينها وبين
(ألهاكم التكاثر) إلا (حتى) . (٢)

ولفظ (المقابر) يفرض نفسه فرضاً قاطعاً ليوظ ذلك الإنسان الطاغي الذى
انشغل بالدنيا وزينتها من مال وبنين ودور وقصور ... وغيرها ، وما يصحبه من
تفاخر يناسبه (المقابر) وهى جمع مقبرة ، إذ أن المقبرة الواحدة موحشة مرعبة
فكيف إذا أصبحت مقابر لا حدّ لها فستوقع فى النفس وحشة ورعباً وفزعاً . (٣)

وهنا نجد أن تناسب الألفاظ وتناسقها مع بعضها ، وإحكامها أدى المعنى بشكل
متميّز ، له من الإثارة والحيوية والوقع النفسى الذى يجعل الإنسان ينتبه من غفلته
ليرى أن مصيره إلى تلك المقابر .

(٤) - الرعد : ٢٩ .

(٥) - الزمخشري ، الكشاف : ٤٩٧/٢ .

(٦) - ظ : السلامي ، الإعجاز الفنى فى القرآن الكريم (رسالة ماجستير) : ١٧١ .

(٧) - التكاثر : ١ - ٢ .

(٨) - أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط : ٥٠٥/٨ .

(٩) - ظ : عائشة عبد الرحمن ، بنت الشاطي ، التفسير البيانى : ٢٠٠/١ .

(١٠) - ظ : محمد حسين الصغير ، تطور البحث الدلالي : ٥٥ .

وتتضح دقة اختيار اللفظة وتأثيرها في النفوس بشكل مؤثر ، فتكون جامعة بين حسن التناسق والتلاؤم مع التعبير الدقيق الذي يوضح المعنى بسهولة وإيجاز ، مع التأثير ، فلفظ (كسب) في قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ۗ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ ۗ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾ (٤) أدت معنى دقيقاً ، ف (كسب) عبر فيه القرآن عن الحسنه ، و (اكتسب) عبر فيه عن السيئة (٥) .

فالإيمان والتقوى يناسبهما كسب الحلال ، وإنفاق المؤمن يجب أن يكون من بذله وجهده ومن الحلال الطيب لأن قبوله عند الله متوقف على ذلك ، وهنا جاءت اللفظة في موضعها متناسبة مع المعنى والأثر الذي تحدثه في النفس لبعثها على الكسب من الطيب والإنفاق من الطيب .

ومن هنا نجد أن : (نسج الألفاظ وترتيبها يتخذ وضعاً مناسباً لها في النص ، بل إن اللفظ إذا ما وقع في موقعه المناسب له في النص يزداد هو نفسه قوة وتأثيراً وجمالاً ، وهذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني بقوله : (انك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر) (١) . ففوق اللفظ موقعاً متناسباً مع ما يجاوره من ألفاظ - وبمقدار ما يكون اللفظ مطابقاً للمعنى - سوف يتمكن النص من التأثير في نفس المتلقي ، وذلك لقدرته على إثارة أحاسيسه وانفعالاته (٢) .

إن تناغم الألفاظ وترتيبها وانسجامها تنقل القارئ إلى الجو النفسي الذي قيلت فيه بحيث لا يشعر معها بفجوة نفسية ، بل يشعر وكأنه يعيش تلك الأجواء والانفعالات بشكل يجعل النفس مشدودة إلى المقصود من الكلام ، لأن من شأن الكلام الموزون أن يحدث أثراً في جعل النفس مشدودة إلى الحديث وتبعث الرغبة لديه في التفكير به (٣) .

فحينما يُقرأ قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ

مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً ﴿﴾ يَوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلاً ﴿﴾ (٤) .

(٤) - البقرة : ٢٦٧ .

(٥) - ظ : ابن منظور ، لسان العرب : ٨٧/١٢ .

(١) - دلائل الإعجاز : ٣٨ .

(٢) - ظ : سمير أبو حمدان ، الإبلاغية في البلاغة العربية : ١٠٥ .

(٣) - ظ : عبد الله الجبوسي ، التعبير القرآني والدلالة النفسية : ١٤٣ .

(٤) - الفرقان : ٢٧ - ٢٨ .

إن مما يبعث على عضّ اليد الندم والتحسر، والعض يُحدث بالنفس ألمًا وجرحاً، فناسبه قوله تعالى (يا ليتني) لأن التحسر يبعث على التمني، ولكن بعد فوات الوقت، ثم أكد ذلك بقوله (يَوَيْلَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا) فالعض حركة انفعالية يُحدثها الندم، والندم يُحدث في النفس تأوهات وحسرات وويلات، ومن هنا جاءت ألفاظ الآية دقيقة ومتناسبة مع بعضها في أداء المعنى وما يقتضيه بمحتواها النفسي أوحى للمتلقى أنه يُحاسب نفسه بنفسه فيعض يديه ندماً وتحسراً، ويتمنى لو عدل عن ارتكاب ما يُحاسب عليه .^(٥)

وحيثما يأتي التسلسل المنطقي في خلق الإنسان بالشكل الذي تُبينه الآيات الكريمة : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٣٠﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣١﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٣٢﴾ ﴾ .^(١)

فهذا التسلسل والترتيب في تتابع مراحل خلق الإنسان يدفع النفس الإنسانية للتدبر في جوهر خلقها، وتُحرك مخيلتها لتُدرك دقة خلقه، كما جاء تكرار النطفة والعلقة والمضغة والعظام، وتكرار لفظ (خلقنا) منسجماً مع طبيعة النفس لتنبئها، إذ ليس فيه أدنى خلل، فجاء على مستوى من الأحكام والتناسق بين تلك الألفاظ .

كما أن تكرار (ثم) في الآية مرتين أفادت هنا سعة من الوقت فيما بين خلق الإنسان من الطين وجعله نطفة، ثم قال خلقنا النطفة، ومن الدقة أيضاً والتناسب تكرار (الفاء) حيث الصلة المباشرة والتمينة ببعضها التي تفرضها مراحل تطور الجنين، لكنه عاد وربط مرة أخرى بـ (ثم) في قوله ﴿ ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا

آخَرَ ﴾ إذ يحتاج الأمر إلى فترة من الزمن، فجاءت (ثم) لتؤدي المعنى^(٢)، حتى إذا اكتمل جاءت خاتمة الآية في امتداد محكم ومتناسب مع المعنى بقوله : (فَتَبَارَكَ

اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ) .

(٥) - ظ : عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن الكريم (رسالة ماجستير) : ١٧٢ .

(١) - المؤمنون : ١٢ - ١٤ .

(٢) - ظ : عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن : ١٣٤ .

فهذا التفصيل في المراحل والدقة في الترتيب كشفه تناسق الألفاظ وترتيبها مع بعضها بشكل يجعل القارئ يتفكر ويتدبر في هذه الدقة المتناهية ، فلا تملك النفس أمامها إلا أن تهتف من أعماقها : ﴿ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ .

ويأتي التعبير القرآني في وحدة تناسقية عجيبة بين العبارات ، مترابطة بعضها ببعض فيستجيب لها العقل ، وتنساب إليها النفس ، ويترافق ذلك مع التناسق بين المعاني مما يجعل الاستجابة والتأثير أبلغ ، ويدعو للتفكير والتدبر .

فقوله تعالى : ﴿ مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣٦) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٤﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٥﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٦﴾ (١) يُوقِفُ الْقَارِئُ متسائلاً ما وجه التناسب بين خلق السموات والأرض وبين يوم الفصل والبعث والنشور؟!

يقول سيد قطب : (المناسبة بين خلق السموات والأرض وما بينهما وبين قضية البعث والنشور مناسبة دقيقة ، ولكن الفطرة تُدركها في يسر حين توجه إليها مثل هذا التوجيه ، فان تدبر ما في خلق السموات والأرض من دقة وحكمة وقصد ظاهر وتنسيق ملحوظ وخلق كل شيء بمقدار لا يزيد ولا ينقص ... وتحقيق تناسقه مع كل شيء حوله بالمقدار والشكل الذي خلق به ، وانتفاء المصادفة والبعث في أي جانب صغر أم كبر في تصميم هذه الخلائق الهائلة وما بينها من خلائق دقيقة) (١) .

ثم يبيّن أن التدبر في كل ذلك يُوقع في النفس أثراً أن هذا الخلق لم يأت عبثاً، فهو قائم على الحق ، وان لا بدّ له من نهاية وإن لم تأت بعد ، فيربط ذلك بالجزاء الأخروي بقوله : (وإن أمر الآخرة وأمر الجزاء فيها حتم ولا بدّ من الناحية المنطقية وحتى تتحقق النهاية الطبيعية للصلاح والفساد في هذه الدنيا ، هذا الصلاح والفساد اللذان رُكبا في الإنسان على أساس الاستعداد لهما وظهور جهده هو وإرادته في اختيارها ... فالإنسان بهذا الاستعداد المزدوج ، ونفي العبث عن فعل الله سبحانه ليقتضيان أن يكون لهذا الإنسان مصير معين ينتهي إليه بعد انتهاء رحلته الأرضية ثم يجئ بعد توجيه النظر إلى الحكمة والقصد في خلق السموات والأرض بقوله :

(١) - الدخان : ٣٩ - ٤٢ .

(٢) - في ظلال القرآن : ٣٢١٦/٥ .

﴿ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾^(٣) يجيء هذا القول طبيعياً ومرتبباً بما قبله كل الارتباط فالحكمة تقتضي أن يكون هناك الفصل فيه بين الخلائق، ويحكم فيه بين الهدى والظلال، ويكرم فيه الخير ويهان الشر^(٤) فإذا وقعت هذه الحقيقة في نفس المتدبر، وأدرك أن ما بعد الحياة بعث ونشور فلا بد أن يدفعه ذلك لتعديل سلوكه وإتباع ما يجعله من المكرمين في يوم الميقات .

وللأساليب المتنوعة التي يطرح القرآن الكريم الموضوعات من خلالها دور كبير في إثارة المتلقي وتحفيز إدراكه من خلال ما يثيره الأسلوب الذي اتخذته القرآن الكريم إيصال الفكرة .

فعندما يتحدث عن موضوع ما بإجمال يجعل نفس المتلقي تتشوق لمعرفة التفاصيل ومن خلالها يستشعر الغرض الذي أراد القرآن الكريم أن يوصله إليه ليأخذ منه عبرة وموعظة .

ففي سورة نوح (عليه السلام) يأتي قوله تعالى : ﴿ قَالَ يَقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾^(١)، فهنا إجمال في القول يجعل المتلقي يستحضر كل التفاصيل التي شملتها عملية الإنذار، إذ دعاهم أولاً لعبادة الله تعالى، ثم يتقون الله ويطيعونه لأن في ذلك سبيل نجاتهم.

ثم أطمعهم في مغفرته وتأخير الحساب إلى اليوم الآخر وعدم أخذهم بعذاب الاستئصال، ثم مواصلة جهوده بالإنذار ليلاً ونهاراً وسراً وعلانية .

ثم بيان ردود فعلهم لهذا الإنذار بوضع أصابعهم في آذانهم لكيلا يسمعون، وكرهوا أن تقع عليه أنظارهم فاستغشوا ثيابهم في صورة تمثل الشدة في العناد والاستكبار والإصرار على الكفر

ثم يُلفت أنظارهم إلى آيات الله في أنفسهم بقوله : ﴿ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴾^(٢) وفي الكون، في محاولة لتنبئهم لقدرة الله والتدبر في مخلوقاته الهائلة، ثم يعود بعد

(٣) - الدخان : ٤٠ .

(٤) - في ظلال القرآن : ٣٢١٦/٥ .

(١) - نوح : ٢ .

(٢) - نوح : ١٤ .

اليأس منهم بالدعاء عليهم بقوله : ﴿ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴾ (٣) .

فهذه التفاصيل كلها جعلت الارتباط بين إجمال الدعوة في أولها وتفصيلها فيما بعد بشكل يجعل القارئ أو السامع لهذه السورة يستحضر صورة أولئك المنكرين المستكبرين، فنتداعي الصور في ذهنه بما يُولد في نفسه ردة فعل تبعته على الإيمان والتقوى والاستغفار الذي يستدعي درّ الأرزاق، وضرورة النظر والتفكر في عجائب صنع الله . (٤)

فالتفصيل هنا بعد العبارة الأولى الموجزة أدى وظيفة تربوية من خلال تلك التفاصيل التي تجعل النفس تتأثر بتلك المشاهد مجتمعة في ذهنه، فنتدفع نحو خالقها مؤمنة مسلمة .

وفي موضع آخر يكتفي القرآن الكريم بالإيجاز والحذف، ويدع الأمر لمخيلة المتلقي في أن تستشف ما وراء العبارة، فقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ۚ فَاَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ ۚ فَغَشَّيْهِمْ مِّنَ اللَّيْلِ مَا غَشَّيَهُمْ ۚ وَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ ﴾ (١)

عبارة : (غشيهم من اليم ما غشيهم) يكتنفها شئ من الغموض، فلم تبين الآية ما حصل لفرعون وجنوده عندما عبروا البحر من أهوال وفضائع .

مما يجعل المتلقي في حالة من التخيل، وتسارع للصور في ذهنه، فقد ألمحت الآية إلى ما حدث بدلاً من أن تُفصح عنه .

والهدف من وراء ذلك (إحداث التأثير النفسي في المتلقي، فلو أفصحت عما جرى لهم لفقدت ذلك التأثير) . (٢)

(٣) - نوح : ٢٦ .

(٤) - ط : أنور الباز، التفسير التربوي في القرآن الكريم : ٤٨٤ .

(١) - طه : ٧٧ - ٧٩ .

(٢) - سمير أبو حمدان، الابلاغية في البلاغة العربية : ١٣١ .

وحيثما يقدم القرآن الكريم لفظاً على آخر، أو فكرة على أخرى إنما يهدف من خلالها أن يُلفت النظر إليها والتركيز عليها لإيصالها في أبلغ وجه، فحينما يقول تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ (١) الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ لَفِي سَجِينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَجِينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأُولِينَ ﴿١٣﴾ (١).

فقد قدم التطفيف في الآية الأولى من السورة على التكذيب الذي جاء بعد عدة آيات، ومراده هنا أن يُلفت النظر إلى خطورة الذنب المترتب على التطفيف بقدر ما يتصل هذا الأمر بطبيعة النفس الأدمية التي تركز على ذاتها، وتحاول إشباع رغباتها دون التقيد بالمبادئ الموضوعية للسلوك، فهم: ﴿إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ ثم قال: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾. فسلوكتهم في الحالتين يدور حول أنفسهم دون النظر إلى الآخرين.

ثم جاءت الآيات الأخرى لتربط ذلك السلوك بسلوك المكذبين، ووسم شخصية الكافر المكذب بيوم الدين بتركيبتها النفسية العامة، وهي النفس العدوانية، فوصفها بالإثم والعدوان بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ فكلا الشخصيتين يدفعهما أمر واحد، وهو التكذيب باليوم الآخر، لذا قال تعالى بعد ذكر المطففين: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٤﴾.

(١) - المطففين : ١ - ١٣ .

فهذه الآيات تكشف عن حقيقة أن هذه الشخصيات المتمردة منعزلة عن مبادئ السماء منكراً لحقائقها (٢). بحيث إنها: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣).

فهذه الصور المتلاحقة في ذهن المتلقي تجعل فكرة الإيمان باليوم الآخر ودقة الحساب ماثلة أمامه متمكنة من إحداث أثر في نفسه .

وقوله تعالى : ﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَءَامَنْتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ (١).

فهنا قدم الشكر على الإيمان باعتباره الأسرع وروداً إلى النفس، وهو الشكر : (لأن العاقل ينظر إلى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكراً مبهجاً، فإذا انتهى به النظر إلى معرفة المنعم آمن به، ثم شكر شكراً مفصلاً، فكان الشكر مقدماً على الإيمان وكأنه أصل التكليف ومداره) (١).

فالتقديم هنا يجعل المتلقي يدرك أهمية المتقدم فيثير ذهنه ويلفت انتباهه ويجعله منتظراً ما يرتبط بهذا اللفظ المتقدم من معانٍ وأحكام . (٣)

وإذا تتبعنا أسلوباً آخر من الأساليب التي وظفها القرآن الكريم للإبلاغ، وهو أسلوب التقابل سواء بين شيئين أو بين حالات تتعدد فيها أطراف التقابل، ففي سورة الضحى تقابل لفظي بين (الضحى) وبين (الليل إذا سجد) أي ما بين النور في أبهى حالته وبين الظلمة في أشدها، وهما تدلان هنا على تعاقب الليل والنهار، وهما آيتان من آيات الله تعالى، فأقسم بهما في حالة ثبات حركتهما واستمرارهما .

(٢) - ظ : محمود البستاني، التفسير البنائي : ٢٩٩/٥ .

(٣) - المطففين : ١٣ .

(١) - النساء : ١٤٧ .

(٢) - الزمخشري، الكشاف : ٥٧٥/١ .

(٣) - ظ : فتح الله سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية : ٢٢٠ .

فان تقابل النعم والوصايا في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ﴾^(٤) و :

﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾^(٥) وبين : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾^(٦) ترسي فكرة

موحدة لا يستطيع المرء فكّ أجزاء بعضها عن بعض، فبالرغم من أن السورة نزلت في النبي (صلى الله عليه وآله) خاصة ، إلا أنها : (تؤسس لأفكار يمكن حدوثها في كل زمان ومكان ، فالصورة الذهنية الواقعة على أحوال النفس والعقل والحياة الإنسانية والاجتماعية في مجال اليتيم والسائل والفقير لا تختلف عما جرت أحداثه في الماضي ... لهذا تُصبح أشكال التقابل في صور النعم والوصايا في عناصر موضوعية يُماثلها صور كثيرة خارج النص في الحالات البشرية)^(٧) .

فحالات التقابل هنا نبهت على معانٍ دقيقة تفرض على المتلقي إدراك مغزاها وأهميتها في الحياة الإنسانية وما ينبغي على الإنسان فعله من خير ليحظى براحة النفس : (فأسلوب التقابل هنا ارتفع ليعبر عن نمط فنيٍ مثير يمنح المتلقي لذة خاصة لا يُدركها إلا فيه ، وهي لذة فطرية تنطلق من بنية النص وأفكاره وأهدافه ... فالصيغ التقابلية صيغ تعبيرية جمالية تصوغ الموقف النبيل الذي ينبغي التعامل فيه مع اليتيم والسائل والفقير)^(٨) .

وإذا كان هذا الأثر الذي تتركه الأجزاء والمقاطع والآيات في النفس من التأثير الواقع ، فان للغرض الكلي للسورة شأنًا أكثر وقعًا وتأثيراً ، إذ أن السورة القرآنية الواحدة - بترباط أجزائها وإحكامها - تترك أثراً كبيراً عند المتلقي من مبتدئها إلى منتهائها .

فالمقدمة - لأي نص - هي المدخل الذي يُعرف منه الموضوع ، وهي البداية التي تُعتبر حاسمة من وجهة نظر علماء البيان ، فإذا توازنت فيها مواصفات جذبت إليها المتلقي ، وتجعله يتابع النص مشدوداً حتى نهايته ، وإن انعدمت فسينفر منها ويتخلّى عنه .^(٩)

وإذا كانت بعض مدارس علم النفس الحديثة قد أسهمت في بيان بعض مراتب الإدراك عند الإنسان في إدراكه الكل من خلال الجزء ، فإنه سواء كان الإدراك (الكل) من خلال الجزء أولاً ثم انتقاله إليه ، أو من خلاله أولاً ثم الانتقال إلى

(٤) - الضحى : ٦ .

(٥) - الضحى : ٩ .

(٦) - الضحى : ١١ .

(٧) - حسين جمعة ، التقابل الجمالي في النص القرآني : ٢٥١ .

(٨) - حسين جمعة ، التقابل الجمالي في النص القرآني : ٢٥٣ .

(٩) - ظ : حسين فخري ، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال : ٢٠٠ .

جزئياته ،وفي الحاليتين ثمة إدراك لا ينفصل (كله) عن (جزئه) ولا جزؤه عن كله،وبهذا ستتأثر عملية التلقي والاستجابة للنص .

ونحوها من العمليات النفسية الأخرى ،وهذا ما سيق القرآن إليه في طرح الموضوعات ،كأن يُجمل مقدمة السورة ثم تتوالى الآيات مُفصلة في موضوعات قد يبدو أن لا رابط بينها مما يجعل المتلقي يُخضعها لعملية فكرية تُحدّ بينها في اتجاهات متعددة في الربط ،فقد تتخذ السورة الواحدة اتجاهات عدّة في ربط كأن تتنامى عضوياً ، أي يشكل أحدها تطويراً لفكرة ما تأخذ تفصيلاتها لاحقاً ،أو تأخذ شكل تفرّعات لموضوع رئيسي ،أو أن تتجانس تلك الموضوعات ، أو يجمع بينها هدف يتسلل إلى جميع الموضوعات .^(٣)

وبذلك نجد أن ذهن المتلقي قد تفاعل مع النص مستجيباً له وبشكل يتوافق مع إدراكه الأمور من الكلي إلى الجزئي .

وأحياناً تأخذ السورة القرآنية شكلاً آخر في طرح موضوع ما أو حدث ما من منتصفه كما في القصص القرآني ،إذ ليس كل القصص تبتدئ من أول الحدث وتنتهي بنهايته ،لكن في كل ذلك تستهدف لفت نظر المتلقي إلى أهمية ذلك المقطع من الحدث لتجعله هدفاً أو موضوعاً تترتب عليه موضوعات أخرى ،مما تجعل المتلقي متهيأ لما بعد ذلك من أحداث .

وأحياناً تستوقف السورة قارئها في مقاطع متفرقة تختتمها بآية مكررة ،وكأنها محطات يستوقف عندها للفت نظره إلى أهمية ما ذكر في ذلك المقطع ،مثل سورة المرسلات ،حيث تتكرر الآية : ﴿ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾^(١) وفي سورة الرحمن :

﴿ فَبِأَيِّ آءِالَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾^(٢) ففي السورة الأولى تتحدث عن اليوم الآخر وحثمية ما يحدث فيه ،وفي كل مقطع من مقاطعها يتناول جانباً يتعلق بذلك اليوم،وتأتي الآية : ﴿ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴾ في نهاية كل مقطع منها ،لتنهي ذلك

المقطع مستوقفة المتلقي لتدبر تلك الآيات التي سبقتها متوعدة المكذبين ،مما يُلقي في نفس المتلقي أثراً واستجابة تدعوه إلى أن يُجنّب نفسه ذلك العذاب النفسي والجسدي الذي يكون مصير وعاقبة المكذبين ،فجاء هذا الترتيب والتناسق والتلاحم بين مقاطع

(٣) - ظ : محمود البستاني ، الإسلام والفن : ٩٤ ، والمنهج البنائي : ١٥ .

(١) - المرسلات : ١٥ .

(٢) - الرحمن : ١٣ .

السورة التي كررت التلويح بالويل عشر مرات للمكذبين ، لا بد أن يكون لها أثر ووقع واستجابة في نفسه .^(٣)

والأمر كذلك في سورة الرحمن حيث تتكرر الآية : ﴿ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ لأكثر من ثلاثين مرة ، وفي كل مرة ترتبط بالمقطع الذي سبقها ، مذكرة بنعم الله وآلائه ، مشهدة للوجود كله على الثقلين ، الأنس والجن المخاطبين في السورة في تحدٍ لهما إن كانا يملكان التكذيب بآلاء الله متكرراً عقب بيان كل نعمة من نعمه التي عددها السورة وفصلتها .

فتثير في النفس تطلعاً يثير الترقب والانتظار ، جامعة في كل ذلك نعم الله في الدنيا ، في الكون ، في الخلق ، منتهية بمشاهد اليوم الآخر ، في تناسق وترابط بين الأجزاء ، وقوفاً عند كل مقطع للتفكير والتدبر بكل نعمة من تلك النعم^(٤) ، حتى ليجد الإنسان نفسه تسبح في كل ذلك ، ولا تملك إلا أن تقول : ﴿ تَبْرَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴾^(١) .

وإذا كانت مقدمة السورة مهمة لأنها أول ما يقرع السمع فان خاتمتها على المستوى ذاته من الأهمية لأنها آخر ما يقرع السمع ، وهي تُنهي الحديث بشكل لا يتطلع المتلقي لشيء بعدها .

وخواتم كل سورة في القرآن الكريم جاءت في منتهى التناسق والترابط مع وسط السورة ومقدمتها ، مستوعبة ما جاء فيهما ، ومُلخصة له .

يقول ابن أبي الأصبع (ت ٦٥٤هـ) : (وجميع خواتم السور القرآنية في غاية الحُسْن ونهاية الكمال لأنها أدعية ووصايا وفرائض وتحميد وتهليل إلى غير ذلك من الخواتم التي لا يبقى في النفوس بعدها تطلع ولا تشوّف إلى ما يُقال)^(٢) .

إن المتلقي بعد انتهائه من قراءة السورة لا بدّ أن يجد تأثيراً ما تركته في نفسه إن هو تنبه إلى وجوه الربط بين أجزائها ، لأن هناك شبكة من الخطوط تتواصل فيما

(٣) - ظ : محمود البستاني ، التفسير البنائي : ٢٤١/٥ .

(٤) - ظ : سيد قطب ، في ظلال القرآن : ٣٤٤٣/٦ .

(١) - الرحمن : ٧٨ .

(٢) - تحرير التحبير : ٦١٦ .

بين الأجزاء بشكل مباشر أو غير مباشر، لكنها في النهاية تُفضي إلى استجابة معرفية كلية .

فالأمر لا يقتصر على ارتباط جزء بجزء فقط، أو آية بآية، بل يتسع ليشمل السورة كلها، فإن كان القارئ متفاعلاً مع السورة، متدبراً ما يقرأ فإنها ستترك في نفسه بمجملها أثراً يرتبط بالهيكل العام للسورة بما تشابك فيها من ألفاظ وصور وأساليب وطرق تعبيرية، وعناصر أخرى وظفتها لإيصال الغرض الكلي منها، آخذة بنظر الاعتبار خطوط الاستجابة النفسية للبشر، وهذا الأمر لا يتحقق في حالة تفكك أجزاء السورة واستقلالها، بل يظهر في ترابطها وتلاحم أجزائها .^(٣)

ومما مرّ يتضح أن آيات القرآن الكريم وسوره تمتاز بوحدة تناسقها في المعنى، وترابط أجزائها بشكل دقيق، وتناسق بين الألفاظ والصيغ التعبيرية، وتواشج بين الأجزاء بعضها مع بعض، معانقة للمعنى المراد بما يجعل كل ذلك مستساغاً ومسايراً للسياق، ومقبولاً في النفس .

قادراً على إثارة المتلقي وتحريك مداركه العقلية والوجدانية، وتحفيز خياله لتدبر كلام الله، ومستجيباً طائعاً لأمره، مستقيماً على الصراط وذلك هدف الرسالات .

ولفواصل الآيات تأثيرها في النفس، إذ أن أهميتها في التناسب أن : (تأتي بعد تمام المعنى، فتكون تذييلاً للآية كالتعقيب والتعليق على محتواها)^(١) .

وعادة ما يكون هذا التعليق أو التعقيب بذكر الأسماء الحسنى، أو الحث على التفكير والتدبير، أو أن تتضمن قاعدة كلية من مقاصد القرآن الكريم .^(٢)

وفي كل موضع تأتي فيه منسجمة ومتألّفة مع مضمون الآية، فحينما يُذكر العذاب والعقاب في صدر الآية لا تأتي الفاصلة متضمنة المغفرة والرحمة .

(وما من آية يتصدرها رضوان ورحمة من الله وتُذيل فاصلتها بالوعد والوعيد وشدة العقاب)^(٣) .

(٣) - ظ : محمود البستاني، المنهج البنائي : ٢٠ ، وظ : الإسلام والفن : ٣٠ .

(١) - تمام حسان، البيان في روائع القرآن : ١/١٩٦ .

(٢) - ظ : عبد الكريم الخطيب، ومصطفى مسلم، المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم (بحث) .

(٣) - تمام حسان، البيان في روائع القرآن : ١/١٩٦ .

وإذا كان الحديث عن الخلق وعن آيات الله في الكون تأتي الفاصلة مثيرة في الإنسان التدبر والتفكر والتعقل (أفلا يرون) (أفلا يعقلون) ... وغيرها ، فيقع تأثير هذه الألفاظ في نفس المتلقي فتحته على ذلك .

كما تستوقفه آيات في سورة واحدة متشابهة في صدرها ، مختلفة في فواصلها ، كقوله تعالى : ﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(٤) .
و : ﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^(٥) . و ﴿... وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾^(٦) .

وقد يقع في نفسه أنها بمعنى واحد ، وحين يتدبر في سياق الآيات يجد أن كلاً منها متعلقة بما سبقها من آيات ، وأنها جاءت في أمر اليهود والنصارى (فالظالمون والكافرون) تعلقت باليهود ، بينما (الفاسقون) جاءت مختصة بالنصارى : (لأنهم بدّلوا التوحيد تثليثاً ورفضوا أحكام التوراة ففسقوا عن دين الحق ، أما اليهود فلم يشنّبه عليهم الأمر فيما عندهم من دين موسى (عليه السلام) وإنما ردّوا الأحكام والمعارف التي كانوا على علم منها وهو الكفر بآيات الله والظلم لها)^(١) .

ولا يخفى ما للإيقاع الصوتي في موسيقى الفواصل من تأثير في المتلقي ، إذ : (أن في القرآن إيقاعاً موسيقياً متعدد الأنواع يتناسق مع الجو الدلالي ، ويؤدّي وظيفة إنسانية في البيان ، وأن الموسيقى القرآنية إشعاع للنظم الخاص في كل موضع ، وتابعة لقصر الفواصل وطولها ، كما هي تابعة لانسجام الحروف في كلّ الكلمة المفردة ، ولانسجام الألفاظ في الفاصلة الواحدة)^(٢) .

هذا التناسق بين كل الأجزاء يحدث في النفس ما يحدث من انفعالات تفرضها عليه تلك الموسيقى : (فبينما نستمع خاشعين إلى صيغة موزونة منظمة كقوله تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾^(٣) فإننا نتعامل مع وقع خاص ، يُذكرنا بالعطاء غير المحدود للنبي الكريم (صلى الله عليه وآله) وحينما نستمع - موزوناً - إلى قوله تعالى

(٤) - المائدة : ٤٤ .

(٥) - المائدة : ٤٥ .

(٦) - المائدة : ٤٧ .

(١) - الطباطبائي ، الميزان في تفسير القرآن : ٣٥٥/٥ .

(٢) - تمام حسان ، البيان في روائع القرآن : ١٦٠/١ .

(٣) - الكوثر : ١ .

: ﴿ هَيَّاتَ هَيَّاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾^(٤) تصل أسماعنا بلغة الوعيد ، فنخشع وتتحسس الأفتدة .

وقوله تعالى : ﴿ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلُّهَا وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا تَذَلِيلًا ﴾^(٥) نستبشر من الأعماق بهذا المناخ الهادئ ، ونستشعر هذا النعيم السرمدى بإيقاع يأخذ بمجاميع القلوب ، ويشد إليه المشاعر^(٦) .

ولو تتبعنا الفواصل في سورة كاملة لوجدنا لها من الوقع والأثر العميق في النفس بحيث يتفاعل المتلقي معها وكأنه يشهد الوقائع ماثلة أمام عينيه ، ففي سورة العاديات : ﴿ وَالْعَدِيَّتِ صُبْحًا ① فَالْمُورِيَّتِ قَدْحًا ② فَالْمَغِيرَتِ صُبْحًا ③ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ④ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ⑤ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ ⑨ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑩ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑪ ﴾^(١) .

يجري سياقها في لمسات سريعة وعنيفة ومثيرة ، وينتقل من إحداها إلى الأخرى قفزاً ووثباً في خفة وسرعة وانطلاق حتى ينتهي إلى آخر فقرة فيها فيستقر عندها اللفظ والظل والموضوع والإيقاع كما يصل الراكض إلى نهاية المطاف .

ففي المقطع الأول من السورة : (تبدأ بمشهد الخيل العادية الضابحة القادحة شرراً المغيرة في الصباح ، المثيرة للنقع وهو الغبار ، الداخلة في وسط العدو فجأة تأخذه على غرة وتثير في صفوفه الرعب)^(٢) .

وفي المقطع الثاني تأتي الآيات متحدثة عن ما في النفس من الكنود والجحود والأثرة والشح . ثم يعقبه مشهد القبور وتحصيل ما في الصدور ، وفي ختامها تنتهي البعثرة والجمع إلى نهايتها جميعاً ... إلى الله .

(٤) - المؤمنون : ٣٦ .

(٥) - الإنسان : ١٤ .

(٦) - محمد حسين الصغير ، الصوت اللغوي في القرآن : ١٥٩ .

(١) - العاديات : ١ - ١١ .

(٢) - سيد قطب ، في ظلال القرآن : ٣٩٥٧/٦ .

فإيقاع السّورة الموسيقي فيه من الخشونة والدمدمة في تناسب واضح مع الجوّ الصاخب لبعثرة القبور ،والصدور المحصل ما فيها ،كما تناسب جوّ الجحود والكنود ... كل ذلك في إطار متناسب مع ما اختاره من الجوّ الصاخب الذي تُثيره العادية في جريها بأصوات صاخبة . فهذه السّورة بإيقاعها الموسيقي المتناسق الفواصل مع الصور التي رسمتها في جوّ صاخب لاهت تشدّ المتلقي ،فيجعله ذلك الإيقاع المتسارع يعيش أجواءها حتى تنتهي به إلى هذا القرار معنىً ولفظاً وإيقاعاً^(٣) .

ومن هنا نجد أن لوجود التناسب في النّص القرآني دلالات تؤثر في المتلقي من ناحية اختيار الألفاظ وتناسقها ،والعلاقات القائمة بين الألفاظ ومضامينها ،والترابط بين الأجزاء كلها بشكل يجعله متفاعلاً مع النّص فتؤثر به ،فالمتلقي لا ينسُدّ الى النّص ما لم يحصل عنده تفاعل وجداني معه سواء أكان ذلك التفاعل سلبياً أم ايجابياً .

(٣) - ظ : م . ن : ٦ / ٣٩٥٩ .

خاتمة البحث والنتائج

كان هذا البحث جولة في التناسب في القرآن الكريم، ومحاولة للتعرف على هذا العلم ووجوهه ومستوياته، وإلقاء الضوء على أهميته ودوره في تفسير القرآن الكريم، وقد توصل البحث إلى بعض النتائج، وهي :

١ - إن هذا العلم من علوم القرآن المهمة التي قلّ الاعتناء بها والتصنيف فيها على الرغم من الجهود الكثيرة المتناثرة بين طيات كتب التفسير وعلوم القرآن والبلاغة والمتشابهات .

٢ - إن ترتيب القرآن الكريم بصيغته الحالية في المصحف الشريف الذي بين أيدي المسلمين لا يمكن أن يكون من فعل البشر، وإن كل جزء فيه وضع في موضعه المناسب بشكل محكم مترابط الأجزاء على الرغم من امتداد الفترة الزمنية لنزوله بما يقارب الثلاث والعشرين سنة، لأن أي عقل بشري مهما أوتي من قوة ودقة في الحفظ لا يمكنه أن يرتب كلاماً متفرقاً - نزل في ظروف زمانية ومكانية ولأسباب مختلفة - بهذا الشكل الذي تلتحم فيه الأجزاء سابقها بلاحقها وتتناسب ألفاظها ومعانيها بهذا المستوى من الإحكام والدقة .

٣ - أكد البحث أن تناسق أجزاء القرآن حرفاً بحرف وكلمة بكلمة، وآية بآية، أمر يقوم على نظام هندسي دقيق جداً، وأن زيادة حرف واحد فيه أو نقصه، أو تقديم أو تأخيره، يُحدث خللاً في نظم هذا الكتاب المعجز .

كما أنه ليس فيه حرف واحد وضع في غير موضعه ولا كلمة تقدمت أو تأخرت إلا لغرض مقصود وهدف مُراد .

٤ - إن مراعاة وجوه التناسب في القرآن الكريم يعطي المفسر أبعاداً تفسيرية واسعة تساعده على أن يرى النص القرآني من زوايا مختلفة ولا يتوقف عند اللفظ أو الأسلوب البلاغي أو المعاني النحوية، بل يدرس النص القرآني على وفق رؤية شاملة لأبعاده كافة بناءً على المعطيات التي بين يديه سواء أكانت لفظية أم أسلوبية، وكذلك يشمل العلاقات خارج النص القرآني كأسباب نزوله بما يلقي الضوء على وجوه الترابط والتماسك بين أجزائه .

٥ - تبين من خلال البحث أن إدراك وجوه التناسب يسهم مساهمة كبيرة في تفسير القرآن بالقرآن كما أن له أهمية كبرى في التفسير الموضوعي للسورة الواحدة، فهي تكشف عن محاور السورة وأهدافها بما يساعد المفسر على بيان معاني الآيات الكريمة .

٦ - اثبت البحث أن كشف وجوه التناسب والارتباط بين أجزاء القرآن الكريم في آياته ومقاطعته وسوره يأتي أفضل ردٍ على افتراءات المستشرقين الذين زعموا أن القرآن الكريم غير مترابط الأجزاء مفكك المقاطع ،فإدراك هذه الوجوه يحتاج إلى فهم وتعمق في دلالات المفردات ومعرفة الأساليب البلاغية الأمر الذي قد يعسر على أبناء هذه اللغة فكيف الأمر بالمستشرقين ،فمهما بلغت معرفتهم بهذه اللغة التي وسعت كتاب الله تعالى لن يدركوا ذلك الترابط والتناسب بين أجزائه .

٧ - إن وجود التناسب في القرآن الكريم يفرضه الاعتقاد بأن كلام الله تعالى منزله عن التناقض والفوضى وان معرفة وجوه أمر يرسخ الإيمان في القلب .

٨ - كشف البحث أن هذا العلم يُظهر وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني المتعددة، فهذا الترتيب المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذه الوشائج التي بين أجزائه تكشف عن أن معجزة النبي (صلى الله عليه وآله) خالدة مدى الدهر وان إعجازه متجدد في كل عصر وزمان ستكشف الأجيال وجهاً من وجوه إعجازه .

رأي ومقترح

إن هذا العلم بحر واسع نأمل أن توجه الدراسات القرآنية للخوض فيه ،وأن تُكتب فيه بحوث تستوعب كل مفاصله ،و لعلنا نجد يوماً ما تفسيراً حديثاً للقرآن الكريم يقوم على أساس الروابط والتناسب بين آيات القرآن الكريم .

ثبت المصادر والمراجع

أ - المصادر القديمة

القرآن الكريم

١ - الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين (ت ١٢٧٠هـ) روح المعاني، تصحيح علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥ م.

٢ - ابن الأثير، علي بن محمد الجزيري، عز الدين (ت ٦٣٠هـ) أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح و تع: علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٨ م.

٣ - ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك محمد (ت ٦٠٦هـ) النهاية في غريب الحديث، تح: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، دار التفسير، قم، ط ١، ١٤٢٦ هـ.

٤ - ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله (ت ٦٣٧هـ) تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د. ط) ١٩٩٥ م.

٥ - ابن أبي الأصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح: حفني محمد شرف، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، ١٣٨٣ هـ.

٦ - الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب (ت ٤٠٣هـ) إعجاز القرآن، تح: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط ٥، (د. ت).

٧ - البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت ٢٥٦هـ) صحيح البخاري، دار الكتب العلمية، ط ٥، ٢٠٠٧ م.

٨ - البروسوي، إسماعيل حقي (ت ١١٣٧هـ) تفسير روح البيان، تع وتصحيح وضبط النص: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م.

- ٩ - البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر (ت ٨٨٥هـ) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٦ م .
- ١٠ - الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى (ت ٢٧٩هـ) الجامع الصحيح، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٦ م .
- ١١ - الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) البيان والتبيين، وضع حواشيه : موفق شهاب الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٣ م .
- ١٢ - الجرجاني، عبد القاهر (ت ٤٧١هـ) دلائل الإعجاز، دار المعرفة، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٧ م .
- ١٣ - الجرجاني، علي بن محمد (ت ٨١٦هـ) كتاب التعريفات، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣ م .
- ١٤ - ابن جزري، أبو القاسم محمد بن أحمد (ت ٧٤١هـ) التسهيل لعلوم التنزيل، ضبط وتصحيح : محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٥ م .
- ١٥ - ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) الإصابة في معرفة الصحابة، دراسة وتح وتغ : عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥ م .
- ١٦ - ابن حنبل، أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) مسند أحمد، شرحه ووضع فهارسه : أحمد محمد شاكر، دار المعارف، مصر، ط ٤، (د . ت) .
- ١٧ - أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) البحر المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت / ط ٢، ٢٠٠٧ م .
- ١٨ - الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٤٢٠هـ) درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٩٥ م .
- ١٩ - أبو داود، سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ) سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧ م .
- ٢٠ - الرازي، فخر الدين محمد بن عمر البكري الشافعي (ت ٦٠٤هـ) التفسير الكبير (مفاتيح العيب) دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٤ م .

٢١ - الرازي، محمد بن أبي بكر (ت ٦٦٦هـ) مسائل الرازي من غرائب أي التنزيل، تح و تص: إبراهيم عطوه عوض، مطبعة خدمات جابي، طهران، (د. ط) ١٤٠٤هـ.

٢٢ - الرضي، محمد بن الحسن الشريف (ت ٤٠٦هـ) نهج البلاغة، من كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ضبط وفهرسة: صبحي الصالح، دار الأسوة للطباعة والنشر، قم، ط ١، ١٤١٥هـ.

٢٣ - الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى (ت ٨٦٤هـ) النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تح و تع: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، (د. ت) (د. ط).

٢٤ - الزبيدي، محمد مرتضى (ت ١٢٥٠هـ) تاج العروس من جواهر القاموس، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ط ١، ١٩٩٤ م.

٢٥ - الزركشي، بدر الدين محمد بن بهادر (ت ٧٩٤هـ) البرهان في علوم القرآن، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧ م.

٢٦ - الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت ٥٣٨هـ) الكشاف عن حقائق التنزيل في عيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ٢٠٠١ م.

٢٧ - ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع البصري (ت ٢٣٠هـ) الطبقات الكبرى، دراسة وتح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٩٧ م.

٢٨ - السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) الإتيقان في علوم القرآن، ضبط وتصحيح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٧ م.

٢٩ - التحبير في علم التفسير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٨ م.

٣٠ - ترتيب سور القرآن، دراسة وتح وتع: السيد الجميلي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠ م.

٣١ - تناسق الدرر في تناسب السور، تح: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٩٨٦ م.

٣٢ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، تصحيح : نجدت نجيب ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠١ م .

٣٣ - لباب النقول في أسباب النزول ، دار ابن القيم ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .

٣٤ - مرصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع ، مكتبة دار المنهاج ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٦ هـ .

٣٥ - معترك الأقران ، ضبطه وصححه : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٨ م .

٣٦ - الشاطبي ، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الغرناطي المالكي (ت ٧٩٠ هـ) الموافقات في أصول الشريعة ، عني بطبعه وترجمته ووضع تراجمه : محمد عبد الله دراز ، المطبعة الرحمانية ، مصر (د . ت) .

٣٥ - الشوكاني ، محمد بن علي بن محمد (ت ١٢٥٠ هـ) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، ضبط وتصحيح : أحمد عبد السلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د . ط) (د . ت) .

٣٧ - الصنعاني ، عبد الرزاق بن همام (ت ٢١١ هـ) المصنف ، عني بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه : حبيب الرحمن الأعظمي ، دار القلم ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٧٠ م .

٣٨ - الطبرسي ، أبو علي الفضل بن الحسن (ت ٥٤٨ هـ) مجمع البيان في تفسير القرآن ، تح : لجنة من العلماء ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ٢ ، ٢٠٠٥ م .

٣٩ - الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ) التبيان في تفسير القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د . ط) (د . ت) .

٤٠ - ابن عبد البر ، يوسف بن عبد الله بن أحمد (ت ٤٦٣ هـ) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تح وتع : علي محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٢ ، ٢٠٠٢ م .

٤١ - العرجي، ديوان العرجي ، رواية أبي الفتح بن جني (ت ٣٩٢هـ) شرح وتح :
خضر الطائي ورشيد العبيدي ، الشركة الإسلامية للطباعة والنشر ، بغداد ، ط ١ ،
١٩٥٦ م .

٤٢ - العياشي ، أبو النصر محمد بن مسعود (ت ٣٢٠هـ) تفسير العياشي ، تصحيح
وتعليق : هاشم الرسولي المحلاتي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، (د .
ت) .

٤٣ - الغرناطي ، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير (ت ٧٠٨هـ) ملاك التأويل
القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه من اللفظ من أي التنزيل ، دار
الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .

٤٤ - ابن فارس (ت ٣٩٥هـ) معجم مقاييس اللغة ، اعتنى به : محمد عوض مرعب
، فاطمة محمد أصلان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .

٤٥ - الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، تح
: محمد علي النجار ، المكتبة العلمية ، بيروت ، (د . ط) (د . ت) .

٤٦ - القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري (ت ٦٧١هـ) الجامع لأحكام
القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٢ م .

٤٧ - ابن قرقماس ، ناصر الدين محمد (ت ٨٨٢هـ) زهر الربيع في شواهد البديع
، تح : مهدي أسعد عرار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م .

٤٨ - القزويني ، صلاح الدين محمد بن عبد الرحمن الخطيب (ت ٧٣٩هـ) الإيضاح
في علوم البلاغة ، قدم له وبوبه وشرحه : د - علي أبو ملحم ، منشورات دار ومكتبة
الهلال ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .

٤٩ - القزويني ، التلخيص في علوم البلاغة ، ضبطه وشرحه : عبد الرحمن البرقوقي
، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٣٢ م .

٥٠ - الكاشاني ، محسن الكاشاني (ت ١٠٩١هـ) تفسير الصافي ، صححه وقدم له
وعلق عليه : حسين الأعلمي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ١ ،
٢٠٠٨ م .

٥١ - الكرمانلي (ت ٥٠٥هـ) البرهان في توجيه متشابه القرآن ، تح : عبد القادر عطا
، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٦ م .

- ٥٢ - مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١هـ) صحيح مسلم ، دار الكتب العلمية ، ط ٢ ، ٢٠٠٣ م .
- ٥٣ - ابن المعتز ، عبد الله (ت ٢٩٦هـ) كتاب البديع ، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس : اغناطيوس تراتستوفسكي . (د . ط) (د . ت) .
- ٥٤ - ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) لسان العرب ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٨٨ م .
- ٥٥ - النحاس ، أبو جعفر محمد بن أحمد بن إسماعيل (ت ٣٣٨هـ) الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، (د . ط) ٢٠٠٧ م .
- ٥٦ - النيسابوري ، نظام الدين الحسن بن محمد (ت ٧٢٨هـ) غرائب القرآن ورغائب الفرقان ، ضبطه وأخرج أحاديثه : زكريا عميرات ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .
- ٥٧ - الواحدي ، أبو الحسن علي بن أحمد (ت ٤٦٨هـ) أسباب النزول ، دار الفكر ، بيروت ، (د . ط) ١٩٩٤ م .

ب - المراجع الحديثة

- ٥٨ - أحمد الحملوي شذا العرف في فن الصرف ، دار الكتب المصرية (د . ط) (د . ت) .
- ٥٩ - أحمد مطلوب (الدكتور) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٦ م .
- ٦٠ - أنور الباز ، التفسير التربوي في القرآن الكريم ، دار النشر للجامعات ، القاهرة ، مصر ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م .
- ٦١ - تمام حسان ، البيان في روائع القرآن ، عالم الكتب ، القاهرة ، ط ٢ ، ٢٠٠٠ م .

٦٢ ، ثيودور نولدكه ، تاريخ القرآن ، تعديل فريدريش شغاللي ، ترجمة جورج ناصر ، منشورات الجمل ، كولونيا ، ألمانيا ، ٢٠٠٨ م .

٦٣ - الجابري ، محمد عابد ، مدخل إلى القرآن الكريم ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .

٦٤ - جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، أوند دانش للطباعة والنشر ، ط ١ ، ٢٠٠٦ م .

٦٥ - جواد علي كسار ، المنهج الترابطي ونظرية التأويل ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٨ م .

٦٦ - جون جيلكرايست ، جمع القرآن

Publisher :

MERCSA

Mondeor 2110

Republic of South Africa

Reprinted in England by T M F T UK

٦٧ - الحائري (ت ١٣٥٣ هـ) مقتنيات الدرر وملقطات الثمر ، مطبعة الحيدري ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ط ١ ، ١٣٧٩ هـ .

٦٨ - حسين جمعة ، التقابل الجمالي في النص القرآني (دراسة جمالية فكرية وأسلوبية) دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠٥ م .

٦٩ - حسين فخري ، نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال ، منشورات الدار العربية للعلوم ناشرون ، ودار الاختلاف ، بيروت والجزائر ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م .

٧٠ - الخوئي ، السيد أبو القاسم ، البيان في تفسير القرآن ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٧٤ م .

٧١ - خير الدين ، الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١٢ ، ١٩٧٧ م .

- ٧٢ - رشاد خليفة ، تسعة عشر (دلالات جديدة في إعجاز القرآن) دار الفكر ، دمشق ، ط ١ ، ١٩٧٩ م .
- ٧٣ - الزنجاني ، تاريخ القرآن ، منظمة الاعلام الاسلامي ، طهران ، (د . ت) .
- ٧٤ - سعيد حوى (ت ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م) الأساس في التفسير ، دار السلام للطباعة والتوزيع ، ط ٣ ، ١٩٩١ م .
- ٧٥ - سمير أبو حمدان ، الابلاغية في البلاغة العربية ، منشورات عويدات الدولية ، بيروت ، باريس ، ط ١ ، ١٩٩١ م .
- ٧٦ - سيد قطب ، في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ٣٤ ، ٢٠٠٤ م .
- ٧٧ - صباح عباس عنوز (الدكتور) أثر البواعث في تكوين الدلالة البيانية ، مطبعة دار الضياء ، النجف ، ط ١ ، ٢٠٠٧ م .
- ٧٨ - صبحي الصالح ، مباحث في علوم القرآن ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ١٠ ، ١٩٧٧ م .
- ٧٩ - طالب محمد ، الزوبعي ، من أساليب التعبير القرآني ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٦ م .
- ٨٠ - عائشة عبد الرحمن ، بنت الشاطئ (الدكتورة) التفسير البياني للقرآن الكريم ، دار المعارف ، مصر ، ط ٦ ، (د . ت) .
- ٨١ - عبد الحسين أحمد الأميني ، الغدير في الكتاب والسنة والأدب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٥ ، ١٩٨٣ م .
- ٨٢ - عبد الرزاق نوفل ، الاعجاز العددي للقرآن الكريم ، مطبوعات الشعب للصحافة والطباعة والنشر ، القاهرة ، (د . ت) (د . ط) .
- ٨٣ - عبد الرزاق نوفل ، معجزة الأرقام والترقيم في القرآن الكريم ، ضمن سلسلة كتاب اليوم ، القاهرة ، ١٩٨٠ م .
- ٨٤ - عبد الكريم الخطيب ، إعجاز القرآن ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٧٥ .

٨٥ - عبد الله الجيوسي، التعبير القرآني والدلالة النفسية، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، دمشق، ط ٢، ٢٠٠٧ م.

٨٦ - عبد الله محمود شحاته، أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د. ط) ١٩٧٦ م.

٨٧ - فارس علي العامر، الإسلام والمنهج النفسي في أصول العقيدة، دار لسان الصدق، قم، ط ١، ٢٠٠٥ م.

٨٨ - فاضل السامرائي، فاضل (الدكتور) التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ط ٥، ٢٠٠٧ م.

٨٩ - لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، دار عمار، عمان، ط ٤، ٢٠٠٧ م.

٩٠ - معاني النحو، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧ م.

٩١ - فتح الله أحمد سليمان، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، دار الآفاق العربية، ط ١، ٢٠٠٨ م.

٩٢ - كانون سل، تدوين القرآن، ترجمة: مالك مسلماني :

Simpkin marshall Hamilton kent co

London England

4 th edition 2005

٩٣ - محمد الحساوي، الفاصلة في القرآن، المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمار، ط ٢، ١٩٨٦ م.

٩٤ - محمد حسين الجالي، دراسة حول القرآن الكريم، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ١، ٢٠٠٢ م.

٩٥ - محمد حسين الصغير (الدكتور) تاريخ القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٩ م.

٩٦ - تطور البحث الدلالي، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط ١١، ١٩٩٩ م.

٩٧ - الصوت اللغوي في القرآن، دار المؤرخ العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠ م.

- ٩٨ - الصورة الفنية في المثل القرآني، دار الهادي، بيروت، ط ١، ١٩٩٢ م .
- ٩٩ - محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٢ م .
- ١٠٠ - محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط ٢، ٢٠٠٦ م .
- ١٠١ - محمد رشيد رضا (تفسير القرآن الحكيم، الشهير بتفسير المنار) خرج آياته وأحاديثه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٥ م .
- ١٠٢ - محمد الصديق الغماري، جواهر البيان في تناسب سور القرآن، مكتبة القاهرة، مصر (د. ط) (د. ت) .
- ١٠٣ - محمد الطاهر، ابن عاشور (ت ١٩٧٣م) التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠ م .
- ١٠٤ - محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، دار القلم، الكويت، (د. ط) (د. ت) .
- ١٠٥ - النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن، دار الفقه للطباعة والنشر، انتشارات إسلامي، قم، ط ١، ١٤٢٧ هـ .
- ١٠٦ - محمد عزة دروزة، التفسير الحديث، مطبعة عيسى البابي الحلبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ١٩٦٢ م .
- ١٠٧ - محمد فاكر المييدي، قواعد التفسير لدى الشيعة والسنة، مركز التحقيقات والدراسات العلمية، مجمع التقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، ط ١، ٢٠٠٧ م .
- ١٠٨ - محمد هادي معرفة، التمهيد في علوم القرآن، مؤسسة التمهيد، منشورات نوي القربي، قم، ط ١، ٢٠٠٧ م .
- ١٠٩ - محمود البستاني (الدكتور) الإسلام والفن، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، ط ١، ١٩٩٢ م .

- ١١٠ - البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلامي، دار الفقه للطباعة والنشر، قم، ط ١، ١٣٨٢ هـ.
- ١١١ - التفسير البنائي للقرآن الكريم، مؤسسة الطبع التابعة للأستانة الرضوية، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، ط ١، ١٤٢٤ هـ.
- ١١٢ - دراسات فنية في التعبير القرآني، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط ٢، ١٩٨٤ م.
- ١١٣ - علم النفس الإسلامي، دار الباقر، النجف، ط ٤، ٢٠٠٨ م.
- ١١٤ - قصص القرآن دلاليًا وجماليًا، مؤسسة السبطين العالمية، قم، ط ٢، ٢٠٠٧ م.
- ١١٥ - المنهج البنائي في التفسير، دار الهادي، سلسلة كتاب قضايا إسلامية، بيروت، ط ١، ١٩٩٨ م.
- ١١٦ - محمود رجبى، بحوث في مناهج التفسير، ترجمة: حسين صافي، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٧ م.
- ١١٧ - محمود شلتوت، تفسير القرآن الكريم، دار القلم، القاهرة، ط ٤، ١٩٦٦ م.
- ١١٨ - مركز الثقافة والمعارف القرآنية، علوم القرآن عند المفسرين، مؤسسة بوشان، كتاب، إيران، ط ٢، ١٣٨٦ م.
- ١١٩ - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ٢٠٠٢ م.
- ١٢٠ - مصطفى مسلم، (الدكتور) مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق، ط ٥، ٢٠٠٧ م.
- ١٢١ - نزار أباطة، محمد رياض المالح، تمام الأعلام (ذيل لكتاب الأعلام للزركلي) دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٣ م.

١٢٢ - نصر حامد أبو زيد (الدكتور) مفهوم النص دراسة في ضوء علوم القرآن ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط ٦ ، ٢٠٠٥ م .

١٢٣ - نور الدين العتر (الدكتور) علوم القرآن الكريم ، مطبعة الصباح ، دمشق ، ط ٦ ، ١٩٩٦ م .

١٢٤ - في تفسير القرآن وأسلوبه المعجز علمياً وبيانياً ، مطبعة الصباح ، دمشق ، ط ٢ ، ١٩٩٩ م .

ج - الرسائل والأطاريح

١٢٥ - عمر السلامي ، الإعجاز الفني في القرآن الكريم (رسالة ماجستير) جامعة بغداد ، كلية الآداب (د . ت) .

١٢٦ - فاضل مدب متعب ، منهج الحائري في مقتنيات الدرر وملتقطات الثمر (رسالة ماجستير) جامعة الكوفة ، كلية الفقه (١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م) .

د - المجلات والدوريات

١٢٧ - مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية ، تصدر عن كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ، جامعة الشارقة ، المجلد ٢ ، العدد ٢ ، ربيع الثاني ١٤٢٦ هـ ، يونيو (حزيران) ٢٠٠٥ م .
بحث بعنوان (المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم) د - عبد الله الخطيب ومصطفى مسلم .

١٢٨ - مجلة قضايا إسلامية، تصدر عن مؤسسة الرسول الأعظم، قم، العدد ٢، سنة ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.

بحث بعنوان (المنهج البنائي أو العضوي في تفسير القرآن الكريم) د - محمود البستاني .

١٢٩ - مجلة كلية الفقه، فصلية علمية محكمة، تصدر عن كلية الفقه، جامعة الكوفة، العدد ٧، كانون الأول ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٨ م.

بحث بعنوان (تطبيق منهج علم اللغة النصي في دراسة القرآن الكريم) د - محمد كاظم البكاء .

هـ - مواقع على شبكة الانترنت

١٣٠ - شبكة التفسير والدراسات القرآنية

www.tafsir.org

بحث (المناسبات بين الآيات والسور، فوائدها، أنواعها) د - سامي عطا حسن، جامعة أهل البيت .

١٣١ - موقع نداء الإيمان، مجلة البيان، العدد ٢٠٢

www.aleman.com

جمادى الآخرة ١٤٢٥ هـ يوليو أغسطس ٢٠٠٤ م
بحث بعنوان (علم المناسبات القرآنية، موضوعه، تطوره، مكانته) د - عبد الحميد محمود غانم .

الملاحق

- ١ - فهرس الآيات
- ٢ - فهرس الأحاديث

فهرس الآيات

رقم الصفحة	رقمها	طرف الآية سورة الفاتحة
٦٢	٤-١	الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك ..
٦٦،٦٢	٥	إياك نعبد وإياك نستعين .
٨٦	٦-٥	إياك نعبد وإياك نستعين * إهدنا الصراط المستقيم.
٥٠	٧-٦	إهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم...
٦٢	٧	صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ...
		سورة البقرة
١٧٢،١٧١،١٦٦	٢-١	ألم * ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين .
٥٦	٥	أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون .
٥٦	٦	إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم...
٧١	١٧	مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ...
٥٧	٢٣	وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة ...
٩٤	٢٩	هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى ...
٨٥،٧٠	٣٠	وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة ...
١٦	٣٩	فذوقوا عذابي ونذر.
١١٥	٤٠-٤٢	يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ...
٧٣	٤٩	وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب...
١٣٧	٥١	وإذ وعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل ...
١٣٧	٥٤	وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم ...
١٣٨	٩٢	ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل ...
١٣٨	٩٣	وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما ...
٨٨	١٢٥	وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمناً واتخذوا من مقام ...
٢٣	١٣٦	قولوا آمنا بالله...
٢٣	١٣٨	صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة ونحن له عابدون.
٣٢	١٥٨	إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو ...
٧٤،٥٦	١٧٢	يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم ...

٧٤،٥٦	١٧٣	إنما حرم عليكم الميتة ولحم الخنزير وما أهل به ...
١٧١	١٨٥	شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن ...
٧٥،٥٣،١١،١٠	١٨٩	يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج...
١٣	١٩٥	وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة...
٦	٢٠٩	فان زلتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله ...
٧٣	٢١٤	أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا...
٧٥	٢١٥	يسألونك ماذا ينفقون قل ما أنفقتم من خير...
٧٥	٢٢٠	... في الدنيا والآخرة ويسألونك عن اليتامى قل ...
٣٤	٢٣٤	والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن ...
٣٤،٢٩	٢٤٠	والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية ...
٧١،٧٠،٥١	٢٤٥	من ذا يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً...
٧٤	٢٥٥	الله لا اله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ...
٧٠	٢٦١	مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة ...
٥٨	٢٦٤	يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم باليمن والأذى...
١٨٢	٢٦٧	يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم وما ...
٨٦	٢٧٤	الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية ...
٣١	٢٧٥	الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي ...
٥٨	٢٧٦	يمحق الله الربا ويربي الصدقات والله لا يحب كل ...
٣١	٢٨١	وانقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما...
٣١	٢٨٢	يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى...
٥٣	٢٨٩	يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ...

سورة آل عمران

١٧٢،١٧١	٣-١	الم*الله لا اله إلا هو...نزل عليك الكتاب بالحق ...
٨٦	١٧	الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين...
٤٨	٢٤-٢٣	الم تر إلى الذين أتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى ...
١١٥	٨١	وإذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب ...
٨٢	١١٧	مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها ...
١٢١	١٢١	وإذ غدوت من اهلك تبوء المؤمنون مآباً للقتال...
١٢١	١٣٠-١٤٠	يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة ...
١٢٣	١٣٦-١٣٢	ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما ...

سورة النساء

١٢	٣	وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب ...
٨٤	١٣	يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فان...

٢٠	٣٠	إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم ...
٢٠	٢٩	يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بالباطل إلا ...
٩٠	٤٣	يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى ...
١١٤	٥١	الم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون ...
١٥٩، ١١٣	٥٧-٥١	الم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون ...
١١٣، ١٥٩	٥٨	إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا ...
٨٧	٦٩	ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين انعم الله ...
١٨٩	١٤٧	ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله ...
٦١	١٧٢	لن يستكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة ...

سورة المائدة

-١١٧، ٣٥		
١٧٧، ١٢٠	٣	حُرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل ...
٧٦	٤	يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما ...
٩٠	٦	يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا ...
١١٥	١٢	ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل وبعثنا منهم اثنا ...
٦	٣٨	والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا ...
١٩٣	٤٤	...ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون .
١٩٣	٤٥	... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون .
١٩٣	٤٧	... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون .
١٢٠	٥١	يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى ...
١٢٠	٥٦	ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله ...
٩٢	٦٠	قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه ...
٩٧	١١٨	إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت ...

سورة الأنعام

١٢٨، ٢٠	١	الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل ...
١٧٠	٧	فأما الذين في قلوبهم مرض وزيغ فيتبعون ما تشابه ...
٩٥	١٠٣	لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف ..
١٦٩	١٠٩	وأقسموا بالله جهد أيمانهم ...
١٠٠	١٣٩	وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ...
٩٨	١٤٧	فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يُرد بأسه ...
١٢٨	١٦٤	قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شئ ولا تكسب ...
٢١	١٦٥	وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم ...

سورة الأعراف

٧٦	٤	يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل علمها عند ...
٦٠	٢٦	يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم ...
٨٣	٥٧	وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى ...
٩٠	٦٠	قال الملائكة من قومه إنا لنراك في ضلال مبين .
٩٠	٦٦	قال الملائكة الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة ...
٨٥،٨٤	٩٣	فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ...

سورة الأنفال

٥٤	٥	كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من ...
٧٧	٣١	وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا ...

سورة التوبة

٩٩	١٤	قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ...
٩٩	١٥	ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء ...
٩٩	٢٧	ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور .
٨٨	٣٥	يوم يُحْمَى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم ...
١٥٦	٤٠	إلا تتصروه فقد نصره الله
٤١	١٢٨	لقد جاءكم رسول من أنفسكم ...
١٥٦،١٥٥	١٢٩-١٢٨	لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ...

سورة يونس

١٥٥،١٤٥	٢-١	ألم تلك آيات الكتاب الحكيم * أكان للناس عجباً أن ...
١٥٦	٢	أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر ...
١٤	٢٠	ويقولون لو لا أنزل عليه آية من ربه فقل إنما الغيب ...
٦٥	٢١	وإذا أدقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم إذا لهم ...
٨٣،٦٤	٢٢	هو الذي يسيركم في البر والبحر إذا كنتم في الفلك ...
٩٤	٣١	قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك ...

سورة هود

٩٧	١	الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير .
٩٦	٨٧	قالوا يا شعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد ...

وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك ... ١٢٠ ١٥١

سورة يوسف

ألر تلك آيات الكتاب المبين * إنا أنزلناه قرآنًا عربيًا... ٣-١ ١٥٢
وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ... ٦ ١٠٠،٩٤
إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينا منا ونحن... ٨ ١١٢
تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً ... ٨٥ ١٦٩
قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين . ٩١ ١٥٢
قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم ... ٩٢ ١٥٢

سورة الرعد

ويقول الذين كفروا لو لا أنزل عليه آية من ربه قل ... ٢٧ ١٤
الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم وحسن ... ٢٩ ١٨١

سورة إبراهيم

وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا ... ٢١ ١٤
وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا... ٣٤ ٩٩

سورة الحجر

ألر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين * ربما يوّدّ الذين ... ٦-١ ١٢٦
فوربك لنسألنهم أجمعين * عمّا كانوا يعملون * ... ٩٨-٩٢ ١٢٦

سورة النحل

وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم . ١٨ ٩٩
ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين... ٢٥ ٩١
فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى ... ٢٩ ٩١
أولم يروا إلى ما خلق الله من شئ يتفويّوا ضلاله عن ... ٤٩-٤٨ ٦٠
ويوم نبعث من كل أمة شهيداً لا يؤذن للذين كفروا ... ٨٤ ٣٠
إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى . ٩٠ ٣٠،٢٨
وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الإيمان ... ٩١ ٣١

سورة الإسراء

٦٣	١	سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام ...
٦٧	٧	إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها فإذا جاء ...
٦٧	٨	عسى ربكم أن يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم...
٦٨	٩	إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشّر المؤمنين ...
٩٦	٣٨	كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها .
٩٦	٤٤	تُسبِح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن ...
٧٧	٨٨	قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل ...

سورة الكهف

١٠٦	٢	... قيماً لِيُنذِر بأساً شديداً من لدنه وَيُبشّر المؤمنين ...
١٠٦	٤	ويُنذِر الذين قالوا اتخذ الله ولداً .
١٠٦	٨-٧	إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم ...
١٠٧	٢٨	وأصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة ...
١٠٧	٣٤	وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر ...
١٠٧	٣٦-٣٥	ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد ...
١٠٧	٤٦-٤٥	واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من ...
٨٩	٩٧	فما استطاعوا أن يظهره وما استطاعوا له نقباً .
١٠٨	٩٨	قال هذا رحمة من ربي فإذا جاء وعد ربي جعله...

سورة مريم

١٧	٢٦-١٦	واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً ...
٨٤	٣١	وجعلني مباركاً أين ما كنت وأوصاني بالصلاة ...

سورة طه

٢٠	١	طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى .
١٠٢	٧٠	فألقي السحرة سجداً قالوا آمنا برب هارون وموسى .
٦٤	٧٣-٧٢	قالوا لن نُؤثرَكَ على ما جاءنا من البينات والذي...
١٠٢	٧٧	ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم ...
١٨٧	٧٩-٧٧	ولقد أوحينا إلى موسى ... طريقاً في البحر ...

سورة الأنبياء

لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون . ٢٣ ٥٣

سورة الحج

وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين ... ٧٢ ٩٢

سورة المؤمنون

قد أفلح المؤمنون . ١ ١٢٧
ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه ... ١٢-١٤ ١٨٣
هيهات هيهات لما توعدون . ٣٦ ١٩٤
ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما ... ١١٧ ١٢٧

سورة النور

والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين... ٩-١٠ ٩٨
الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها ... ٣٥ ١٧٥، ٦٨

سورة الفرقان

واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً ولا يملكون ... ٣ ١٩
وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في ... ٧ ٧٦
وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون ... ٢٠ ٧٦
ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت ... ٢٧-٢٨ ١٨٣
ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون ... ٣٥-٣٦ ١٧٥
وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح ... ٥٣ ١٩
ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم ... ٥٥ ١٩
وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا ما الرحمن أنسجد... ٦٠ ٧٧

سورة الشعراء

فألقي السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين * ... ٤٦-٤٨ ١٠٢
قال هل يسمعونكم إذ تدعون * أو ينفعونكم أو... ٧٢-٧٣ ١٠٢
وانقوا الذي أمدكم بما تعملون * أمدكم بأنعام وبنين ... ١٣٢-١٣٤ ٥١

هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . ٢٢١ ٩٢

سورة القصص

وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه ... ٧ ١٢٧
قال رب بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين . ١٧ ١٢٧
وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة ... ٦٨ ٧٨
قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم ... ٧١ ٩٥
قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم ... ٧٢ ٩٥
إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد قل ... ٨٥ ١٢٧
وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ... ٨٦ ١٢٧

سورة العنكبوت

وعاداً واثموداً وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم ... ٣٨ ٨٧

سورة الروم

ومن آياته أن يُرسل الرياح مبشرات وليذيقكم من ... ٤٦ ٨٣

سورة لقمان

إن عنده علم الساعة ويُنزل الغيث ويعلم ما في ... ٣٤ ١٧٣

سورة السجدة

ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه ... ٦ ١٢

سورة الأحزاب

يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن... ١ ١٣٢
ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل ... ٤ ١٣٢
إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت ... ١٠ ١٠٣
من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ... ٢٣ ٤١
لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض ... ٦٠ ١٣٣

١٠٣	٦٦	يوم تُقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا أطعنا الله ...
١٠٣	٦٧	وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا .
١٣٣	٧٣	ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين ...

سورة فاطر

٦٣	٩	والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلدٍ ...
----	---	---

سورة يس

٦٤	٢٢	وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون .
----	----	--

سورة الزمر

٩١	٧٢	قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى ...
----	----	---

سورة غافر

٥٠،٤٩	٤٩-٣٨	وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد ...
٤٩	٤٢-٤١	ويا قومي ما لي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى ...

سورة فصلت

٩٣	٣	كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون .
١٨٠	٢٦	وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه .

سورة الشورى

٨٤	١٣	شرع لكم من الدين ما وصّى به نوحاً والذي أوحينا ...
٥٠	٥٣-٥٢	وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ...

سورة الزخرف

٧٧	٣١	وقالوا لو لا نُزل هذا القرآن على رجل من القريرتين .
٧٧	٣٢	أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم ...

سورة الدخان

٧٨	١٥	ثم تولوا عنه وقالوا معلم مجنون .
١٨٤	٤٢-٣٩	ما خلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لا يعلمون * ...
١٨٥	٤٠	إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين .

سورة الجاثية

١٤٥	٢-١	حم * تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم .
٨٢	٦	وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية .

سورة الاحقاف

١٥٤	٣٥-٣٤	ويوم يُعرض الذين كفروا على النار أليس هذا ...
١٥٥	٣٥	فهل يهلك إلا القوم الفاسقون .

سورة محمد

١٥٤	٣-١	الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله أضل أعمالهم ...
١٤٣	٣٨	ها أنتم هؤلاء تُدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم من ...

سورة الفتح

١٥٣،٦٣	٣-١	إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً * ليغفر لك الله ما تقدم من ...
١٥٣	٢٧	لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد ...

سورة ق

١٢٤	١	ق والقرآن المجيد .
-----	---	--------------------

سورة الذاريات

١٨	٥١-٥٠	ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين * ولا تجعلوا ...
٨٧	٥٦	وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون .

سورة الطور

١٤٨	٤٩	ومن الليل فسبحه وإدبار السجود .
-----	----	---------------------------------

سورة النجم

١٤٨	١	والنجم إذا هوى .
١٦٩	٢٢-٢١	ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذن قسمة ضيزى .
١٦	٥٧	أزفت الأزفة .

سورة القمر

١٦٤،١٦	١	اقتربت الساعة وانشق القمر .
١٦٤	٤٦	بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر .
١٦٤	٤٧	إن المجرمين في ضلال وسعر .
١٦٤	٤٨	يوم يُسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر .

سورة الرحمن

٧٧	٢-١	الرحمن * علم القرآن .
١٩١،١٧٥،١٦	١٣	فبأي آلاء ربكما تكذبان .
١٩٢	٧٨	تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام .

سورة الواقعة

١٦	٥٠-٤٩	قل إن الأولين والآخرين * لمجموعون إلى ميقات .
٤٩	٧٧-٧٥	فلا أقسم بمواقع النجوم * انه لقسم لو تعلمون عظيم ...
١٤٨	٩٦	فسبح باسم ربك العظيم .

سورة الحديد

١٤٨	١	سبح لله ما في السماوات والأرض هو العزيز الحكيم .
٥١	٤	الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم ...
٦٩	٢١-٢٠	اعلموا أن الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر ...
٦٩	٢٢	ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا...

سورة المجادلة

١٠	٤	فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن ...
١٠	٥	إن الذين يحادّون الله ورسوله كُتبتوا كما كتبت الذين ...

سورة الممتحنة

٣٣	١١-١٠	يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ...
٣٣	١٣	يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم...

سورة الجمعة

١٢٩	١	فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا ...
١٢٨	٤	ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

سورة التغابن

٦٩	١١-١٠	والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار ...
٦٩	١١	ما أصاب من مصيبة إلا باذن الله ومن يؤمن بالله...

سورة الملك

٧٨	٨	أمن هذا الذي يرزقكم ...
٨٧	٢٩	قل هو الرحمن أمانا به وعليه توكلنا فستعلمون من ...

سورة القلم

٧٨	٢	ما أنت بنعمة ربك بمجنون .
----	---	---------------------------

سورة نوح

١٨٦،٧٢	٢	قال يا قوم إني لكم نذير مبين .
٧٢	٩-٣	إن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون * واني كلما دعوتهم ...
١٨٦	١٤	وقد خلقكم أطواراً .
١٨٦	٢٦	وقال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً.

سورة المدثر

١٨٠	٢٤	فقال إن هذا إلا سحر يؤثر .
-----	----	----------------------------

سورة القيامة

١٢٩	٣	أیحسب الإنسان ألن نجمع عظامه .
١٢٩	١٣	فینبأ الإنسان یومئذٍ بما قدم وأخر .
١٢٩	٣٦	أیحسب الإنسان أن یتترك سدی .

سورة الإنسان

١٩٤	١٤	ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً .
-----	----	--

سورة المرسلات

١٩١،١٧٥،٢٣	١٥	ويل يومئذٍ للمكذبين .
------------	----	-----------------------

سورة النازعات

١٠٢	٢٥	فأخذته الله نکال الآخرة والأولى .
-----	----	-----------------------------------

سورة التكوير

٧٨	٢٢	وما صاحبكم بمجنون .
----	----	---------------------

سورة المطففين

١٨٧	١٣-١	ويل للمطففين * الذين إذا اکتالوا على الناس ...
١٧٨	١٣	إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين .

سورة الفجر

١٠٣	٤-١	والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر * والليل إذا .
١٠٩	٥	هل في ذلك قسم لذي حجر .
١٠٩	١٢-١١	الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد .
١٠٩	١٣	فصبّ عليهم ربك سوط عذاب .
١٠٣	١٦-١٥	فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعمه فيقول ...
١١٠	٢٤-٢٣	وجيء يومئذٍ بجهنم يومئذٍ يتذكر الإنسان وأنى له ..

سورة الليل

٥٧	١٠-٥	فأما من أعطى واتقى * وصدّق بالحسنى * ...
١٠١	١٣	وإن لنا للآخرة والأولى .

سورة الضحى

١١	٤	وللآخرة خير لك من الأولى .
١٠١	٥	ولسوف يعطيك ربك فترضى .
١٨٩	٦	ألم يجدك يتيماً فأوى .
١٨٩	٩	فأما اليتيم فلا تقهر .
١٠٠	١٠-٩	فأما اليتيم فلا تقهر * وأما السائل فلا تنهر .
١٨٩	١١	وأما بنعمة ربك فحدث .

سورة العاديات

١٩٤	١١-١	والعاديات ضبحاً * فالموريات قدحاً * فالمغيرات ...
-----	------	---

سورة التكاثر

١٥	٢-١	ألهاكم التكاثر * حتى زرتم المقابر .
١٨١	٤-٣	كلا سوف تعلمون * ثم كلا سوف تعلمون .

سورة الهمزة

١٢٩	١	ويل لكل همزة لمزة .
١٢٩	٩-٨	إنها عليهم موعدة * في عمد ممددة .

سورة قريش

١٢	١	لإيلاف قريش .
----	---	---------------

سورة الماعون

١٤٦	٣-٢	فذلك الذي يدعّ اليتيم * ولا يحضّ على طعام ...
١٤٦	٥	الذين هم عن صلاتهم ساهون .
١٤٦	٦	الذين هم يراءون .
١٤٦	٧	ويمنعون الماعون .

سورة الكوثر

١٩٤،١٥٨،١٤٦	١	إنا أعطيناك الكوثر .
١٤٧	٢	فصلّ لربك وأنحر .
١٦٥	٣	إن شأنك هو الأبر .

سورة الكافرون

١١١	٦-٢	لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا... .
١٠٣	٦	ولكم دينكم ولي دين .

فهرس الأحاديث

رقم الصفحة	القائل	طرف الحديث حرف الألف
٢٨	الرسول(ص)	أتاني جبرئيل فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا...
٣٧	الرسول(ص)	أعطيت مكان التوراة السبع الطوال وأعطيت مكان...
١٤٩	الرسول(ص)	اقرأوا الزهراوين البقرة وآل عمران ،فأنهما ...
٢٩	الرسول(ص)	إن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يقرأ سوراً ..

حرف التاء

٢٨	الرسول(ص)	تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء .
----	-----------	---

حرف الطاء

٣٨،٣٦	الرسول(ص)	طراً عليّ حزب من القرآن ،فأردت ألا أخرج ...
-------	-----------	---

حرف الكاف

٢٨	الصادق(ع)	كان انقضاء السورة بنزول بسم الله الرحمن الرحيم...
----	-----------	---

حرف الهاء

٣٥	الصادق والباقر(ع)	هو آخر فريضة أنزلها الله تعالى ثم لم ينزل بعدها...
----	----------------------	--

